المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة الملك عبد العزيز
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية وآدابها

التنظير الروائي والطبقة الاجتماعية في النقد السعودي المعاصر
دراسة تحليلية

Novel Theorisation and Social Class
In Saudi Contemporary Criticism
Analytical Study

بحث مكمل للحصول على درجة الدكتوراه في قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الملك عبد العزيز

إعداد الطالب: أحمد بن صالح أحمد الغامدي
الرقم الجامعي: ١٧٠١١٧٧

إشراف: أ.د حسن بن محمد النعمي

الفصل الدراسي الثاني
١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة الملك عبد العزيز
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية وآدابها

التنظير الروائي والطبقة الاجتماعية في النقد السعودي المعاصر
دراسة تحليلية

Novel Theorisation and Social Class
In Saudi Contemporary Criticism
Analytical Study

بحث مكمل للحصول على درجة الدكتوراه في قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الملك عبد العزيز

إعداد الطالب: أحمد بن صالح أحمد الغامدي
الرقم الجامعي: ١٧٠١١٧٧

إشراف: أ.د حسن بن محمد النعمي

الفصل الدراسي الثاني
١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م

اعتماد الرسالة

التنظير الروائي والطبقة الاجتماعية في النقد السعودي المعاصر دراسة تحليلية

NOVEL THEORISATION AND SOCIAL CLASS IN CONTEMPORARY SAUDI CRITICISM: ANALYTICAL STUDY

إعداد

احمد صالح أحمد الغامدي

تمت الموافقــة على قبـول هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات
درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها (الأدب والنقد)

لجنة المناقشة والحكم على الرسالة

	الاسم	المرتبة العلمية	التخصص	التوقيع
مشرف رئيس	حسن محمد حسن النعمي	أستاذ	أدب روائي	
عضو داخلي	عادل خميس عبدالله الزهراني	أستاذ مشارك	نقد حديث	
عضو خارجي	عبد الحميد سيف الحسامي	أستاذ	أدب ونقد حديث	

جامعة الملك عبد العزيز
١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م

المستخلص

حاولت هذه الدراسة أن تحدد نتائج تفاعل النقد السعودي في جوانبه النظرية والتطبيقية مع التنظير الروائي الغربي والنقد العربي في علاقتهما بالطبقة الاجتماعية، ومدى متابعته لهما واختلافه عنهما، باستنتاج المضامين الأساسية لمفهومي التنظير والطبقة، وتطورها التاريخي، وأثر العلاقة بينهما في المسائل المتصلة بمفهوم الرواية وأنواعها ووظائفها والأحكام التحليلية والتقييمية المرتبطة بموضوعاتها وعناصرها، وامتداداتها في النقد العربي الذي كان هو الآخر محل النقد والتقييم لتجربته في تلقي الأثر السابق بغرض التعرف على السمات المشابهة والمختلفة التي قد يكون لها تأثيرات في النقاد السعوديين.

لقد انطلق البحث من السؤال الآتي: (ما تأثير علاقة التنظير الروائي بالطبقة الاجتماعية في النقد السعودي)، وتفرع عنه أسئلة معنية بالإجابة عن التطورات الحاصلة بين التنظير والطبقة وأثرها في الرواية مفهوما وجنسا وخطابا، وتأثيرها في النقد العربي من حيث مبادئه وآلياته وقيمه النقدية، وفي النقد السعودي من حيث وعيه بمفهوم الطبقة والتأثيرات السابقة وانعكاس ذلك ودلائله على تصوراته النظرية، وممارسته النقدية التحليلية للنص الروائي.

ولقد استند الباحث في الإجابة على الأسئلة السابقة إلى المنهج التحليلي القائم على تفكيك طرفي العلاقة (التنظير والطبقة) وردهما إلى الأصول النظرية، وإعادة تركيبهما، واستخلاص ما نتج عن تفاعلهما من مفاهيم وأحكام ومبادئ وآليات وقيم في التنظير الغربي والنقد العربي للرواية، ثم تقييم آثار ذلك في النقد السعودي، وما تركه من متابعة واختلاف، أو قضايا أخرى نقدية وثقافية نتيجة التطبيق أو التوظيف.

ووصلت الدراسة بعد ذلك إلى أن النقد الروائي السعودي في جانبيه النظري والتطبيقي كان متابعا في معظم تلقيه للعلاقة السابقة ونتائجها، بهدف التعريف بجنس الرواية عموما، وتمييزها عن غيرها من الأشكال الأدبية، أو بتحديد وظائفها النفسية خصوصا، أو نقده لارتباطها بطبقة محددة، أو اعتماده قيم الدقة والتماسك

والتعدد في تحليلها وتقييمها، وهي متابعة كان لها الأثر في جعل خطابه النقدي خطابا واصفا ومصنفا للرواية في علاقتها مع الطبقة الاجتماعية، التي كانت محلا للتمثيل والتوظيف واستنتاج المواضيع والدلالات الاجتماعية أكثر من كونها معيارا للماهية والتصنيف والآليات والأساليب الفنية، إلا أنها لم تكن مقصودة ومؤدلجة، كما كان النقد السعودي مختلفا في تبنيه للتصور الطبقي الواسع والمتداخل مع العنصرية، أو في تعدد تطبيقاته على المفاهيم والنظريات، وتوسعه، ما منح الطبقة دلالة أرحب من المفهوم الماركسي، إلا أنه قصر عن الوصول إلى غايات التنظير من استخلاص للقوانين، أو تعميم للأحكام، أو تغليب للشروط الموضوعية.

Abstract

This study tried to conclude to how Saudi novel criticism fallowed or differed of Western theorisation and Arabic criticism in their relation with social class.

The main question was that: what are the previous relation influences on Saudi criticism, and other included cognitive theoretical historic, and pragmatic questions.

Cognitively, this study attempted to specify what theorisation and class mean as concepts, how that relation improved historically, and reacted on novel concept, its genres, and functions theoretically. Pragmatically, it seek to answer how Arabic critics received the relation and its improvement, and what changed of analytical devices and literary values in implementations, finally to how Saudi critics were awareness of class concept, and its improved relation with theorisation, in addition to its influences on their opinions and explanations.

The researcher based on analytical approach, it helped him to dismantle both side of relation, return them to theoretical assets, rebuild their relation, conclude its influences on the novel discourse theoretically, and evaluate Saudi criticism in receiving it.

In conclusion, this study came to that: Saudi criticism was a follower of western theorisation and Arabic criticism in theoretical and implying sides that linked to class, and doing this to define novel as a genre, classify it, and specify its functions, especially psychological one. Moreover the fallowing contain criticizing novel attachment to specific class, approving of precision, cohesion, and diversity as aesthetic and human values in the same time.

This fallowing seemingly made Saudi criticism a descriptor discourse for novel in its relation with class; it was examples for social issues or technical phenomena, and similar to racism. On the other hand, Saudi critics did not use class ideologically, and managed in implementations diversification on it.

إهداء

إلى كل الذين رعوني، وعلموني .... وألهموني دوما بقوله تعالى:
" اقرأ وربك الأكرم"

وحتى إلى الذين خذلوني، وسخروا مني.... فذكروني يوما بقول المتنبئ:
"ذو العقل يشقى في النعيم بعقله"

المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	١
الفصل الأول: **التنظير الروائي الغربي والطبقة الاجتماعية: المفهوم والعلاقة**	١٤
مفهوم النظرية والتنظير الروائي: أولا: أسلوب التعريف بالمقابل ثانيا: أسلوب التعريف بالماهية والشروط والأهداف ثالثا: مفهوم التنظير الروائي	١٦ ١٦ ١٩ ٢١
مفهوما الطبقة الاجتماعية: أولا: المفهوم البراغماتي ثانيا: المفهوم السببي ثالثا: نقد المفهوم السببي رابعا: أثر الاختلاف بين المفهومين في تصنيف الطبقات خامسا: المفاهيم الموازية للطبقة سادسا: الطبقة بوصفها فرضية	٢٣ ٢٣ ٢٥ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣٢
التنظير الروائي الغربي والطبقة الاجتماعية: أولا: الطبقة الاجتماعية وأثرها في التصنيفات والمواقف الكلاسيكية ثانيا: أثر العلاقة بين التنظير والطبقة في تفسير نشوء الرواية ومفهومها ثالثا: أثر العلاقة بين التنظير والطبقة في تصنيف الرواية رابعا: العلاقة بين التنظير والطبقة ووظائف الرواية خامسا: العلاقة بين التنظير والطبقة وأثرها في الأحكام النقدية استنتاجات	٣٣ ٣٣ ٣٥ ٤٠ ٤٣ ٤٧ ٥٠
الفصل الثاني: **التنظير الروائي والطبقة الاجتماعية في النقد العربي**	٥٣
مفهوم الرواية والطبقة الاجتماعية: أولا: المواقف المشابهة والمسايرة ومحاولات التعليل ثانيا: محاولات التوظيف ثالثا: نقد الارتباط بين الطبقة والرواية رابعا: تطور الربط من الطبقة إلى الفردية والإنسانية	٥٥ ٥٥ ٥٨ ٦٠ ٦٤

الرواية العربية وتصنيفاتها بحسب علاقتها بالطبقة الاجتماعية:	٦٦
أولا: تمييز الرواية عن الأنواع الأدبية	٦٦
ثانيا: تصنيف الأنواع الروائية	٦٧
ثالثا: تصنيف الشخصيات	٦٩
رابعا: تصنيف المكان واللغة	٧٢
خامسا: تصنيفات دلالية	٧٣
الطبقة الاجتماعية ووظائف الرواية العربية:	٧٥
أولا: وظيفة الرواية	٧٥
ثانيا: وظائف اللغة وأساليبها	٧٨
ثالثا: وظائف الطبقة الدلالية والمرجعية	٨٠
الأحكام النقدية والطبقة الاجتماعية:	٨٢
أولا: الأحكام التقييمية	٨٢
ثانيا: أحكام تصنيفية ونقدية للعناصر البنائية	٨٤
ثالثا: أحكام تفسيرية وتطبيقية	٨٦
رابعا: أحكام تصورية عن الطبقة الاجتماعية	٨٨
خامسا: الطبقة ووظائفها في الأحكام	٩٠
استنتاجات	٩٢
الفصل الثالث: **مفهوم الطبقة الاجتماعية في النقد الروائي السعودي**	٩٤
بنية المجتمع السعودي:	٩٦
أولا: المجتمع السعودي في الدراسات الاجتماعية النظرية	٩٦
ثانيا: المجتمع السعودي في الدراسات الاجتماعية التطبيقية والإحصائية	١٠١
ثالثا: المجتمع السعودي في الدراسات الاجتماعية الأدبية	١٠٤
مفهوم الطبقة الاجتماعية التصوري عند النقاد السعوديين:	١٠٦
أولا: المفهوم السببي	١٠٦
ثانيا: المفهوم البراغماتي	١١٤
ثالثا: المفهوم الواسع	١١٨
مفاهيم الطبقة الاجتماعية الموازية عند النقاد السعوديين:	١٢٢
أولا: مفهوم الفئة	١٢٢
ثانيا: مفهوم الشريحة	١٢٥
ثالثا: مفاهيم أخرى (المركز –المكانة -الوضع –المستوى -المنزلة)	١٢٨

استنتاجات	١٣١
الفصل الرابع: **النقد السعودي الروائي والطبقة الاجتماعية: الجوانب النظرية**	١٣٣
مفهوم الرواية ونشأتها وعلاقتها بالطبقة الاجتماعية: أولا: المتابعة في التعريف وتحول الطبقة إلى وسيط قيمي ثانيا: الرواية الفنية والطبقتان الوسطى والدنيا ثالثا: نقد الارتباط رابعا: الرواية وربطها بالطبقات والإنسانية خامسا: توظيف العلاقة بين الرواية والطبقة الاجتماعية	١٣٥ ١٣٥ ١٣٨ ١٤٠ ١٤٢ ١٤٥
تصنيف الرواية والطبقة الاجتماعية: أولا: تمييز الرواية عن الشعر والقصة الطويلة ثانيا: تصنيف الأنواع الروائية ثالثا: تصنيف الشخصيات رابعا: تصنيف المكان خامسا: تصنيف اللغة	١٤٨ ١٤٨ ١٤٩ ١٥٤ ١٥٦ ١٥٨
وظائف الرواية والطبقة الاجتماعية: أولا: وظيفة الرواية ثانيا: وظيفة الشخصيات ثالثا: وظيفتا المكان واللغة رابعا: وظائف التقنيات الفنية والوظائف الدلالية استنتاجات	١٥٩ ١٥٩ ١٦٠ ١٦٣ ١٦٦ ١٧٠
الفصل الخامس **النقد السعودي الروائي والطبقة الاجتماعية: الجوانب التطبيقية**	١٧٣
الأحكام التحليلية التقييمية وتأثرها بالجوانب النظرية: أولا: أحكام متأثرة بعلاقة الرواية بالطبقة والطبقات ثانيا: الأحكام النقدية للرواية الواقعية الاشتراكية ثالثا: أحكام نقدية متأثرة بالتصنيف والوظائف	١٧٥ ١٧٥ ١٧٨ ١٧٩
الأحكام التحليلية وعناصر الرواية: أولا: عنصرا المكان والزمن ثانيا: عنصر الشخصيات ثالثا: عنصر الأحداث رابعا: عنصر الرؤية	١٨١ ١٨١ ١٨٤ ١٨٦ ١٨٨

أحكام تفسيرية وتطبيقات أخرى: أولا: أحكام تفسيرية نفسية ثانيا: تطبيقات على المفاهيم والتقنيات ثالثا: تطبيقات على القضايا	١٩٠ ١٩٠ ١٩٣ ١٩٧
الأحكام النقدية والطبقة الاجتماعية: أولا: سمات الطبقة العليا ثانيا: سمات الطبقة الوسطى ثالثا: سمات الطبقة الدنيا رابعا: نقد أساليب استنتاج السمات الطبقية خامسا: وظائف الطبقة الاجتماعية في الأحكام النقدية استنتاجات	١٩٩ ١٩٩ ٢٠٣ ٢٠٤ ٢٠٦ ٢٠٧ ٢١٢
الخاتمة	٢١٤
قائمة المصادر والمراجع	٢٢٠

المقـدمة

المقدمة

يحاول هذا البحث مناقشة العلاقة بين التنظير الروائي والطبقة الاجتماعية، الأول بوصفه امتدادا للطموح العلمي المتولد من المرحلة الوضعية، الهادف إلى ضبط الظواهر الطبيعية والإنسانية، وإيجاد مفاهيم وقواعد عامة لها؛ إذ كانت الرواية إحدى تلك الظواهر الأدبية التي حظيت بعناية المنظرين من أجل تحديد مفهومها، أو تصنيف أنواعها، أو التعرف على بنيتها الداخلية وسماتها الفنية، أو ما يثيره خطابها من قضايا ثقافية، أو تحديد وظيفتها ووظائف عناصرها المكونة لها.

أما الطبقة الاجتماعية: فهي تصنيف من تصنيفات البنى الاجتماعية، تضم أفرادا يشتركون في طريقة الإنتاج والوعي، ويرتبطون بالطبقات الأخرى بعلاقات قائمة إما على التفاوت والصراع أو المصلحة والتنافس.

ولقد ارتبط التنظير الروائي بالطبقة الاجتماعية منذ اللحظات المبكرة التي حاولت فيها الرواية تقديم خطابها الجديد، بداية من رفض الكلاسيكيين لها بسبب مخالفتها للطبقات العليا في المجتمع، ثم بمحاولة الجدليين والماركسيين ربطها بالبرجوازية وقيمها الجديدة، وصولا عند الحواريين وفتحهم لها على طبقات المجتمع كلها والغاية الإنسانية.

ستُدرس تلك العلاقة دراسة تفصيلية، تبدأ بالتعرف على مضامين طرفيها الأساسية التي ستحدد نوع الارتباط بينهما، واستخلاص نتائج ما ترتب عليها من مفاهيم وتصنيفات ووظائف وأحكام نقدية، إضافة إلى التحولات وما صاحبها من اختلاف في التصورات والقيم، وجعلها معايير في تقييم النقد السعودي وتلقيه لها، وتحديد مدى تأثره أو تأثيره فيها على المستويين: النظري والتطبيقي.

وتتطلب الإجابة عن المشكلة السابقة، دراسة أثر سابق يتمثل في الدراسات النظرية والنقدية العربية للرواية، وتحديد ملامح تأثرها بعلاقة التنظير الروائي الغربي بالطبقة الاجتماعية؛ فالنقد السعودي جزء من النقد العربي الذي كان له إسهام مهم في نشوئه وتطويره، ووسيطا في فهم كثير من النظريات الأدبية والتطبيق عليها.

أما النقد السعودي -مادة الدراسة الأساسية وغايتها -فالمقصود به النقد الروائي الذي مارسه نقاد سعوديون من محاولة التأريخ للرواية السعودية، بداياتها ومراحلها، وتحديد سماتها الفنية، وأنواعها الشكلية والموضوعية، إلى الدراسات التطبيقية التي حاولت الاستعانة بمناهج نقدية حديثة، خصوصا المناهج الاجتماعية، في تحليل الروايات الغربية والعربية والسعودية أو تحليل عنصر من عناصرها، إضافة إلى الدراسات التقييمية الخاصة بدراسة النقد الروائي العربي أو السعودي وتحديد مناهجه وأصولها النظرية.

وهو نقد يمتد من سنة ١٩٧٥م؛ تحديدا من كتاب محمد بن عبد الرحمن الشامخ (النثر الأدبي في المملكة العربية السعودية)[١]، وينتهي إلى سنة ٢٠١٩م؛ الوقت الذي أنجزت فيه هذه الدراسة. وهي فترة زمنية كبيرة شهدت دراسات متعددةً ومتنوعةً، سيحاول الباحث أن يحدها بالكتب المنشورة والأطروحات الأكاديمية والمقالات والأوراق العلمية، والمعايير المستنتجة من التنظير الغربي والنقد العربي، التي ستساعد في وضع إطارات أكثر دقة في تحديد الدراسات السعودية المتأثرة بعلاقة التنظير الروائي بالطبقة الاجتماعية.

وتكمن أهمية هذه الدراسة في التنبيه إلى علاقة النظرية الروائية بالتصورات الاجتماعية التي كثيرا ما يكون لها الأسبقية والتأثير في فرضياتها الأساسية، وتأكيد الدور الذي تمارسه القيم الأيديولوجية والمعرفية في إنشاء المفاهيم والنظريات، وتوضيح المصادر الغربية والعربية التي ما زال النقد السعودي يعتمدها في دراسته للخطاب الروائي، وتقييم حالة التلقي عند النقاد السعوديين، ومدى قدرتهم على التجاوز والإضافة.

أما ما يتعلق بالدراسات السابقة، فلا يوجد -بحسب علم الباحث إلى وقت إعداد الخطة -دراسة عربية أو سعودية اهتمت بعلاقة النظرية الروائية والطبقة الاجتماعية التاريخية وتأثيراتها في النقد العربي أو السعودي، بل كانت هناك بعض الإشارات المتعلقة بالدراسات التاريخية الهادفة إلى التعريف بالنظريات إجمالا، مثل كتابي (مقدمة في نظرية الأدب) لعبد المنعم تليمة[٢]، و(في نظرية الأدب) لشكري ماضي[٣]، اللذين ناقشا علاقة الطبقة بالرواية في شرحهما لنظرية الأدب الاشتراكي، مناقشة مهمة نبهت الباحث إلى إشكالية العلاقة، وكون منها انطلاقته في البحث.

---

[١] محمد بن عبد الرحمن الشامخ، النثر الأدبي في المملكة العربية السعودية ١٩٠٠-١٩٤٥م، ط١؛ (الرياض: مطابع نجد التجارية، ١٩٧٥م).

[٢] عبد المنعم تليمة، مقدمة في نظرية الأدب، ط٣؛ (بيروت: دار العودة، ١٩٨٣م).

[٣] شكري عزيز ماضي، في نظرية الأدب، ط١؛ (بيروت: دار المنتخب العربي، ١٩٩٣م).

ومضت على نسقهما التعريفي، الدراسات المصنفة على أنها مداخل لنظريات الرواية أو تاريخها أو اتجاهاتها، وخصوصا الاتجاه الواقعي، فسهير القلماوي اكتفت في دراستها (مختصر حول نظرية الرواية)[١] بالإشارة إلى ربط الرواية العربية بالطبقة الاجتماعية تعريفا بها على نسق الرواية الغربية دون نقد لها أو تمييز[٢]، وسايرها في ذلك نقاد عديدون، مثل إبراهيم الخطيب في مقالته (المرأة والوردة الواقع والأيديولوجيا)[٣]، ومحمد كامل الخطيب في كتابه (الرواية والواقع)[٤]، وشمس الدين موسى في كتابه (كلمات على ضفاف الواقعية دراسات نقدية في الرواية والقصة)[٥]، وسيد النساج في كتابه (بانوراما الرواية العربية)[٦] المؤرخ للروايات العربية في أكثر من قطر، الذين كانوا متأثرين بالماركسية في توجيه الربط ومحاولة استغلاله في الدعوة إلى مبادئها وغاياتها؛ حيث أفاد الباحث من هذا الربط وتوجيهه في ملاحظة عدد من الآثار التي مثلت أساسا مهما للدراسة في تعقب آثار الماركسية في علاقة التنظير بالطبقة.

أما محمد حسن عبد الله في كتابه (الواقعية في الرواية العربية)[٧]، وصلاح فضل في (منهج الواقعية في الإبداع الأدبي)[٨]، فلقد اكتفيا بتوضيح الاتجاه الواقعي الاشتراكي وعلاقته بالطبقة الدنيا من المجتمع، وهو اكتفاء له ما يبرره من الناحية المتعلقة بهدف تأليفهما التاريخي والتعريفي، إلا أنه مؤكد لأثر العلاقة بين التنظير والطبقة، التي حاولت الدراسة أن توسعه بالنظر في جوانبه الأخرى.

---

[١] سهير القلماوي، مختصر حول نظرية الرواية؛ (القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٣م).
[٢] ينظر المرجع السابق، ص٥.
[٣] إبراهيم الخطيب، المرأة والوردة، الواقع والأيديولوجيا، مجلة أقلام المغرب، نوفمبر، ١٩٧٢م.
[٤] محمد كامل الخطيب، الرواية والواقع؛ (بيروت: دار الحداثة للطباعة والنشر، ١٩٨١م).
[٥] شمس الدين موسى، كلمات على ضفاف الواقعية دراسات نقدية في الرواية والقصة؛ (مصر: منشورات وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨٠م).
[٦] سيد حامد النساج، بانوراما الرواية العربية؛ (بيروت: المركز العربي للثقافة والعلوم، ١٩٨٢م).
[٧] محمد حسن عبد الله، الواقعية في الرواية العربية؛ (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩١م).
[٨] صلاح فضل، منهج الواقعية في الإبداع الأدبي؛ (القاهرة: مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، ١٩٩٢م).

ومن الدراسات المبكرة والمشابهة لهما في الوظائف التاريخية والتعريفية في الشام، دراسة شكري عزيز ماضي (انعكاس هزيمة حزيران على الرواية العربية)[١]، ودراستا إدريس الناقوري (المصطلح المشترك)[٢]، ولحميداني حميد (الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي)[٣] في المغرب العربي.

ويضاف إلى ما سبق دراسات أخرى حاولت أن تنتقد ربط الرواية بالطبقة، لأسباب مختلفة، فدراسة يوسف عز الدين (الرواية في العراق)[٤] انتقدته لخلو المجتمع العراقي من الطبقية التي كانت محلها القبلية[٥]، وسايره عبدالله العروي الذي شكك في مفهوم الطبقة في المجتمعات العربية في كتابه (الأيديولوجيا العربية المعاصرة)[٦] بسبب اختلاف المشكّل لها سياسيا مقارنة بالمجتمع الغربي الذي كان اقتصاديا[٧]، وهو ما كان محل اتفاق عند سمر روحي الفيصل في دراسته (التطور الفني للاتجاه الواقعي في الرواية العربية السورية)[٨]؛ حيث عد تعليل تطور الرواية العربية ببروز الطبقة المتوسطة عبثيا لاختلاف الواقعين العربي والأوروبي[٩]، وفيصل دراج في كتابه (نظرية الرواية والرواية العربية)[١٠]، الذي انتقد فيه لوكاتش Lukacs وغولدمان Goldman في محاولتهما ربط الجنس الروائي بالطبقة الاجتماعية ربطا آليا، حيث وجد في ذلك تجميدا للنظرية وحصرها في نتائج جاهزة، بل كان قريبا من انتقاد العروي والفيصل حول اختلاف الطبقات الاجتماعية بين المجتمعين العربي والغربي، فهو لا يرى في المجتمع العربي إلا طبقة واحدة مستأثرة بكل

---

[١] شكري عزيز ماضي، انعكاس هزيمة حزيران على الرواية العربية، ط١؛ (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٨م).
[٢] إدريس الناقوري، المصطلح المشترك؛ (الدار البيضاء: دار النشر المغربية، ١٩٨٥م).
[٣] لحميداني حميد، الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي؛ (الدار البيضاء: دار الثقافة، ١٩٨٥م).
[٤] يوسف عز الدين، الرواية في العراق؛ (العراق: معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٣م).
[٥] ينظر المرجع السابق، ص٧٩.
[٦] ينظر عبد الله العروي، الأيديولوجيا العربية المعاصرة؛ (بيروت/ الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٤م).
[٧] المرجع السابق، ص٣٠، ص١٦٣.
[٨] سمر روحي الفيصل، التطور الفني للاتجاه الواقعي في الرواية العربية السورية (دراسة نقدية)، ط١؛ (بيروت: دار النفائس، ١٩٩٦م).
[٩] ينظر المرجع السابق، ص٤٨، ص٧٢.
[١٠] فيصل دراج: نظرية الرواية والرواية العربية؛ (بيروت/الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٣م).

وسائل التأثير[1]، في حين أن حلمي القاعود أضاف إلى النقد بعدا إسلاميا- بوصف الإسلامية هنا اتجاها نقديا وليس عقيدة- في محاولة رفض الطبقية بحجة أن الإسلام لم يعرفها أو يتبناها في دراسته (الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني)[2]، وهو في هذا لا يميز بين الإسلام ومبادئه الداعية إلى الكمال الإنساني، وواقع المجتمعات الإسلامية التي قد لا تمثل كل ما يدعو إليه الدين ويتمناه.

ولقد كانت تلك الدراسات موجهة الباحث إلى آفاق أخرى من العلاقة، أكثر تفاعلا من الأفق السابق، استفاد منها في إضافة محور يتعلق بنقد العلاقة بين التنظير والطبقة، وضرورة فهو منطلقاته، وتوضيح عدد من الإشكالات المتزامنة في علاقة التنظير بالطبقة.

وهناك من الدراسات السابقة ما كان له أهمية أخرى للباحث، مكنته من تتبع ملامح أخرى من تفاعل النقاد العرب مع علاقة التنظير بالطبقة، تفاعلا قائما على التوظيف والتصنيف والتأويل، ومنها:

-دراسة لحميداني حميد (النقد الروائي والأيديولوجيا من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي)[3]، التي ناقش فيها الكتب النقدية العربية في مستوييها التنظيري والتطبيقي مصنفا إياها إلى ثلاثة أنماط: نمط أيديولوجي مباشر، ونمط اجتماعي موضوعي، ونمط ثالث يتبنى مفهوم الرؤية، حضرت الطبقة الاجتماعية فيها بوصفها مفهوما من مفاهيم المادية التاريخية، وأحد المؤشرات الواضحة على النمط الأول الذي تتجلى فيه أيديولوجية الناقد خصوصا في تصنيفه لشخصيات الرواية، وإصدار أحكام متحيزة للرؤية الاشتراكية[4]، ليكون نقده للارتباط نقدا للأيديلوجيا.

---

[1] ينظر المرجع السابق، ص٣٣، ص ص٥٩-٦١.
[2] ينظر حلمي محمد القاعود، الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني؛ (الرياض: مطابع العبيكان، ٢٠٠٩م)، ص٣٤.
[3] لحميداني حميد، النقد الروائي والأيديولوجيا من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي؛ (بيروت/الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٠م).
[4] ينظر المرجع السابق، ص ص ٩٧-١١١.

-دراسة محمود أمين العالم (أربعون عاما من النقد التطبيقي البنية والدلالة في القصة والرواية العربية المعاصرة)[1]- وهو كتاب نقدي تطبيقي متطور عن دراساته السابقة التي ربط فيها الرواية بالطبقة مثل كتابه (ملاحظات حول نظرية الأدب وعلاقتها بالثورة الاجتماعية)[2]- التي اعتبر فيها أنه من التعسف ربط الرواية بالمجتمع البرجوازي، وأنها ليست إلا امتدادا للأساطير والملاحم والسير والحكايات الشعبية والقصص والمقامات[3]، وهي ترتفع بذلك على أن تكون الجنس الأدبي المعبر عن الطبقة الوسطى البرجوازية، وهو نقد يهدف إلى تعديل التعريف بالرواية، بنقل التركيز من البنية الخارجية إلى الداخلية.

ويلاحظ على تلك الدراسات السابقة رغم أهميتها في التنبيه إلى فكرة البحث وتطوير مباحثه، أن مناقشتها للعلاقة بين التنظير والمفهوم كان محصورا بغرض التعريف بالرواية العربية، أو بنقدها لأحد طرفي العلاقة.

فالدراسات المنتقدة للطبقة في المجتمع العربي، ركزت عليها وحدها دون النظر في علاقتها بالرواية أو نظريتها، كما أن نقدها للطبقية اتسم بضعف الاستيعاب لمفهومها في مضامينه المختلفة والمتطورة؛ حيث أُختصر في التصور الماركسي، والرفض المطلق دون تقديم بديل لبنية اجتماعية مختلفة، أو المقيد بالحجج السياسية أو العقائدية، بل إن منهم من علل الرفض بالقبلية التي قد تخترقها الطبقية في تشكيلاتها الهرمية.

ولقد حاول -في المقابل -النقد المعني بالرواية، أن يخلصها من علاقتها بالطبقة لتكون شكلا مطورا من الأشكال القديمة دون أدلة تاريخية على ذلك، أو تحديد مفهوم أكثر دقة وعمقا.

---

[1] محمود أمين العالم، أربعون عاما من النقد التطبيقي البنية والدلالة في القصة والرواية العربية المعاصرة؛ (بيروت/القاهرة: دار المستقبل العربي، ١٩٩٤م).

[2] ينظر محمود أمين العالم، ملاحظات حول نظرية الأدب وعلاقتها بالثورة الاجتماعية؛ (الجزائر، وزارة التعليم العالي والبحث، ب.ت)، ص١٢.

[3] ينظر العالم، أربعون عاما من النقد التطبيقي، ص١٤.

أما الدراسات الناقدة للعلاقة بين الطرفين، فلقد اختصرتها في البعد الأيديولوجي وحده، وفي عدم مراعاتها لبعض الجوانب المتطورة عند المنظرين الغربيين مثل لوكاتش Lukacs وغولدمان Goldman؛ ليتضح بعد ذلك أن تلك الدراسات لم تكن خاصة بتبيان العلاقة بين الطرفين تبيانا شاملا ومفصلا ومتضمنا سياقها التطوري، إضافة إلى أن كثيرا منها ناقش علاقة الرواية بالطبقة، وليس علاقة التنظير بها.

ولقد سار النقد السعودي في المسار العربي ذاته، فحصر العلاقة في عملية التعريف بالنظرية، خصوصا البنيوية التكوينية والنقد الماركسي، ويمثل ذلك سعد البازعي وميجان الرويلي في كتابهما (دليل الناقد الأدبي)[١]، أو التأريخ للرواية الغربية أو السعودية، وهو ما مثله منصور الحازمي في دراسته (فن القصة في الأدب السعودي الحديث)[٢]، وسلطان القحطاني في كتابه (الرواية في المملكة نشأتها وتطورها)[٣]، اللذان أشارا فيهما إلى علاقة الرواية بالطبقة في التنظير الغربي، بهدف التعريف بها، والتمهيد لعرض تاريخها في المملكة العربية السعودية.

ولقد منحت تلك الدراسات الباحث نقطة انطلاق، حاول بعدها تتبع تأثيرها في الدراسات النقدية السعودية، ومدى تأثرها بعلاقة التنظير بالطبقة.

أما ما يتعلق بنقد الارتباط، فلقد شابه سلطان القحطاني في الدراسة السابقة ومعجب الزهراني في دراسته (الرواية المحلية وإشكالية الخطاب الحواري مقاربة أولية لعلاقة الكتابة الروائية بشروط إنتاجها)[٤] سمر روحي الفيصل في رفض الارتباط بناء على قيم التعدد التي ردها الزهراني إلى باختين Bakhtin[٥]،

---

[١] سعد البازعي، ميجان الرويلي، دليل الناقد الأدبي، ط٥؛ (بيروت/الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٧م).
[٢] منصور إبراهيم الحازمي، فن القصة في الأدب السعودي الحديث، ط٣؛ (الرياض: دار ابن سينا للنشر، ٢٠٠١م).
[٣] سلطان بن سعد القحطاني، الرواية في المملكة نشأتها وتطورها ١٩٣٠-١٩٨٩ دراسة تاريخية نقدية، ط١؛ (الرياض: مطابع شركة الصفحات الذهبية المحدودة، ١٩٩٨م).
[٤] معجب الزهراني، الرواية المحلية وإشكالية الخطاب الحواري مقاربة أولية لعلاقة الكتابة الروائية بشروط إنتاجها، قوافل، مج٤، ع٧، ١٩٩٦م.
[٥] ينظر المصدر السابق، ص٤٣.

كما تابع الزهراني لحميداني في نقد الارتباط بوصفه تمثيلا للأيدلوجيا في دراسته (آثار نظرية الرواية الغربية في النقد الروائي العربي)[١].

أما محمد يحيى أبو ملحة فلقد اتفق مع يوسف عزالدين في رفضه للطبقية بحجة القبلية في دراسته (صورة المجتمع في الرواية السعودية)[٢]، كما اتفق حسن حجاب الحازمي مع حلمي القاعود لما أضاف بعدا إسلاميا في تمييزه للواقعية الاشتراكية عن الإسلامية في دراسته (البطل في الرواية السعودية)[٣].

ولقد تشابه إبراهيم الدغيري مع دراج في نقده للتكوينية وقيامها على نظرية الانعكاس والربط الآلي في دراسته (صورة المجتمع في الرواية السعودية المعاصرة ١٤٠٠-١٤٢٤هـ دراسة تحليلية وفنية)[٤]، وهو تشابه يدل على وعي الناقد بمحدودية الربط ومحاولة مجاوزته لما هو أبعد من ذلك.

أما صالح زياد فلقد حاول في دراسة له بعنوان (الرواية وسؤال الحضور الأقوى تراتب الأنواع الأدبية وتداخلها عرض نقدي)[٥] أن ينتقد الربط بحجة عدم مطابقته للمجتمع العربي القبائلي، وهو بذلك متابع ليوسف عزالدين، إلا أنه نقده امتد لما نشأ عن الارتباط من مفاهيم، مثل الاغتراب Alienation؛ حيث قام بتعميمه وجعله ظاهرة ثقافية وعامة ممثلا لها بالصعاليك[٦]، وهو امتداد يمثل فاعلية أكبر في محاولة التعليل لما وراء الارتباط من تصورات.

---

[١] ينظر معجب الزهراني، آثار نظرية الرواية الغربية في النقد الروائي العربي، مجلة جامعة الملك سعود –الآداب-، مج٩، ع١، ١٩٩٧م، ص٨٤.

[٢] ينظر محمد بن يحيى أبو ملحة، صورة المجتمع في الرواية السعودية؛ (أبها: النادي الأدبي، ٢٠٠٩م)، ص٦١، ٦٢، ١٣٦.

[٣] ينظر حسن حجاب الحازمي، البطل في الرواية السعودية دراسة نقدية؛ (جازان: النادي الأدبي، ٢٠٠٠م)، ص٨٠.

[٤] ينظر إبراهيم علي الدغيري، صورة المجتمع في الرواية السعودية المعاصرة ١٤٠٠-١٤٢٤هـ دراسة تحليلية وفنية، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٦-١٤٢٧هـ، ص٢٧١.

[٥] صالح زياد، الرواية وسؤال الحضور الأقوى تراتب الأنواع الأدبية وتداخلها عرض نقدي، ضمن ندوة الرواية بوصفها الأكثر حضورا؛ (بريدة: نادي القصيم الأدبي، ١٤٢٤هـ).

[٦] ينظر المصدر السابق، ص٤٨.

وما قيل عن النقد العربي يقال عن النقد السعودي، في انحسار دراسته للعلاقة في التعريف أو نقد الطبقية بوصفها غير مشابهة للمجتمع ومنافية لإسلاميته، أو ممثلة للأيدلوجيا الماركسية، وهو نقد لم يحاول أن يناقش العلاقة بين التنظير والطبقة، مناقشة تاريخية متتبعة للسياقات المتطورة والمفاهيم المختلفة، وما بُني عليها من تطور في الحكم النقدي وقيمه، لتحاول هذه الدراسة أن تستفيد مما قيل، وإدراجه في سياق أعم يستوعب تاريخ العلاقة بداية من التنظير الغربي فالنقد العربي وتأثيراتهما في تصورات النقاد السعوديين، وأحكامهم التطبيقية، ومدى افتراقهم عنهما، فهذه الدراسة مختلفة عما سبق في أمرين:

١-في دراسة العلاقة بين التنظير الروائي والطبقة الاجتماعية دراسة تاريخية آخذة في الاعتبار أنها علاقة تفاعلية وحوارية قد ينتج عنها تطور في التصورات والمفاهيم والآليات التحليلية والقيم النقدية.

٢-في تخصيصها بالنظر في تأثيراتها في النقد السعودي في مستوييه النظري والتطبيقي.

تقوم –بعد ذلك -هذه الدراسة على سؤال رئيس، مفاده: ما أثر علاقة التنظير الروائي بالطبقة الاجتماعية في النقد السعودي؟ حيث يتفرع منه عدة أسئلة، هي: ما مفهوم التنظير الروائي والطبقة الاجتماعية، وكيف تطورت النظريات الغربية في اعتمادها على مفهوم الطبقة بهدف التأسيس لجنس الرواية مفهوما وتصنيفا ووظيفة، وإلى أي مدى تأثرت الدراسات العربية وأثرت في النظريات الروائية القائمة على الطبقة الاجتماعية في مبادئها وآلياتها وقيمها؟ وكيف فهم النقاد السعوديون الطبقة وكيف عبروا عنها، وما تأثير العلاقة بين التنظير الروائي والطبقة الاجتماعية في تعريف النقاد السعوديين للرواية وتصنيفهم لها ولوظائفها، وكيف انعكس فهمهم المتأثر بالعلاقة السابقة على تحليلاتهم للرواية وأحكامهم عليها؟

وستحاول الإجابة عن الأسئلة السابقة تحقيق الأهداف الآتية: تحديد مفهومي التنظير الروائي والطبقة الاجتماعية، وكشف مراحل التطور في النظريات الروائية في علاقتها بالطبقة الاجتماعية، وتوضيح تأثر النقد

العربي بالنظرية الروائية في سياق العلاقة السابقة وتأثيره فيها، واستنتاج مدى وعي النقاد السعوديين بمفهوم الطبقة الاجتماعية ومرادفاته، وتقييم تفاعل النقد السعودي النظري والتطبيقي مع علاقة التنظير الروائي بالطبقة الاجتماعية غربيا وعربيا.

وستستعين الدراسة في تحقيق اختلافها والإجابة عن أسئلتها وإنجاز أهدافها بالمنهج التحليلي وعملياته الثلاث: التفكيك والتركيب والتقييم؛ حيث ستقوم بتفكيك مفهومي التنظير والطبقة الاجتماعية وإعادتهما إلى أصولهما النظرية وما صاحبها من تطور في المضامين، ثم بإعادة تركيبهما بوصفهما طرفين متفاعلين ومتحاورين في نظرتهما للرواية ومفهومها وأنواعها ووظائفها. أما التقييم فسيكون خاصا بالنقد السعودي في تلقيه لتلك العلاقة وتفاعله معها تأثرا وتأثيرا، كما سيتخلل العمليات الثلاثة تفسيرا للمفهومين وعلاقتهما، واستنتاجا للمبادئ التي قام عليها التواصل بينهما، إضافة إلى الآليات التحليلية والقيم النقدية، وامتداداتها في النقد العربي وما طرأ عليها من تطبيق وتوظيف، وفي النقد السعودي الروائي وما صاحب ممارسته من متابعة واختلاف؛ ممارسة سيكون عرضها تاريخيا ونقديا في الوقت ذاته.

وستبنى الدراسة على مقدمة وخاتمة يتوسطهما خمسة فصول، فالمقدمة ستكون محلا لتحديد الموضوع وإشكاليته، وأسئلته الرئيسة، إضافة إلى الدراسات السابقة والمنهج والأهداف، أما الفصل الأول فسيكون مخصصا لمراجعة التنظير الروائي والطبقة الاجتماعية بوصفهما أولا مفهومين حاملين لعدد من التصورات والشروط والأهداف، ثم مراجعة العلاقة بينهما، وما أثرته في الرواية من محاولة تعريفها أو تحديد أنواعها ووظائفها، إلى ما أنتجته من أحكام نقدية متأثرة بالجوانب النظرية السابقة.

سيحاول الباحث تقصي التأثيرات السابقة في الفصل الثاني الذي سيكون معنيا بالنقد العربي وتلقيه لها، بداية بالجوانب النظرية وما اشتملت عليه من مفهوم للرواية وتصنيف لها وتوصيف مهماتها، وانتهاء بالأحكام النقدية المراعية للجوانب السابقة.

أما الفصل الثالث فسيخصص لدراسة بنية المجتمع السعودي بهدف التعرف على طبيعتها الطبقية، ومدى وعي النقاد السعوديين بها، وبمفهوم الطبقة الاجتماعية بواسطة تحليلاتهم وتفسيراتهم للنصوص الروائية ومواضيعها وعناصرها، ليكون الفصل الرابع محلا لاستنتاج الجوانب النظرية في النقد السعودي المتأثرة بعلاقة التنظير الروائي الغربي والنقد العربي بالطبقة الاجتماعية، وهي جوانب تتضمن المفهوم والأنواع والوظائف.

أما الفصل الخامس فسيكون خاصا بالجوانب التطبيقية في النقد السعودي المتأثرة بالجوانب النظرية في أحكامها التحليلية والتقييمية، لتأتي الخاتمة استخلاصا لأهم النتائج التي وصلت إليها الدراسة.

ولا أنسى في خاتمة هذه المقدمة أن أشكر كل من كان له يد عون ومساعدة في إنجاز هذه الدراسة، دعما وتوجيها وانتقادا، بداية بالدكتور عادل الزهراني الذي أشرف على خطتها قبل اعتمادها، والأستاذ الدكتور عبد الرحمن الوهابي لمراجعته إياها وتقييمها، والدكتور سعيد الجعيدي الذي فتح قلبه وعقله للاستماع والحوار، ومكتبته لاستعارة الكتب المهمة التي تعذر الحصول على بعضها، والأستاذ الدكتور حسن النعمي لإشرافه على إنجازها، إشرافا تميز برقي التعامل وعمق التوجيه، ولوالدي وإخواني وزوجتي وبناتي وأصدقائي على سؤالهم ودعائهم اللذين كانا خير معين لمواجهة مصاعب هذه الدراسة، المتمثلة في وفرة مصادرها، وصعوبة الحصول على عدد منها؛ خصوصا الرسائل العلمية المناقشة في الجامعات العربية.

الفصل الأول

التنظير الروائي الغربي والطبقة الاجتماعية: المفهوم والعلاقة

الفصل الأول: التنظير الروائي الغربي والطبقة الاجتماعية: المفهوم والعلاقة

سيحدد هذا الفصل أولا، المضامين الأساسية لمفهوم التنظير عامة والتنظير الروائي خاصة، والأساليب المعتمدة في التعريف بهما، ومحاولة استخلاص مفهوم إجرائي تعتمد عليه الدراسة في تحليلاتها وأحكامها.

كما سيناقش مفهوم الطبقة من حيث مكوناته الرئيسة، وما جرى عليها من اختلاف في تصورها، وما بني على ذلك من تصنيفات ومفاهيم موازية.

ليُبحث بعد ذلك في تاريخ العلاقة بينهما فيما يتصل بالموقف من الرواية من حيث القبول والرفض، ومحاولة تفسير نشوئها، ومنحها مفهوما ملائما لذلك، وتمييزها عن غيرها من الأجناس الأدبية، وتصنيف أنواعها ووظائفها، وما ترتب على ذلك كله من تأويلات وأحكام.

مفهوم النظرية والتنظير الروائي

أولا: أسلوب التعريف بالمقابل

التنظير Theorisation هو مصدر الفعل نظّر في اللغة العربية، وهو-أيضا- فعل النظرية كما يدل عليه Theorize في اللغة الإنجليزية[١]، وليست العلاقة بين المصدر والفعل هنا علاقة الأصل بالفرع، وإنما هي التأكيد على أمرين: أولهما أن التنظير مرتهن بفعل النظر الذي تطور لاحقا في المعجمين العربي والغربي حتى صار مجموعة من أفعال التأمل المرتبطة بذاتها والمبتعدة عن النفعية[٢]، والملتزمة بعدد من التصورات القبلية والبعدية[٣]، وثانيهما أن غاية الفعل تنتهي عند ما يسمى بالنظرية Theory، وما محاولة التعريف بالتنظير إلا محاولة أخرى للتعرف على مفهوم النظرية؛ مضمونه وأسلوب تشكله.

لقد مرت النظرية في مسيرتها التجريدية والتجريبية بعدد من المحاولات والتطورات التاريخية التي أنتجت مفاهيم عدة لها، يمكن تقسيم أسلوب تعريفها إلى طريقتين: طريقة اهتمت بتحديد ماهيتها وشروطها وأهدافها، وطريقة حاولت تعريفها بواسطة ما يقابلها من أطراف، منها: أن النظرية موضوعية، ومقابلة للذاتية التي امتد مرجعها ليجعل من النظرية معارضة للجانب الإنساني في المقاربات الفكرية والدراسات الأدبية

---

[١] Angus Stevenson, Maurice Waite, Concise Oxford English Dictionary, 12 ed, (Oxfoed: Oxford university press, 2011), p1496.

[٢] أكدت مصادر عربية قديمة ومعاصرة على تطور النظر من فعل الإبصار إلى فعل التدبر والتأمل بالفكر والقلب، منها: جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، ط٣؛ (بيروت: دار صادر، ١٩٩٤م)، ج٥، ص٢١٧. وينظر أيضا أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المصباح المنير معجم عربي-عربي، عناية: يوسف الشيخ محمد؛ (بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠١٤م)، ص ٣١٥. أحمد سليم الحمصي، سعدي عبد اللطيف ضناوي، الرافد معجم الناشئة اللغوي عربي-عربي؛ (بيروت: المؤسسة الحديثة للكتاب، ٢٠١٥م)، ص١٠٦٠. ويضيف أحمد مختار عمرو وفريقه إلى النظر: التفكير بدقة. ينظر أحمد مختار عمر وفريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة؛ (القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٨م)، ج٢، ص٢٢٣. كما تدل النظرية وفق المفهومين الإغريقي واللاتيني على الحقيقة المجردة من الغايات النفعية. ينظر البازعي، الرويلي، مرجع سابق، ص٢٧٥.

[٣] تعني القبلية A Priori بعض الحقائق السابقة للتجربة، والبعدية A Posteriori بعض الحقائق أو الوقائع التي تأتي بعد التجربة أو الخبرة. ينظر وليم جيمس إيرل، مدخل إلى الفلسفة مزود بمعجم فلسفي معاصر، ترجمة: عادل مصطفى، مراجعة: يمنى طريف الخولي؛ (القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع، ٢٠١١م)، ص ٣٤٢.

والتاريخ والجماليات والفلسفة[١]، ومضادة في مرحلة تالية للجمال؛ حيث يفترض ماكس فيبر Max Weber أنه يجب على المنظر أن يتجنب أحكام القيمة[٢].

كما قابلت النظرية الأدبية التطبيق بدعوى فشل المنظرين في تحقيقه[٣]، وهو نقد لم يُستخدم لصالح تطوير آلياتها لتكون مناسبة للممارسة أو إعادة اختيار نماذج أخرى تكون أكثر استجابة من غيرها، بل وظف للتقليل منها ومن إنجازاتها أو المطالبة بمجاوزتها[٤]. ويستدعي التقابل السابق مقابلة مشتقة منه -تقريبا-بين النقد والنظرية، فعلى الرغم من الحرص على التمييز بين مجاليهما بغرض تكاملهما وضرورة كل منهما للآخر،[٥] إلا أن هناك من حاول التقليل من النظرية لصالح النقد الذي عُد تجريبيا وإنسانيا وجماليا[٦] لتكون النظرية مقابلة لكل ذلك.

تستدعي الثنائية الفائتة ثنائية النظرية وما قبلها التي تمثل مرحلة سابقة كانت فيها الدراسة الأدبية قريبة إلى النقد التطبيقيPractical Criticism[٧]، الذي كان محاولة لتأكيد قيم ثابتة ومستمرة، تساعد على الارتقاء بالذوق والعاطفة وتوسيع مدارك العقل عبر الاستغناء عن السياقات التاريخية، والحد من تسرب المقدمات الأيديولوجية، والتركيز على القراءة التفصيلية للنص الأدبي، وما تقتضيه من شرح وتفسير حرصا

---

[١] Chris Baldick, Literary Theory the basics, 3ed, (oxford: oxford university press, 2008), p334.

[٢] تعد أحكام القيمة جزءا من الجماليات أو النقد الأدبي، ينظر كيبيدي فارغا وآخرون، النظرية والنص، ترجمة: منذر عياشي؛ (إربد: عالم الكتب الحديث، ٢٠١٣م)، ص٢٣٧.

[٣] فخري صالح وآخرون، آفاق النظرية الأدبية المعاصرة بنيوية أم بنيويات؛ (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٧م)، ص٣٠.

[٤] عرفت تلك المطالبات بحروب النظرية، ومن أهم ممثليها ريتشارد رورتي Richard Rorty الذي وجد في تطبيق النظرية كيفية لتسويغ طريقة الإنسان في الحياة؛ إذ تعطيه بعض الأسباب الأساسية لما تفعله. فخري صالح وآخرون، مرجع سابق، ص٧١.

[٥] من تلك المحاولات: محاولة رينيه ويليك Rene Wellek وأوستن آرن Austin Warren اللذين اعتبرا النظرية دراسة للأسس العامة، بينما النقد دراسة للأعمال المفردة وتحديدا لجمالياتها. ينظر رنيه وليك، آوستن وآرن، نظرية الأدب، ترجمة: عادل سلامة؛ (الرياض: دار المريخ، ١٩٩٢م)، ص٥٨. كما أكدا على عمق العلاقة بينهما وحاجة كل منهما للآخر؛ حيث لا يمكن تصور نظرية دون تاريخ أو نقد. المرجع السابق، ص ص٦٤- ٦٥.

[٦] لقد فضّل إدوارد سعيد النقد على النظرية؛ وذلك لاستعادة الممارسة الإنسانية التي وقفت منها النظرية انحيازا لمصلحة النصية موقف عداء. ينظر فخري صالح وآخرون، مرجع سابق، ص١٦.

[٧] تقوم فكرة النقد التطبيقي على "أن الأثر الأدبي قائم بذاته، وفيه ما يشبه الحياة العضوية، لذا يجب تحليله تحليلا تطبيقيا لبنيته المستقلة عن ملابسات تأليفه، أو عن أي أفكار لا تتصل بالعمل اتصالا مباشرا". أحمد مختار عمر: مرجع سابق، ص١٣٨٧.

على المعنى وتجلية غموضه، ومحافظة على تماسك النص بواسطة انصهار الشكل والمحتوى[١]، لتكون بذلك النظرية مناقضة في مبادئها لتلك المرحلة؛ حيث تنطلق من التشكيك في القيم، والبحث عما وراء المعنى من بنى لغوية أو ثقافية[٢]، وجعل الحقائق مؤقتة والمعاني مشروطة والطبيعة الإنسانية أسطورية[٣].

ويلاحظ على الثنائيات السابقة ميلها إلى نقد النظرية أكثر من التعريف بها؛ نقدا كان محصورا في ممارستها المتأثرة بالظروف التاريخية والسياسية المحيطة بها دون تمييز بين السياق المؤثر في انتقاء جوانب من النظرية وبين ماهيتها وشروطها[٤]، كما كان النقد انتقائيا وموجها للبنيوية Structuralism[٥]، فكانت بذلك مثالية[٦] وتزامنية[٧]، إضافة إلى أنها خلطت بين النقد والنظرية فنقدت الأخيرة بمعايير الأول.

ثانيا: أسلوب التعريف بالماهية والشروط والأهداف

---

[١] Peter Barry, Beginning Theory An Introduction to Literary and Cultural Theory, ed3; (Manchester: Manchester university press, 2009), p 13,14,15,17, 18. كما ينظر في تأكيد أن مرحلة ما قبل النظرية هي مرحلة المعنى. Hans Bettens, Literary Theory the Basics, 3ed; (LondonlNew York: Routledge, 2014), p4-25.

[٢] على الرغم من أن هناك من يربط النظرية بإعطاء معنى للعالم. ينظر Shaun best, a beginner's guide to social theory, London: sage publications, 2003, p4.

[٣] Beginning Theory, p33,34.35.

[٤] من ذلك: أن باربرا كريستيان ترى أن "النظرية انتشرت وعممت مؤسسيا وأكاديميا إلى الحد الذي فرضت فيه علينا ولم نعد قادرين على مناقشة أدبنا الذاتي". ينظر البازعي، الرويلي، مرجع سابق ص٢٧٧. ويمضي في السياق ذاته تيري إيغلتون Eagleton حينما عد النظرية الأدبية وفق ممارستها وظروفها جزءا من التاريخ السياسي والأيديولوجي، ودعما للأنظمة السياسية. ينظر تيري إيغلتون، نظرية الأدب، ترجمة: ثائر ديب؛ (دمشق: منشورات وزارة الثقافة، ١٩٩٥م)، ص ص ٣٢٧-٣٢٨.

[٥] لقد أصبحت النظرية الأدبية مقصورة على البنيوية، بداية من التأريخ لها وتحديد سماتها التي أصبحت منطلقا لنقدها. ينظر في ذلك: Chris Baldick, Literary Theory the basics, p334. وينظر أيضا طوني بينيت، لورانس غروسبيرغ، ميغان موريس، مفاتيح اصطلاحية جديدة معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، ترجمة: سعيد الغانمي؛ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٠م)، ص٦٩٣. البازعي، الرويلي، مرجع سابق، ص٢٧٧. تيري إيغلتون، ما بعد النظرية، ص٣٦.

[٦] Beginning Theory, p20. وتعني المثالية أو الفطرية Innateness امتلاك الإنسان لمعرفة قبلية تمكنه من التعلم، بينما التجريبية Empiricism تقوم على فكرة أن الحواس هي مصدر المعرفة البشرية. ينظر إيرل، مرجع سابق، ص ص ٨٩-٩٠.

[٧] يقول ريكور Ricour :"إن النظرية وصف تزامني للنظام"، وهو يقصد بذلك البنيوية التي أصبحت النظرية حكرا عليها. ينظر فخري صالح وآخرون، مرجع سابق، ص٧٨.

وتفاديا للملاحظات السابقة سيتم التركيز على الأسلوب الأول؛ أسلوب التعريف بالمحددات المعنية بتوضيح الماهية والأهداف، وهو الغالب على كثير من المعاجم العامة أو الفلسفية أو الأدبية الخاصة، إذ عرفها معجم أكسفورد على أنها" افتراضات أو نظام من الأفكار تميل إلى شرح بعض الأشياء، خصوصا المعتمدة على المبادئ العامة والمستقلة"[١].

وهو تعريف سيتم الانطلاق منه بغية التوضيح للمواصفات المكونة للنظرية، المجزأة إلى جزأين: جزء اهتم بتوضيح الماهية، وجزء آخر اهتم بالأهداف. أما الماهية فقد عُبر عنها بالافتراضات ونظام الأفكار، حيث يعني الافتراض Assumption فلسفيا اقتراحا مؤقتا[٢]، ويترادف مع مصطلحات أخرى، مثل المسلمات Postulates؛ "وهي افتراضات غير بديهية في نفسها إلا أن العقل يستند إليها في البرهان على قضايا أخرى"[٣]، والمقدمات الأولية Premises التي تتألف منها الحجة Proof[٤].

وهناك من يحاول استبدال الآراء بالمسلمات محاولة للتأكيد على أنها نتيجة تفاعل الإنسان مع ذاته ومع ما حوله من أنظمة ومعتقدات، والتأكيد على أنها نتيجة فكر وتأمل وليست معطى جاهزا[٥]، وهي بهذا تقابل البديهيات Axioms التي تتكون من مبادئ تحليلية صادقة في ذاتها، مثل: أن الكل أكبر من الجزء[٦].

ويعني ما سبق انطلاق النظرية من معطيات تركيبية سابقة تتميز بالوضوح والصدق، وطول التفكير، يوحد بينها المنظر، ويكوّن منها نسقا منظما، وهذا ما تعنيه عبارة (نظام من الأفكار)، التي تحيل إلى تصور

---

[١] Concise Oxford English Dictionary, p1496

[٢] إيرل، مرجع سابق، ص٣٤٣.

[٣] جميل صليبا: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية؛ (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢م)، ج١، ص١٠٦.

[٤] المرجع السابق، ج٢، ص١٩٧.

[٥] تعرف النظرية بأنها "طائفة من الآراء تُفسر بها بعض الوقائع العلمية أو الفنية". ينظر الحمصي، ضناوي، مرجع سابق، ص١٠٦٢. وينظر أيضا إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط؛ (القاهرة: المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، ب.ت)، ص٩٣٢.

[٦] صليبيا، مرجع سابق، ج١، ص٢٠٢.

مهم للنظرية يتعلق بضرورة ترتيبها ترتيبا قادرا على الشرح والتفسير، وهذا ما يتفق ومفهوم النظر عند الرازي الذي يعرفه بأنه "ترتيب تصديقات يتوصل بها إلى تصديقات أخرى"[١].

أما الجزء المتعلق بالهدف فإن معجم أكسفورد اختصره في الشرح، ولم يقف عند ما هو أبعد من ذلك؛ وهو استخلاص المبادئ والقوانين التي يتم بها تفسير الظواهر، والبحث عن العنصر الكلي المفسر بالبحث عن السمات الأكثر ثباتا[٢].

ولقد حاول هيجل Hegel تلخيص الهدف السابق في خطوات ثلاث، وصف الأولى بالجانب المجرد وهو جانب الفهم، والثانية بالجانب الجدلي أو السلبي للعقل، والثالثة بالجانب النظري أو الإيجابي له[٣]، وبذلك يصبح التنظير عملا إيجابيا متدرجا من الفهم إلى إدراك المتناقضات ومحاولة التوفيق بينها من أجل استخلاص العنصر العام.

تتحول النظرية وفق مفهوم الافتراض الأخير إلى الطموح في أن تكون موضوعية ومنضبطة إلى حد ما، حاولت الأبستمولوجيا الحديثة أن تحددها في ثلاثة شروط رئيسة: الأول يتعلق بالطابع الواضح لتلك الفرضيات والنتائج، والثاني باستعمال لغة نظرية دقيقة إلى حد ما، والثالث في التحقق من كل التأكيدات[٤].

وبتطبيق المحددات السابقة على المفاهيم الموضوعة للنظرية في المعاجم الأكثر تخصصا ودقة، فإنها تنطبق بصورة كبيرة على التعريف الذي وضعه طوني بينيت Bennett ورفاقه لها؛ حيث عرفوها على النحو الآتي: "مخطط أو نسق من الأفكار أو الأحكام التي تراعى كتوضيح أو تفسير لمجموعة من الوقائع أو

---

[١] صليبيا، مرجع سابق، ج٢، ص٤٧٣.
[٢] مجموعة من الكتاب الروس، مدخل إلى علم الأدب، ترجمة: أحمد علي الهمداني، ط٢؛ (عمان: دار المسيرة، ٢٠١٠م)، ص٢٢٩.
[٣] هيجل، موسوعة العلوم الفلسفية، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام؛ (بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر، ١٩٨٣م)، ج١، ص٢١١.
[٤] هيد غوتنير، من كتاب منهجية نظريات الأدب مرجع سابق، ص٩.

الظواهر؛ أي هي فرضية تؤكدها أو توضحها الملاحظة أو التجريب، وتقترح أو تقبل كتفسير لوقائع معروفة؛ وبيان لما يعتبر قوانين عامة، أو مبادئ، أو أسباب شيء ما معروف أو ملاحظ".[١]

ثالثا: مفهوم التنظير الروائي

لا تتأثر تلك المحددات العامة والرئيسة للنظرية بما يضاف إليها من نعوت إلا من حيث نسبة تمثلها للقيم السابقة، فالنظرية الأدبية بما تشتمل عليه من نظريات للشعر والسرد ومنها التنظير الروائي، تحاول أن تلبي تلك المبادئ والأهداف بصورة تمكن الناقد من فهمها وإمكانية تطبيقها أو نقدها نقدا يقوم على تطويرها، أو تقديم بديل نظري يكون أكثر استجابة للنصوص والخطابات.

فالنظرية الأدبية Literary Theory تقوم على افتراضات فلسفية، مثل الفلسفة المثالية أو التجريبية، أو مقدمات سياسية، مثل النقد الماركسي أو النسوي وما بعد الكولونيالية، أو تصورات ثقافية، مثل النقد الثقافي ونظريات تحليل الخطاب، كما أنها تهدف إلى استخلاص القوانين العامة أو المتحكمة بالنصوص التي تدرسها لكشف ما فيها من بنى عامة صالحة للتعميم على النتاج اللغوي.[٢]

هناك من يعدها فرعا خاصا بعلم الأدب إضافة إلى النقد والتاريخ الأدبيين، تمتلك تطورا تاريخيا قديما طويلا، يؤرخ له بكتاب أرسطو (بويطيقا)[٣]، ويعرفها بمهامها وأهدافها، ومنها: أن تضع النظرية أسس مفهوم

---

[١] بينيت وآخرون، مرجع سابق، ص٦٩٢.
[٢] فخري صالح وآخرون، مرجع سابق، ص٢٦.
[٣] مجموعة من الكتاب الروس، مرجع سابق، ص٣٦. وينظر أيضا Beginning Theory, p21 ، أما ربط النظرية باستخلاص الكليات وتحقيق التعميم فينظر تليمة، مرجع سابق، ص١٧. أما إيغلتونEagleton فيربط بدايتها بإفلاطون. ينظر إيغلتون، ما بعد النظرية، ص٣٥.

مادة علم الأدب[١]، وأن تعنى بعناصر العمل الفني وطريقة بنائها وتنظيمها وتأثيرها[٢]، أو التعرف على وظائف النص وعناصره[٣]، وتفسير وظائف الشكل، وتصنيف النصوص إضافة إلى ماهيتها، فهي "بحث في ماهية الأدبي، وما فيه من أجناس وأنواع، وما يتصف به كل نوع من صفات تجعله مختلفا عما ليس هو.."[٤]، أو التمييز بين اللغة الأدبية والعادية أو العلمية.[٥]

ومن أهداف النظرية الأدبية المتصلة بالممارسة والنقد، "إثراء وإضاءة الممارسة النقدية وجعل تفسير الأعمال الأدبية أكثر تناسقا ودقة"[٦]، وكشف تحيزات النقد السابق وتفسير الطريقة في النظر إلى الأشياء[٧]، وتحرير النقاد من فكرة أن هناك تفسيرا واحدا فقط للعمل[٨].

ويضيف إيغلتونEagleton إلى ما سبق أن النظرية أثبتت أن هناك أشياء كثيرة تشارك في صنع العمل الفني مثل اللاوعي والمتلقي، وأن هناك صلة بين الثقافة والسلطة[٩]؛ تلك الصلة التي تمنح النظرية من جانب آخر هدف تحويل العالم ليس ملاحظته وحسب[١٠].

---

[١] مجموعة من الكتاب الروس، مرجع سابق، ص٣٧. ولقد عُرفت النظرية بالمفاهيم دلالة على أهمية وضعها من أجل تحديد طبيعة الأدب أو جنسه، وما تقوم به بعد ذلك من وظائف أو إشكالات. ينظر تعريف النظرية المرتبط بالمفاهيم. أحمد مختار عمر وفريق عمل، مرجع سابق، ص٢٢٣٣.

[٢] مجموعة من الكتاب الروس، مرجع سابق، ص٣٨.

[٣] فخري صالح وآخرون، مرجع سابق، ص٩٩.

[٤] خليل إبراهيم، في نظرية الأدب وعلم النص بحوث وقراءات؛ (بيروت/ الجزائر: الدار العربية للعلوم/منشورات الاختلاف، ٢٠١٠م، ص١٣. وينظر أيضا اشتمال النظرية الأدبية على فكرة الأجناس والأنواع مجموعة من الكتاب الروس، مرجع سابق، ص٣٨. وينظر تيري إيغلتون، ما بعد النظرية، ص١١١.

[٥] ولقد اعتبر بيتر باري Peter Barry بسبب هذا التمييز فيليب سيدني Philip Sidney من أوائل المنظرين البريطانيين لاهتمامه بهذه القضايا إضافة إلى القضايا العامة بالأدب، مثل عمل بنية النص وتأثيرها على القراء والجمهور، وطبيعة لغة الأدب، وعلاقة الأدب بالسياسة والجندر.. .Beginning Theory, p22, 23, 25

[٦] وهو من أهداف جوناثان كولر. ينظر البازعي، الرويلي، مرجع سابق، ص٢٧٨.

[٧] المرجع السابق، ص٢٨١.

[٨] إيغلتون، ما بعد النظرية، ص١١٦.

[٩] إيغلتون، ما بعد النظرية، ص ١١٧، ص ١١٨.

[١٠] بينيت وآخرون، مرجع سابق، ص٦٩٣.

ووفقا لتلك المحددات العامة والخاصة، يكون التنظير الروائي معنيا بدراسة النصوص الروائية دراسة موضوعية وفق مقدمات أولية وشروط أبستمولوجية، بهدف استخلاص مفهومها وأنواعها، والتعرف على عناصرها وطريقة انتظامها ووظائفها المختلفة. وهو ما يمكن استخلاصه من كتب النظرية الأدبية والسردية عموما، أو النظريات الخاصة مثل النظرية الاجتماعية للأدب، أو النظرية الخاصة بالرواية وتحليل خطابها، أو كل ما يمكن أن يشار إليه من أفكار أو قضايا نظرية تتصل بمفهوم الطبقة الاجتماعية وطريقة توظيفه، إما بوصفه مسلمة أو شرطا أو نتيجة في التعريف بالرواية، أو تأويل نشوئها وتصنيف أنواعها، وتحليل عناصرها، وتحديد وظائفها؛ إلا أن هذه الغاية سيتم تأجيلها حتى استيفاء مفهوم الطبقة الاجتماعية لتكتمل صورة العلاقة.

مفهوما الطبقة الاجتماعية

أولا: المفهوم البراغماتي

تشير المعاجم العامة والمتخصصة إلى وجود معنيين لمفهوم الطبقة Class[1]: المعنى الأول تصنيفي يهدف إلى تقسيم الأشياء التي تشترك في ملامح عامة، وتختلف بها عن الآخرين، بهدف فهمها وتحديد صفاتها، لتكون الطبقة وفق هذا التصور نتيجة لأوضاع مسلم بها مسبقا، والمعنى الآخر تشكيلي يتجاوز حدود الفهم إلى غاية التفسير، ويفترض أن تكون الطبقة وسيلة تكوينية للأشياء، وسببا قبليا لنتائج بعدية.

ويدخل في المعنى الأول مفاهيم للطبقة متعددة ومختلفة في مراجعها المعرفية، مثل مفهوم الطبقة بيولوجيا وجيولوجيا وسوسيولوجيا[2]، التي يلاحظ أنها كانت تقسيمات قائمة على مبدأ التشابه، والاختلاف الذي

[1] تم الاستفادة من هذا التصنيف من بينيت وآخرون، مرجع سابق، ص٤٤٧.

[2] الطبقة بيولوجيا: "هي الواحدة من فقار الظهر". ينظر الحمصي، ضناوي، مرجع سابق، ص٢٢٩. وطبقات الأرض: "هو تكوّن متجانس من الصخور الرسوبية تختلف عما يليه لونا وتركيبا كطبقة الحجر الرملي والجيري"، وتستخدم الطبقة في وصف مستويات الغلاف الجوي، ومن ذلك: طبقة الأوزون. ينظر عمر وفريق عمل، مرجع سابق، ص١٣٨٨. ومن التعريفات

يُفسر بالتفاوت في الحجم والموقع والأثر، ومنه أيضا التفاوت الأخلاقي والعلمي والإبداعي الذي كان محورا رئيسا لمفهوم الطبقة في التراث العربي خصوصا في علوم الحديث والأدب والبلاغة والنقد[١]، ومعنىً لعدم تساوي الأفراد أو الكلام فيما يشتركون فيه من مهارات أكسبت تنظيمهم نوعا من التسلسل الهرمي، كان الهدف منه تقويميا أكثر منه تحليليا، وفرديا أكثر منه اجتماعيا؛ حيث لم يكن للبنى الاجتماعية تأثير في إحداث ذلك التفاوت.

ولقد لخص مايكل أرقايل Michael Argyle المفهوم التصنيفي في رؤيته للطبقة من الناحية الاجتماعية، فعده معيارا طبيعيا بين الأفراد والمجموعات، وأكد بواسطة دراسات ميدانية أن كثيرا من الناس يدركون طبقاتهم إدراكا معيشيا وليس مفاهيميا[٢]، إدراكا عفويا أوصله إلى نتيجة أنه "لا وجود لمجتمع خالٍ من طبقات"[٣]، متفاوتة أفراده في أرزاقهم، أو في نصيبهم من الجاه[٤].

السوسيولوجية تعريف الطبقة بوصفها معيارا اجتماعيا "قائما على تجميع البشر المتشابهين في وظائفهم ومقاماتهم الاجتماعية ومصالحهم". ينظر عمر وفريق عمل، مرجع سابق، ص١٣٨٧.

[١] لقد عرفت العلوم التراثية الإسلامية مفهوم الطبقة من حيث معناه التصنيفي الذي اهتم بتصنيف العلماء والأدباء، والترجمة لهم، فكانت الطبقة بذلك مفهوما تراتبيا خاصا بالفرد وملكاته الذهنية، ومن الأمثلة على ذلك: في التفسير طبقات المفسرين للسيوطي، وطبقات المفسرين للداوودي، وفي القراءات: طبقات القراء لابن الجزري، وفي الحديث: طبقات رجال علماء الحديث للصالحي، وفي الشافعية: طبقات الشافعية لابن كثير، وفي الحنابلة طبقات ابن أبي يعلى. أما في الأدب فالمثال المشهور على معنى الطبقة التصنيفي التقييمي طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي. ولقد راجع المجالي مفهوم الطبقة في التراثين الأدبي والفقهي، وجميع ما وصل إليه من معان لا يتفق مع مفهوم الطبقة الاجتماعية باستثناء ما أشار إليه من تشابه الطبقة في السمات والمنزلة؛ حيث يرى أن علماء الحديث أول من تنبه لذلك. ومن معاني الطبقة في التراث العربي الجيل، والحال، والتراجم، ينظر جهاد المجالي، مفهوم الطبقات في النقد الأدبي عند العرب، ط١؛ (عمان: دار يافا، ٢٠٠٩م)، ص ص ٢٢-٣١.

[٢] Michael argyle, The Psychology of Social Class; (London/New York: Routledge1994), p3.

[٣] The Psychology of Social Class, p293.

[٤] يعرف ابن خلدون الجاه بـ"القدرة الحاملة للبشر على التصرف في من تحت أيديهم من أبناء جنسهم، بالإذن والمنع، والتسلط بالقهر والغلبة، ليحملهم على دفع مضارهم وجلب منافعهم في العدل بأحكام الشرائع والسياسة". ينظر عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: درويش الجويدي؛ (بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠٠٩م) ص٣٦٢. كما يرى ابن خلدون أن الناس في حصولهم على الجاه طبقات في ذلك، "ينتهي في العلو إلى الملوك الذين ليس فوقهم يد عالية، وفي السفل إلى من لا يملك ضرا ولا نفعا بين أبناء جنسه، وبين ذلك طبقات متعددة حكمة الله في خلقه". ينظر المرجع السابق.

ولقد فسر ابن خلدون التفاوت بالحكمة الإلهية المعنية بحفظ النوع الإنساني ومراعاة مصالحه[١]، تفسيرا يجعل من الطبقة عاملا تصنيفيا لمبدأ التفاوت المعيشي، مقبولا بالفطرة من أفراد المجتمع، ونتيجة طبيعية لأسباب فوق طبيعية.

وبناء على هذا التصور الواضع من الطبقة الاجتماعية نتيجة لشروط اقتصادية وثقافية مسبقة، جرى تصنيف المجتمع وتوزيعه استنادا إلى المكانة الوظيفية أو الدخل والتعليم كما هو مطبق في بريطانيا وأمريكا[٢]، دون النظر إلى ما يمكن أن تحدثه الطبقة في تلك الشروط وتكون سببا في وجوده.

ثانيا: المفهوم السببي

أما المعنى الثاني للطبقة فإنه يتجاوز المعنى الأول المتعلق بالتصنيف والوصف، ويمنحها معنى التشكيل والتفسير، لتكون عاملا أساسيا في تكوّن ظواهر اجتماعية واقتصادية وثقافية، وأداة مركزية لشرح التفاوت المعيشي وتوظيفه؛ إنه المفهوم الذي أثاره وطوره كارل ماركس Karl Marx؛ وقرر فيه أن الطبقة تكتسب بدورها "وجودا مستقلا في مواجهة الأفراد بحيث إنهم يجدون ظروف معيشتهم مقررة مسبقا ومن ثم يكون قد تم تحديد وضعهم في الحياة ونموهم الشخصي عن طريق طبقتهم"[٣]، فالطبقة هنا هي من تحدد الوضع وتفرض الشرط، وبذلك تكون فعلا مؤثرا لا أثرا ناتجا.

---

[١] ويرجع تفسير ابن خلدون إلى تأثره بآراء المفسرين، وعلى رأسهم الطبري في تفسير آية التفاوت في سورة الزخرف (٣٢) التي كانت ردا على المشركين في اعتراضهم على نبوة محمد -صلى الله عليه وسلم -لافتقاده المال ومواصفات العظمة؛ حيث رأى الطبري وسايره في ذلك المفسرون من بعده أن النبوة مثلها مثل الرزق، قسمها الله بين عباده وفاوت بينهم رحمة منه وابتغاء في تحقيق التعايش بينهم، ليعتمد كل منهم على الآخر. ينظر ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: بشار عواد معروف، عصام فارس الحرساني؛ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٤م)، مج٦، ص٥١٩. ويتشابه رأي تالكوت بارسونزTalcott Parsons عالم الاجتماع الأمريكي مع رأي ابن خلدون في غاية التفاوت، لما اعتبر التوزيع الطبقي ظاهرة وظيفية ووسيلة فعالة لحفظ النسق واستمراره. إيان كريب، النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس، ترجمة: محمد حسين غلوم؛ (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون-عالم المعرفة، ١٩٩٩م)، ص٨٤.

[٢] The Psychology of Social Class, p3, 6.

[٣] ريموند وليمز، الكلمات المفاتيح، ترجمة: نعيمان عثمان؛ (بيروت/الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٧م)، ص٧٦.

لقد حدد ماركس Marx فاعلية هذا المفهوم بثلاثة معايير أساسية[١]، الأول اقتصادي، يضم الأفراد المنتمين إلى طبقة بعينها في طريقة الإنتاج، والثاني ثقافي يتعلق بإدراك الأفراد لأوضاع طبقتهم إدراكا يتطور لاحقا في شكل نقابات وأحزاب، وهو وعي ينطلق كما يرى إريك رايت Erik Wright من (الإبصار الذاتي) الذي يمتلكه الأفراد بمصالحهم المادية ووسائل تعظيمها في المستقبل[٢]، وهو من يساعد الناس – من وجهة نظر جيمسون Jameson- على تحديد حاجاتهم ومطالبهم الاجتماعية والسياسية[٣].

إلا أن قمة هذا الوعي يتجلى في المعيار الثالث، وهو معيار العلاقة الذي حده ماركس Marx بالصراع والعداء بين الطبقتين المختلفتين[٤]؛ الطبقة البرجوازية Bourgeoisie التي وصف أفرادها بالرأسماليين العصريين المالكين لوسائل الإنتاج، ومستخدمي العمال المأجورين لزيادة الفائض القيمي، والبروليتارية Proletariat؛ طبقة العمال الأجراء المعاصرين المضطرين إلى بيع قوة عملهم[٥]. ولقد عد ماركس الصراع الطبقي Class Struggle -الذي كان نتيجة للاستغلال[٦] -المسؤول عن حركة التاريخ التقدمية وتغيير

---

[١] على الرغم من أن ماركس Marx طرح في الجزء الأخير من كتابه (رأس المال) سؤالا مهما عن المعايير التي تؤلف منها الطبقة، إلا أن المخطوطة انتهت عند ذلك، ولم يجد إنجلز Engels الذي تكفل بنشر الجزء الثالث ما يدله على الإجابة؛ لذلك فإن هذه المعايير هي تعبير عن فهم لعدد من أتباعه وقرائه لمحاولة الإجابة عن ذلك السؤال. بالنسبة للسؤال ينظر. كارل ماركس، رأس المال نقد الاقتصاد السياسي، المجلد الثالث عملية إنتاج رأس المال ككل، ترجمة: فالح عبد الجبار؛ (بيروت: دار الفارابي، ٢٠١٣م)، ص١٠١٨.

[٢] أحمد موسى بدوي، تحولات الطبقة الوسطى في الوطن العربي؛ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٣م)، ص٦١.

[٣] ينظر Shaun Best, a Beginner's Guide to Social Theory; (London: Sage Publications, 2003), p78.

[٤] جورج لوكاتش، التاريخ والوعي الطبقي، ترجمة: حنا الشاعر، ط٢؛ (بيروت: دار الأندلس، ١٩٨٢م)، ص٦١.

[٥] في تحديد مفهوم البرجوازية والبروليتاريا من المنظور الماركسي ينظر كارل ماركس، فريديريك أنجلز، بيان الحزب الشيوعي، ترجمة: عصام أمين، نسخ إلكتروني، جريدة المناضل، وجدي صبري، ٢٠٠٠م، ملاحظة إنجلز على الطبعة الإنجليزية عام ١٨٨٨م. حاشية ص ١٥.

[٦] Ralf Dahrendorf, Class and Class Conflict in Industrial Society, Stanford/ California: Stanford University Press, 1959 , p13.

المجتمع[١]؛ مسؤولية جعلت كثيرا من شارحي ماركس يصفونه بالحاسم في مفهومه، والمميز له عن مفاهيم تصنيفية مشابهة[٢].

ولعل فكرة الصراع عند ماركس مستمدة من مصادر عدة، مثل: اليوتوبيا الفرنسية French utopian أو ديالكتيك هيجل[٣] Hegel's dialectics، أو فكرة الصراع من أجل بقاء الأصلح كما يرى داروين Darwin[٤]، إلا أن الباحث قد يشير إلى مصدر آخر ظهر في نقاش ماركس Marx وأمثلته لأنواع رأس المال، وتحديدا في رؤيته للتربة الزراعية التي وجد أن تحسينها مرتبط بوسائل عدة، منها: استخدام وسائل ميكانيكية تقلب طبقة التربة الدنيا إلى العليا[٥]، قلبا يسهم في إصلاح الأرض وإعادة إخصابها، وهو ما أراد أن يكرره ويسقطه على المجتمع على اعتبار أن تكون الطبقة العمالية طبقة دنيا، تنقلب على الطبقة الحاكمة وتقود مسيرة الإصلاح التي تعادل بالنسبة له مسألة الإخصاب، وفي هذا يكمن معنى التطور الذي حاول أن يقدم له أمثلة عدة من خلال تحديد يوم عمل عادي للعمال، إضافة إلى إلزامية التعليم الابتدائي للأطفال حتى لا يتم استغلالهم[٦].

---

[١] ينظر ماركس، إنجلز، بيان الحزب الشيوعي، ص١٦. وينظر أيضا Shaun Best, a Beginner's Guide to Social Theory, P50 . ويعارض جيمسون Jameson المنظور الماركسي، ويستبدل الثقافة بالاقتصاد، ويرى أنها سبب الصراع. ينظر.Shaun Best, a Beginner's Guide to Social Theory, P75

[٢] وممن تابع ماركس في ذلك: رالف دارندورف Ralf Dahrendorf الذي وجد أن المنزلة والرتبة وأسلوب الحياة والظروف الاقتصادية المتشابهة ومستوى الدخل كلها عوامل تعرف المستوى الاجتماعي social strata لا الطبقة، معتبرا أن الأخيرة لا تُعرف إلا بالصراع. ينظرRalf Dahrendorf, Class and Class Conflict in Industrial society, p 24, p76 .

[٣] Ralf Dahrendorf, Class and Class Conflict in Industrial Society, p8.

[٤] هاينزمس، الفكر الاجتماعي نظرة تاريخية عالمية، ترجمة وتقديم: السيد الحسيني، جهينة سلطان العيسى، ط١؛ (مصر: مطابع سجل العرب، ١٩٨٠م)، ص٦٤.

[٥] ماركس، رأس المال نقد الاقتصاد السياسي، المجلد الثالث، ص٧٦٤.

[٦] ماركس، رأس المال، الجزء الأول، ص٢٩٩، ٣٤٦، ٤٩٦.

ولعل هذا المعنى يقلب معنى الطبقة السابق من أن يكون نتيجة إلى أن يكون سببا، ومن أن تكون العلاقة قائمة على التعاون بالإكراه والتملق،[١] إلى الصراع الذي أريد له أن يكون سببا في تقدم المجتمع بالقضاء على طبقاته[٢].

وممن تأثر بماركس في نظرته للطبقة بوصفها مثيرا وسببا، عالم الاجتماع البريطاني سنتر Center الذي نعتها بالظاهرة النفسية وجزءا من الأنا المتسبب في منح الفرد الشعور بالانتماء إلى شيء أكبر من نفسه[٣]، ودوركايم Durkheim الذي وصفها بـ"سلطة مفوضة التعبير عن المشاعر الجمعية"[٤].

أما تيري إيغلتون Terry Eagleton فلقد وضعها ضمن عوامل تساعد المؤلف على الاندراج في الأيديولوجية العامة[٥]، وعدها غولدمان Goldman تعبيرا عن رؤية العالم النامية في المحيط الاجتماعي[٦]، وذات وظيفة حقيقية تستطيع بها أن تفهم المظاهر الجوهرية للواقع[٧]، كما إنها إحدى وسائل وعناصر البنية التحتية المؤلفة وعيا ممكنا يشكل دائما رؤية للعالم متماسكة سيكولوجيا ويُعبر عنه على المستوى الديني والفلسفي والأدبي والفني[٨].

ثالثا: نقد المفهوم السببي

---

[١] ابن خلدون، مرجع سابق، ص ٣٦٢-٣٦٣.

[٢] وتعد فكرة المجتمع غير الطبقي من الأفكار الأساسية لدى ماركس التي تجعل من الطبقة مفهوما تحفيزيا. ينظر أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية إنجليزي-فرنسي-عربي؛ (بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٢م)، ص٦٢.

[٣] Ralf Dahrendorf, Class and Class Conflict in Industrial society, p74-75.

[٤] إميل دوركايم، في تقسيم العمل الاجتماعي، ترجمة: حافظ الحمالي؛ (بيروت: اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، ١٩٨٢م)، ص٩٥.

[٥] ومن تلك العوامل: الجنس والقومية والدين والإقليم الجغرافي. ينظر تيري إيغلتون، النقد والأيديولوجيا، ترجمة: فخري صالح؛ (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٢م)، ص٧٥.

[٦] لوسيان غولدمان، المادية الجدلية وتاريخ الأدب، من كتاب: البنيوية التكوينية والنقد الأدبي، ترجمة: محمد برادة، راجع الترجمة: محمد سبيلا، ط٢؛ (بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٦م)، ص١٥.

[٧] لوسيان غولدمان، العلوم الإنسانية والفلسفة، ترجمة: يوسف الأنطكي؛ (مصر: المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٦م)، ص٨٥.

[٨] غولدمان، العلوم الإنسانية والفلسفة، ص١١٥.

لقد عارض فيبر Weber المنظور الماركسي للطبقة من حيث إنها سبب لصراع سياسي بوسائل عنف قد لا تكون منظمة، حيث عاد أولا إلى قيمتها التصنيفية، وعرفها بأنها تشير إلى أي مجموعة من الناس تجمعهم أوضاع مشتركة عامة، مثل ظروف المعيشة الخارجية[١]، وأنها تتكوّن -ولا تكوّن -من التوزيع غير العادل للقوة الاقتصادية وملكية الأرض، مضيفا إليها تأثير المؤسسات الثقافية والدينية[٢].

ويعيد فيبر Weber بهذا المنظور الطبقة إلى المفهوم البراغماتي، ويؤكد على أنها نتيجة لا سبب، مع إبقاء العلاقة بين الطبقات في مستوى التنافس[٣].

كما عارض دوركايم Durkheim النظرة الصراعية بين الطبقات ووصفها بالتعاونية بفعل تقسيم العمل والتقدم الثقافي والقانوني[٤]؛ حيث يرى أن "المهن المختلفة داخل المدينة الواحدة تستطيع التعايش دون أن تضطر إلى أن يؤذي بعضها بعضا"[٥]، محيلا الصراع إلى التقسيم غير المنتظم للعمل الشاذ عن فكرة التضامن الاجتماعي، والمنازعة بين الطبقتين الدنيا والعليا إلى التطور المهاري الذي حصل عليه العمال، الجالب لهم شعورا باستحقاقهم للمراكز الوظيفية العليا[٦].

وليست كل تلك التصورات السابقة إلا محاولة لرفض مفهوم الطبقة السببي، والعودة به إلى المفهوم الذي يجعله معطى اقتصاديا وثقافيا قابلا للتغير والتشكل كلما كانت هناك فرص جديدة[٧].

---

[١] Reinhard Bendix, Max Wwber an Intellectual portrait; (London, lowe and brydone, 1973), p85.،

[٢] المرجع السابق، ص٨٦-٨٧.

[٣] ماكس فيبر، مفاهيم أساسية في علم الاجتماع، ترجمة: صلاح هلال، مراجعة وتقديم: محمد الجوهري، ط١؛ (القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠١١م)، ص٧٢، ص ٧٤.

[٤] دوركايم، مرجع سابق، ص ٧١، ٧٥، ٧٨.

[٥] المرجع السابق، ص٣٠٣. وفكرة تقسيم العمل بهدف التعايش مشابهة للفكرة ذاتها عند المفسرين الإسلاميين كما مر.

[٦] دوركايم، مرجع سابق، ص٤٠١، ٤٢٣. والتعاون هو ما يفسر بواسطته رينر Renner العلاقة بين الطبقات بمحاولة الاندماج. ينظر، Class and Class Conflict in Industrial society, p 95.

[٧] جدول توضيحي يميز بين المفهومين السببي والبراغماتي:

المفهوم السببي	المفهوم البراغماتي
تشكيلي	تصنيفي
سببي في التفسير	استنتاجي يجعل من الطبقة نتيجة

رابعا: أثر الاختلاف بين المفهومين في تصنيف الطبقات

لقد ترك الاختلاف حول مفهوم الطبقة الاجتماعية بين أن تكون نتيجة أو سببا اختلافا حول التشكيلات الطبقية، فماركس Marx صنفها إلى عمال مأجورين ورأسماليين وملّاك عقاريين[١]؛ أي إلى من يملكون وسائل الإنتاج وبين المحرومين منها. ولقد كان هذا التقسيم الثنائي هو الأكثر مناسبة لمفهومي الصراع الذي يميل إلى الوقوع بين ثنائيات متقابلة.

أما الرؤى المختلفة مع ماركس Marx فحاولت أن تعيد الطبقات للتقسيم الثلاثي (عليا ومتوسطة ودنيا) الذي يعد تشكيلا منطقيا لكل نتيجة محتملة[٢]، وملائما لمعايير التنافس والكفاءة، والوسائل الثقافية والاقتصادية بوصفها مشكلات للطبقة لا العكس.

مفسر	واصف
يفسر التفاوت بالظلم والاستغلال	يصف التفاوت بالاختلاف
يفسر العلاقة بين الطبقتين العليا والدنيا بالصراع والعداء والانغلاق	يصف العلاقة بين الطبقات الاجتماعية بالتعاون والتنافس والانفتاح
يقدم العامل الاقتصادي في تحديد المفهوم	يقدم العامل الثقافي في التحديد
إدراكه مقصود وموجه	إدراكه عفوي
قائم على معايير التملك ووسائل الإنتاج	قائم على معايير الدخل والمكانة الوظيفية والتعليم
يصنف الطبقات إلى طبقتين متناحرتين	يصنف الطبقات إلى ثلاث أو أكثر بناء على إمكان الترقي والتعاون
مستقبل الطبقات سياسي مثالي	مستقبل الطبقات اقتصادي واقعي

[١] ماركس، رأس المال، الجزء الثالث، ص ١٠١٧-١٠١٨. ويعود هذا التقسيم إلى رؤيته للطبيعة الثلاثية لرأس المال: الربح؛ ويعني به ربح صاحب المشروع مضافا إليه الفائدة، والأرض؛ وتعني الربح العقاري، والعمل؛ وتعني الأجور. المرجع السابق، ص ٩٤٥. كما أن هذا التقسيم مستمد من تقسيم جون ستيوارت ميل John Stuart Mill إلا أن ماركس أضاف إلى العمال صفة الأجر. ينظر الكلمات المفاتيح، ص٧٥.

[٢] أندريه جوسان، طبقات المجتمع، ترجمة: السيد محمد بدوي، ط٢؛ (القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠١١م)، ص٣٦. ولقد اعتمد هذا التصنيف طوني بينيت ورفاقه في معجمهم. ينظر ص٤٤٦.

وقد تتجاوز التصنيفات إلى أكثر من عشر أو اثني عشر تصنيفا، إلا أن معظمها يتفق على وجود الطبقات الأساسية الثلاثة؛ حيث تكون الحدود بينها مفتوحة وممكنة لتكوين تنويعات مختلفة[١]، تهدف إلى التأكيد على أن الطبقة ليست نتيجة ثابتة في كل الأحوال.

خامسا: المفاهيم الموازية للطبقة

تبقى بعد ذلك مسألة التمييز بين الطبقة والمفاهيم الموازية لها اجتماعيا، مثل مفهوم المرتبة أو الرتبة Rank الذي يتميز عنه مفهوم الطبقة لملاءمته للمجتمع الصناعي، بينما الرتبة كانت أكثر مناسبة للأوضاع الاجتماعية ما قبل الرأس مالية[٢] الإقطاعية Feudalism، فالمرتبة تشير إلى المنصب واللقب، أو الموقع الذي تحتله أي وحدة من أي نوع، تتمتع فيه بالنفوذ والقوة[٣]، ما يعني أنها مفهوم ملائم للطبقة العليا غير شامل لما هو دونها، إضافة إلى أنها تعد عاملا لتشكيل الطبقة، التي تعد وفق ذلك أعم وأشمل[٤].

كما أن مفهوم الطبقة أكثر عمومية من مفهوم الفئة Category الذي يستخدم بمعنى الطبقة ذاتها أحيانا[٥]، فالفئة تقوم على عنصر واحد كعنصر الحرفة مثلا أو العمر أو الجنس، أما الطبقة فلها أكثر من محدد، وتضم تحتها الفئات[٦]، ويرى بيغي Peggy أن الفرق بين الطبقة والفئة يكمن في أن الأولى تترجم بإرادة فعل وتفسير أما الفئة فتعود إلى واقع ملاحظ، مستقل عن الفكر والإرادة البشرية[٧]؛ وهو بهذا يقربها من التصور البراغماتي للطبقة.

---

[١] في مسألة التشكيلات الاجتماعية ومعاييرها يمكن الرجوع إلى بدوي، مرجع سابق، ص ص٦٨- ٧٢.
[٢] المرجع السابق، ص٩٢. وينظر أيضا.The psychology of social class, p29
[٣] بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، ص٣٤٥.
[٤] .The psychology of social class,p57, 61
[٥] هذا ما أكد عليه بيغي Peggy في كتابه (الطبقة تاريخ الكلمة وتكوين المفهوم من الفيزوقراطيين حتى مؤرخي عصر عودة الملكية). ينظر يونيل لومونيل، الطبقات الاجتماعية، ترجمة: جورجيت الحداد؛ (بيروت: دار الكتب الجديدة، ٢٠٠٨م)، ص١٩. ولقد استخدم ريموند وليامز الفئة بمعنى الطبقة في تعريفه للأخيرة. ينظر الكلمات المفاتيح، ص٦٨.
[٦] جوسان، مرجع سابق، ص٣٠-٣١.
[٧] لومونيل، مرجع سابق، ص٢٠.

ومن المفاهيم المتداخلة مع الطبقة مفهوم المكانة أو المنزلة Status، خصوصا في أمريكا[١]، إلا أن هناك من وجد أن الأخيرة مثل الرتبة قد تكون أخص من الطبقة وعاملا في تشكيلها[٢].

ومن المفاهيم المتداخلة أيضا مفهوم المستوى Strata الذي يتميز عنه مفهوم الطبقة بناء على Center بأنه ديناميكي بينما الأول إحصائي، أما بوبتز Popitz فيرى أن مفهوم الطبقة انشطاري يقسم الشيء إلى طرفين مختلفين Dichotomy بينما المستوى هرمي Hierarchy.[٣]

ويلاحظ على محاولات التمييز السابقة أنها ركزت على مفهوم الطبقة من حيث إنه براغماتي ونتيجة محصلة من ظروف وعوامل عدة، تكون بعض المفاهيم جزءا منه مثل الرتبة والفئة والمكانة والمنزلة، ويستثنى من ذلك محاولات بيغي Peggy وسنتر Center وبوبتز popitz التي تعاملت مع الطبقة بوصفها سببا.

سادسا: الطبقة بوصفها فرضية

يمكن القول بعد ذلك إن الطبقة مفهوم نظري مؤسس على فرضية أن المجتمع متفاوت في دخله ونمط عيشته ولغته وطريقة مأكله وملبسه ومسكنه، إلا أن هناك من أراد أن يرد التفاوت إلى العفوية والطبيعية التي تكون ناتجا اجتماعيا مسلما به من أفراد المجتمع الذين يحاولون بناء علاقاتهم وفق طبقاتهم على إمكانية

---

[١] المرجع السابق، ص٩٧.

[٢] من ذلك Maciver الذي يرى أن الطبقة ليست تجمعا محددا بواسطة اللغة والعادات والوظيفة والخصوصية، ولكنه وبشكل أساسي عبر منزلته الاجتماعية؛ فهي مجموعة من الناس محددة بالمنزلة الاجتماعية social status، ويسايره في ذلك croner. ينظر Class and Class Conflict in Industrial society, p75.

[٣] Class and Class Conflict in Industrial society, p283.

التنافس أو الاندماج، بينما هناك من حاول أن يفسر ذلك التفاوت، ويحدد أسبابه وآثاره وإمكاناته المستقبلية، بوصفه قوة فاعلة تستجيب لها الظروف والشروط المحيطة بها.

وهي تستمد بهذا التصور من التنظير أسسه وشروطه وأهدافه، التي تسعى النظرية الروائية إلى استثماره وتوظيفه، فالطبقة مفهوم قائم على افتراض أن المجتمع مكون من بنى يحاول الربط بين عناصرها[١]، وهو فعل قريب من فعل النظريات الأدبية التي حاولت أن تتعامل مع النصوص بوصفها بنى داخلية مستقلة، أو بنى تمثيلية لبنى اجتماعية خارجية. وهذا ما سيكون محل دراسة وتساؤل عن مدى استفادة النظرية الروائية من المضامين المختلفة بين التصورين البراغماتي والسببي لمفهوم الطبقة الاجتماعية، وكيفية تعاملها معهما، وهل اكتفت بالتحيز لأحدهما أم بالجمع بينهما، أم حاولت أن تضيف إليهما أبعادا جديدة؟ وما تأثيرات ذلك على التنظير المشتغل بالنصوص الروائية؟

وسيتم الإجابة على كل تلك الأسئلة بعد أن يتم تحديد العلاقة بين التنظير الروائي والطبقة الاجتماعية في النظريات الغربية أولا.

التنظير الروائي الغربي والطبقة الاجتماعية

أولا: الطبقة الاجتماعية وأثرها في التصنيفات والمواقف الكلاسيكية

وجب قبل الحديث عن العلاقة تبيين المقصود بـ(الغربي) المنعوت بها التنظير في عنوان هذا المحور، فهي حد يدخل ضمنه جهود المنظرين الروائيين المنتمين إلى الدول الأوروبية عموما وشمال أمريكا[٢]، كما تشتمل المراجعة على بعض المقولات النظرية الصادرة من أدباء وروائيين، بهدف رسم خطوط عريضة

[١] ينظر في ارتباط الطبقة بالبنية، بدوي، مرجع سابق، ص٧٦.
[٢] ينظر .Concise Oxford English Dictionary, p1641

يحاول الباحث أن يتلمس امتداداتها في النقد العربي عموما والسعودي على وجه الخصوص، فهي أشبه ما يكون بمقدمة عامة لتلك العلاقة، ونظرا لعموميتها كان وصف الغربي امتدادا لذات الهدف، على الرغم من أنه قد لا يكون دقيقا لكنه كافٍ لتكوين تصور ذهني عن مدلولها الإجرائي.

لقد كانت العلاقة بين التنظير والمنظور الطبقي للمجتمع قديمة، يظهر ذلك في محاولة أرسطو للتمييز بين المعرفة النظرية والعملية، فالنظرية وفق تصوره تجعل مالكها سيدا يصدر الأوامر ولا يستقبلها، أما العملية فتضعه خادما لا يملك إلا استقبال الأوامر وتنفيذها[١]، وهو تمييز مبني على رؤية المجتمع قبل رؤية المعرفة، رؤيةً تذكر بالتصور السببي الذي يحصر المجتمع في طبقتين عليا ودنيا؛ حيث حاول أرسطو أن يوظفه لإعلاء الجانب النظري على حساب ما يراه جون ديوي John Dewey بـ"الاحتقار الفلسفي للمعرفة التطبيقية العملية" الناتج عن " الطبقية التي وسمت المجتمع الأثيني"[٢].

ولقد انعكست تلك النظرة الطبقية للمجتمع على التنظير الأدبي الذي مثلته النظرية الكلاسيكية لما استخدمت الطبقة للتجنيس، فصنفت الملحمة والمأساة للملوك والنبلاء، والكوميديا للطبقة الوسطى، والأدب الساخر والهزلي للعامة، كما انعكست أيضا على تصنيفهم للأساليب بين رفيع ومتوسط ووضيع[٣]، وهو انعكاس كان له ما يوازيه عند الأمم المختلفة، مثل الهنود في نظرتهم القديمة لمفهوم البلاغة الذي لخصوه في ضرورة أن يناسب الكلام منازل القوم[٤]، وهي نظرة تمثلها بشر بن المعتمر في تأكيده للبلاغة وما ينبغي للمتكلم في

---

[١] البازعي، الرويلي، مرجع سابق، ص٢٧٥.

[٢] البازعي، الرويلي، مرجع سابق، ص٢٧٦. ويعود مرجع هذا التصنيف إلى أرسطو لما ميز بين الكوميديا والتراجيديا. ينظر أرسطو طاليس، فن الشعر، ترجمة وتعليق: إبراهيم حمادة؛ (مصر: مكتبة الأنجلو مصرية، ب.ت)، ص٦٨. وممن حاول أيضا أن يصنف الأدب من منظور طبقي، الناقد الروسي مدفديف Medvedev الذي استنتج أن الملحمة الإقطاعية تعبر عن قيم نبالة السيف، وتراجيديا القرن السابع عشر تجسد مشاكل نبلاء البلاط، وروايات القرن الثامن عشر تمثل الفردية البرجوازية. ينظر بيير زيما، النقد الاجتماعي نحو علم اجتماع للنص الأدبي، ترجمة: عايدة لطفي، مراجعة: أمينة راشد، سيد البحراوي؛ (القاهرة/باريس: دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩١م)، ص٦٥.

[٣] وليك، وآرن، مرجع سابق، ص٣٢٥. وينظر أيضا Sean Mc Evoy, Tragedy the Basics; London/ new York, (Routledge,2017), p15.

[٤] عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: درويش جويدي؛ (بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠١٦م)، ص٦٦.

تحقيقها من "أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين"[١]. أما الرماني فلقد حاول أن يستفيد من التشكيل الطبقي الثلاثي للمجتمع في تقسيم مستويات البلاغة والتأليف، بهدف إثبات أن القرآن الكريم خطاب "متلائم في الطبقة العليا".[٢]

وتدل كل تلك المحاولات النظرية الماضية على أسبقية المنظور المجتمعي وقوة تأثيره في التنظير الأدبي للكلام وأنواعه ومستوياته، الذي كان متحيزا للطبقة العليا سواء في محاكاتها عند أرسطو أو في محاولة وصف الإعجاز القرآني بها كما هو عند الرماني، كما تدل أيضا على تعاملها مع الطبقة بمفهومها البراغماتي الدال على أنها مفعول أفعال سياسية واقتصادية وثقافية، حيث أتى الكلام الأدبي والبلاغي مؤكدا على أسبقيتها وتنويعا للآثار المترتبة على عفوية التفاوت.

ولم تكن النظرية الروائية إلا امتدادا للتوظيفات السابقة للتصنيفات الطبقية للمجتمع، فالطبقة العليا Upper Class كانت معيارا لرفض الرواية في الفترة الكلاسيكية؛ لأنها لم ترتبط بالطبقة النبيلة، فكانت فاقدة للنبالة ومن ثم فاقدة للفضيلة[٣]، وما يؤكد هذا الموقف رسالة اللورد شسترفيلد Lord Chesterfield-وهو رجل أرستقراطي- إلى ابنه حول حكايات الرومانس التي يعتقد أنها من الأشكال المؤسسة لجنس الرواية، ووصفه لها بأنها مضيعة للوقت[٤]، وهذا ما يتنافى مع مواصفات الحياة الأرستقراطية التي حاولت أن تعلل

---

[١] المرجع السابق، ص٩٢.

[٢] الرماني، الخطابي، عبد القاهر الجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله، أحمد زغلول سلام، ط٣؛ (مصر: دار المعارف، ب.ت)، ص ٧٥، ص ٩٥.

[٣] ينظر بيير شارتيه، مدخل إلى نظريات الرواية، ترجمة: عبد الكبير الشرقاوي؛ (الدار البيضاء: دار توبقال، ٢٠٠١م)، ص٥٣-٥٤، ص ٦١.

[٤] جيريمي موثورن، مدخل إلى دراسة الرواية، ترجمة: غازي درويش عطية، مراجعة: سلمان داود الواسطي؛ (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٦م)، ص١٠. أما الرومانس فهو حكاية مغامرات في الحرب والحب، تتصف بالعجائبية والمبالغة التي حاولت الرواية أن تتخفف منها كما يرى ذلك جونسون Johnson في معجمه. ينظر Jonathan Bate, English Literature A Very Short Introduction; (Oxford, Oxford University Press, 2010), p122, 123.

رفضها بالأخلاق، وبهذا فإن رد الرواية من مبدأ أخلاقي قد يكون رفضا طبقيا في حقيقته، فأرنولد نيت Arnold Pitt رفض الروايات الجنسية ووجد أنها تفتقد إلى النبل[١]؛ أي الأخلاق.

ثانيا: أثر العلاقة بين التنظير والطبقة في تفسير نشوء الرواية ومفهومها

لقد سُوّغ الرفض النظري للجنس الروائي بالاتكاء على الطبقة الاجتماعية وما يتعلق بها من منظومة قيمية، سيتم بعد ذلك مجاوزتها بربط الرواية بقيم متحولة من الطبقة الأرستقراطية أو النبيلة إلى الطبقة الرأسمالية(البرجوازية)[٢]، وهو تحول سيوثق علاقة التنظير الروائي بالطبقة الاجتماعية، وسيشعبها عن طريق محاولات التعريف بنشوء الرواية، ووضع مفهوم لها.

فلقد رُبطت الطبقة الاجتماعية بالرواية بهدف التعرف على العوامل المؤثرة في نشوئها، ومن ثم الوصول إلى مفهوم لها متلائم وأسباب الظهور، ويبدأ ذلك بمقولة هيجل المشهورة:" الرواية ملحمة برجوازية"[٣]، التي استغلها لوكاتشLukacs في مقارنته بين الجنسين الملحمي والروائي القائمة أولا على توضيح سمات تلك الطبقة المتطلعة إلى خلافة طبقة النبلاء، ومن أبرزها: التناقض والاضطراب وانعدام الوحدة[٤]، وإسقاطها على الرواية التي رأى أنها لا تعكس الوحدة ولا الجوهر، وهي محل الأوهام البرجوازية[٥]،

---

[١] والتر ف رايت، الوقع في التخييل، من كتاب جون هالبرين، نظرية الرواية (مقالات جديدة)، ترجمة: محي الدين صبحي؛ (دمشق: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٨١م)، ص٤٢٧.

[٢] الطبقة الأرستقراطية أو طبقة النبلاء، هي الطبقة المالكة للعقار والحكم وهي الممثلة للمجتمع الإقطاعي، وهي طبقة منغلقة وتقوم على مبدأ التوارث، أما البرجوازية فهي المالكة لوسائل الإنتاج، وهي من استطاعت أن تزيح الطبقة السابقة بفعل قوة المال وفائض القيمة، وهي الطبقة الموصوفة أيضا بالرأس مالية. ماركس، أنجلز، بيان الحزب الشيوعي، حاشية ص١٥.

[٣]. هيجل، المدخل إلى علم الجمال، ترجمة: جورج طرابيشي، ط٣؛ (بيروت: دار الطليعة، ١٩٨٨م)، ص٣٧٤.

[٤] ينظر جورج لوكاتش، نظرية الرواية وتطورها، ترجمة: نزيه الشوقي؛ (دمشق: المترجم، ١٩٨٧م)، ص٣٧.

[٥] المرجع السابق، ص٤٢.

ليكون التأسيس النظري وفق هذا الربط الآلي محاولة لإدانة الطبقة البرجوازية وقيمها أكثر من محاولة للتعريف بالرواية.

ولقد حاول لوسيان غولدمان Goldman التخفيف من المقارنة السابقة بوصف الرواية شكلا أدبيا مرتبطا بتاريخ البرجوازية وتطورها، لكنه "ليس تعبيرا عن الوعي الحقيقي أو الممكن لهذه الطبقة"[١]، وبذلك يكون الربط بينهما ربطا جزئيا لاستيعاب النص الروائي وتفسيره بعيدا عن استنتاج دلالات متحيزة، ويجاري غولدمان Goldman في هذا الفيلسوف الفرنسي لويس دي بونالد Louis De Bonald الذي وجد أن الرواية قد تزدهر في مجتمع برجوازي ولكن هذا لا يعني بالضرورة أن يكون سببا في وجودها[٢]، وهو بذلك يميز بين أسباب التكون وأسباب الارتقاء تمييزا يقوم على فهم الظاهرة لا إسقاطها على واقع ما.

ولم تستمر نغمة التخفيف طويلا؛ حيث شهدت انقلابا في مفهوم الرواية من منظور طبقي، أثاره باختين Bakhtin لما ربط الخطاب الروائي بالطبقة الدنيا عبر تفسيره بالشكل الكرنفالي وأصوله المستمدة من الهجائية المابينية القائمة على الضدية من الكمال الإنساني وخرق المألوف والاعتيادي والطوبائي، وهو شكل متصل بالطبقة الدنيا التي يغلب عليها الضحك والتقليل من شأن الآخرين[٣]، بل إنه استعان بتلك الطبقة في تعريفه للرواية، وأنها "إنسان غير مثقف وينحاز في أغلب الأحوال إلى الطبقات الاجتماعية الدنيا"[٤]، وهو ما يجعل من الطبقة العليا هدفا لسخرية الروائيين ونقدهم، ومن الرواية سلاح مقاومة للطبقة الدنيا[٥].

---

[١] لوسيان غولدمان، في سوسيولوجيا الرواية، ترجمة: بدر الدين عرودكي، ط١؛ (سورية: دار الحوار للنشر والتوزيع، ١٩٩٣م)، ص٣١.

[٢] شارتيه: مرجع سابق، ص١١٧. ويوافقه في هذا الرأي رالف فوكس Ralph Fox في كتابه (الرواية والناس) حينما لاحظ أن الرواية "تنمو في مجتمع ينعدم فيه التوازن بين الإنسان والمجتمع؛ حيث يكون الإنسان في حرب مع بني جنسه أو مع الطبيعة ..إن مجتمعا كهذا إنما هو مجتمع رأسمالي". ينظر موثورن، مرجع سابق، ص١٥.

[٣] ميخائيل باختين، شعرية دوستويفسكي، ترجمة: جميل نصيف التكريتي؛ (الدار البيضاء: دار توبقال، ١٩٨٦م)، ص١٧٠-١٧٦. وينظر أيضا ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، ترجمة: محمد برادة، ط١؛ (القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٧م)، ص١٥.

[٤] باختين: شعرية دوستويفسكي، ص٢٨٠.

[٥] ميخائيل باختين، الكلمة في الرواية، ترجمة: يوسف حلاق؛ (دمشق: منشورات وزارة الثقافة، ١٩٨٨م)، ص٢٥.

لقد شهد التنظير الروائي محاولات عدة لتجاوز الضدية الحاصلة بين الطبقتين العليا والدنيا، ومن ذلك محاولة إيان وايت Ian Whyte في كتابه (ظهور الرواية) حينما عزا للطبقة الوسطى التي كانت تقرأ وتكتب دورا في نشوء الرواية وتطورها[١]، إلا أن هذا الدور-بناء على ما سبق وعلى ما سيأتي -لم يكن فاعلا في شكل الرواية ومضمونها مثل تأثير الطبقتين السابقتين، بل كان محصورا في استهلاكها أو تمثيلها.

لقد كان ارتباط الرواية مفاهيميا بالطبقتين البرجوازية والدنيا خصوصا وسيطا حيويا لانتقالها إلى تصورات اجتماعية أرحب، بدلالة أن من اقترح أو طور ذانك الارتباطين عادا بأنفسهما ليحلاه ويعيدا النظر في الرواية بوصفها هذه المرة خطابا مفتوحا لا جنسا مغلقا، فلوكاتش Lukacs وفي محاولة متقدمة عن السابقة أكد على ضرورة أن يكون الكاتب الروائي على صلة بجميع الطبقات[٢]، وهي صلة حاول ألبيريسAlberico توضيحها بمفهوم الاتصال الذي يوحي بالتضامن الاجتماعي عند دوركايم Durkheim، فعرف الرواية على أنها أداة "الاتصال الأدبي بين الجماهير المتفاوتة فيما بينها أشد التفاوت"[٣].

أما باختين Bakhtin فلقد اختصر الطبقة أولا في اللغة[٤]، ثم عرف الرواية بـ"التنوع الاجتماعي للغات"[٥]، الذي يرى فيه حوارا يعكس جمالية الرواية وتميز نثرها وسموه عن الطبقة عموما، وارتقائه إلى

---

[١] إيان وايت، نشوء الرواية، ترجمة: ثائر ديب، ط٢؛ (سورية: دار الفرقد، ٢٠٠٨م)، ص٣٩، ص٤٣. وينسب كذلك ديفيد لودج David Lodge الرواية إلى الطبقة الوسطى، فيعرفها بأنها "شكل أدبي خاص بالطبقة الوسطى" إلا أنه لم يقدم الدلائل على تأثير الطبقة في شكل الرواية أو مضمونها. ينظر ديفيد لودج، الفن الروائي، ترجمة: ماهر البطوطي؛ (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٢م)، ص١٢٣.

[٢] جورج لوكاتش، الرواية التاريخية، ترجمة: صالح جواد كاظم، ط٢؛ (العراق: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٦م)، ص ص ٤٣٢-٤٣٣. وينظر أيضا جورج لوكاتش، دراسات في الواقعية، ترجمة: نايف بلوز، ط٤؛ (بيروت: مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ٢٠٠٦م) ص ص ٣٣-٣٤.

[٣] ر.م.ألبيريس، تاريخ الرواية الحديثة، ترجمة: جورج سالم، ط٢؛ (بيروت/باريس: منشورات بحر المتوسط/ منشورات عويدات، ١٩٨٢م)، ص٥.

[٤] باختين، الكلمة في الرواية، ص٢٠٢.

[٥] باختين: الخطاب الروائي، ص١٥، ص٦٨.

الإنسانية[١]، وهو ما أكده سارتر Sartre من أن موضوع الأدب هو الإنسان لا الطبقة[٢]. ليتضح وفقا لما سبق أن مفهوم الرواية في علاقته بالطبقة الاجتماعية شهد تطورا في الانتقال من حصر الرواية بطبقة محددة ليشمل الطبقات كلها بصراعاتها أو حوارها، ثم الانتقال إلى الإنسانية؛ حيث يعود هذا الملمح التطوري إلى:

أ-تجاوز المنظرين لمفهوم الطبقة السببي، والتعامل معه بوصفه نتيجة وأثرا كان لزاما على الروائيين أن يتمثلوه وفق الشروط الفنية لصنع التعدد الذي أصبح قيمة جمالية.

ب-تطور الدرس النظري وآلياته التي استبدلت الخطاب Discourse بالجنس Genre، فالنظرة إلى الرواية بوصفها جنسا مميزا تعني ربطه بمحدد ضيق ومنغلق، مثل مفهوم الطبقة السببي الذي لا يسمح لها بالتداخل، فالجنس مقولة تؤثر التقلص على التمدد، والصفاء على التشابك[٣]، وهذا بعكس مقولة الخطاب التي تحاول العودة إلى المجتمع عموما دون تحديد، بوصفه "نسقا من القول الذي يعد ممارسة اجتماعية"[٤]"، وهذا ما حاول المنظرون أن يعكسوه على الرواية لتكون ممارسة لا اصطفافا.

ج-تطور الرواية ذاتها شكلا وموضوعا، تطورا يهدد كل محاولة تنظيرية بفعل ما تملكه من حرية تجعل منها كما يرى ميلان كونديرا Kundera "مفاجأة دائمة"[٥].

---

[١] باختين، الكلمة في الرواية، ص١٣، ص ١٤٠، والخطاب الروائي، ص٦٨، وبسبب ذلك كله أشاد بدوستويفسكي بوصفه ممثلا لذلك. ينظر شعرية دوستويفسكي، ص١٥١.

[٢] جول بول سارتر، الأدب الملتزم، ترجمة: جورج طرابيشي سلسلة مواقف ، ط٢١؛ (بيروت: منشورات دار الآداب، ١٩٦٧م)، ص١٨١.

[٣] يميل مفهوم الجنس إلى التضييق بهدف وضع القواعد التي تميز كل جنس أدبي عن غيره. ينظر J.A.Cuddon, The .Penguin Dictionary of Literary Terms and Literary Theory; (London: Penguin Books, 1999), p342.

[٤] The Penguin Dictionary of Literary Terms and Literary Theory, p228.

[٥] ميلان كونديرا، الستارة، ترجمة: معن عاقل؛ (بيروت/الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٥م)، ص١٢. وممن ربط خطاب الرواية لا جنسها بالحرية أيضا كولن ولسون Colin Wilson، ينظر كولن ولسون، فن الرواية، ترجمة: محمد درويش؛ (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠٠٨م)، ص٤٦.

د-اتساق التنظير الروائي في علاقته مع الطبقة الاجتماعية، مع المنظور الاجتماعي المتدرج والمتطور، الذي أشار إليه أوجست كونت Comte لما ميز بين ثلاثة مستويات موجودة في المجتمع: "الفرد والأسرة والاتحادات الاجتماعية التي يقف على قمتها اتحاد الإنسانية نفسه"[١]، ليكون انتقال التنظير من الطبقة إلى الإنسانية مساويا للمنظور الاجتماعي في ارتقائه من الطبقة إلى الانسانية بوصفها البنية الجامعة والموحدة.

ثالثا: أثر العلاقة بين التنظير والطبقة في تصنيف الرواية

ولقد رُبطت الطبقة الاجتماعية بتصنيفات الرواية الشكلية أو الموضوعية، ويعني هذا التصنيف تمييز الرواية عن غيرها من الأنواع الأدبية، وخصوصا الملحمة والرومانس، وتصنيف الأنواع الروائية وما نتج عنه من تعريف لها أو إعادة تعريف تميز هذا النوع عن غيره، وتمييز الروائيين الغربيين فيما بينهم.

أما التمييز الأول فيمكن الاستدلال عليه بألبيريس Alberico الذي رأى أن الرواية عارضت الملحمة المليئة بقيم العجيب، واتفقت مع القيم البرجوازية التي مثل لها بالطبيعي والوثائقية وعلم الاجتماع والتحقيق الصحفي[٢]، وهو تمثيل يؤكد الارتباط السابق بين الرواية والطبقة البرجوازية ولكن وفق قيم أكثر إيجابية.

أما تمييز الرواية عن الرومانس فلقد كان قائما على التمييز الطبقي بين العليا والدنيا، فالرومانس القروسطي في نظر فريدريك شليغل Schlegel كان "الشعر الطبيعي للطبقات العليا "[٣]، بينما الرواية كانت خطاب الطبقة الدنيا الساخر[٤]، وهي تصنيفات قائمة على وصل الأسلوب بالطبقة الاجتماعية.

---

[١] نيقولا تيماشيف، نظرية علم الاجتماع طبيعتها وتطورها، ترجمة: محمود عودة، محمد الجوهري، محمد علي محمد، السيد محمد حسيني، ط٥؛ (مصر: دار المعارف، ١٩٧٨م)، ص ٥٥.

[٢] ألبريس، مرجع سابق، ص٣٩٢.

[٣] لوكاتش، نظرية الرواية وتطورها، ص٥٧.

[٤] ينظر نوثروب فراي، تشريح النقد، ترجمة: محي الدين صبحي؛ (طرابلس: الدار العربية للكتاب، ١٩٩١م)، ص٤٢٥، ٤٢٨. ولقد أشار إلى ذلك أيضا أرنولد. ينظر Kettlr Arnold, antroduction to the English novel vol1, 2ed, (London, Hutchinson University Library, 1967), p29

ومن التصنيفات الروائية القائمة على الطبقتين المتقابلتين السابقتين، تمييز فيلدنغ Fielding بين الروايتين الجدية والهزلية، معرفا الأولى بشخصياتها العالية، والأخرى بشخصياتها الوضيعة[١]، وهو تصنيف متأثر بالمنظور الكلاسيكي المتحيز للطبقات النبيلة الذي يرى في تمثيلها تمثلا للقيم الجادة والمقصودة، بينما يرى في السخرية والضحك قيما مقابلة غير هادفة.

ومن التصنيفات أيضا، تصنيف الرواية الواقعية عند أويرباش Auerbach بتمثيل حياة الشعوب ومقاومة الطبقة العليا ومعارضة أدب الأبراج العامة[٢]، وهي ما غدت عند بيتروف petrov في القرن الثامن عشر سلاحا فعالا لنضال الطبقة الثالثة، الذي كان من نتائجه تمثيل شخصيات نبيلة ومثقفة متعاطفة مع المصالح الشعبية[٣]. أما الآن روب جرييه Grillet فلقد أشار إلى ارتباط الواقعية الاشتراكية بالطبقات الفقيرة وتصوير معاناتهم[٤]، وهو تصنيف متأثر بالماركسية في نظرتها إلى العلاقة التدافعية بين الطبقات، ومحاولة تمثيل الوعي به سردا، ليصبح التنظير هنا تابعا لمنظور سياسي لا يرى في الرواية إلا مجالا لتطبيق رؤيته.

إلا أن الواقعية تجاوزت هذا الربط القسري بالطبقة الدنيا، وتحولت إلى أن تكون مطابقة الفرد لطبقته الاجتماعية، ومعاصرة الشخصيات وانبثاقها عن جميع الطبقات الاجتماعية[٥]، وهو تطور مشابه للنتيجة السابقة من انتقال المفهوم المحصور في طبقة محددة إلى انفتاحه على كل الطبقات، أنجزه التحول من المفهوم السببي إلى البراغماتي.

---

[١] شارتيه، مرجع سابق، ص٧٧.

[٢] عبد الله، مرجع سابق، ص٤١. ولقد أثر هذا المفهوم المتأثر بالمنظور الطبقي في تسميات الرواية الواقعية، ومن تلك التسميات: الروايات البروليتارية. ينظر فراي، مرجع سابق، ص٤٣٢.

[٣] س ى بيتروف، الواقعية النقدية في الأدب، ترجمة: شوكت يوسف؛ (دمشق: وزارة الثقافة منشورات الهيئة العامة، ٢٠١٢م)، ص٢٦، ص١٤٠.

[٤] آلان روب جرييه، نحو رواية جديدة، ترجمة: مصطفى إبراهيم مصطفى؛ (مصر: دار المعارف، ب.ت)، ص١٤٢.

[٥] شارتيه، مرجع سابق، ص١٠٨

يستلزم التصنيف في بعض محاولاته إعادة تعريف بعض الأنواع الروائية التي قد تتأثر بالمنظور الطبقي للمجتمع، ومن ذلك الرواية السيكولوجية التي كان يسميها الناس بالرواية التي "تتحدث عن تغير الإنسان لبيئته عند من هم نصف برجوازيين أو ربع برجوازيين"[١]، والرواية الوثائقية التي عُرفت بأنها روايات عمالية وبرجوازية[٢]، ورواية الشطار الأرستقراطية، التي تحكي عن رجال نبلاء تحولوا إلى عمال[٣].

ومنها أيضا، روايات الواقعية الموضوعية التي تحكي قصة البسطاء بقلم مثقف لا يميل إليهم، ومحاولة نقل حياتهم نقلا حياديا وتركيبيا للحوادث اليومية، بالاعتماد على الجمل القصيرة والاستغناء عن التحليل[٤]، وهي روايات تنتشر في المجتمعات التي تشتمل على " تفاوت اجتماعي كبير وإبداع أدبي أقل انقباضا"، فهي تجد في الطبقات الدنيا "مادة إنسانية أشد غنى وأكثر من أن تكون نوعا أدبيا من أدب الاحتجاج الاجتماعي".[٥]

كما ميز جيسي ماتزJesse Mats بين الرواية الجديدة وما سبقها بالاعتماد على الطبقة الوسطى ونتائج تمثيلها، فالرواية التقليدية كانت مكتوبة عن حياة الطبقة الوسطى أو ما دونها مع إضفاء سمات بطولية عليهم، أما الرواية الجديدة فتُكتب عن شخصيات تلك الطبقة على أنهم "خاسرون وكذابون وعابرو سبيل لا أثر لهم".[٦]

وقد تكون تلك التصنيفات السابقة غير دقيقة بسبب ارتهانها إلى نصوص روائية محددة، فالرواية الموضوعية قد تكمن موضوعيتها في دقة الوصف لا في ارتباطها بطبقة محددة[٧]، كما أن رواية الشطار قد

---

[١] ألبيريس، مرجع سابق، ص٩٥.
[٢] المرجع السابق، ص١٧٠.
[٣] المرجع السابق، ص٣٥٥.
[٤] ألبيريس، مرجع سابق، ص ص ٣٦٨-٣٧٠.
[٥] المرجع السابق، ص ص٣٧٣-٣٧٤.
[٦] جيسي ماتز، تطور الرواية الحديثة، ترجمة وتقديم: لطيفة الدليمي؛ (بغداد: دار المدى، ٢٠١٦م)، ص ص ٢٤٠-٢٤١.
[٧] يسمي فلوبير تلك الدقة بالعدالة التي تفرض على الروائي وصف الأشياء كما هي عليه دون تحيز أو انفعال. ينظر عبد الله، مرجع سابق، ص٧٠.

تحتمل تصنيفا آخر يربطها بالطبقات الدنيا وحيلهم، أما الروايات الجديدة فهناك من ربطها بالفرد المنفصل عن طبقته[1].

وتعود كل تلك الاختلافات إلى ضعف الاعتماد على الطبقة بوصفها محددا أجناسيا، وتمرد النص الروائي على محددات التصنيف، وانتقائية الناقد المتأثرة برؤية قد تجعل من الأنواع السابقة أمثلة لا معايير.

كما يقتضي التصنيف التمييز بين كاتبي الرواية، الذي كان للطبقة الاجتماعية دور في إنجازه، ومن ذلك على سبيل المثال: تمييز ألبيريس Alberico الطبقي بين غوغول Gogol وبين ديكنز Dickens وهوغو Hugo وبلزاك Balzac، على أساس أن الأول عكس مجتمعا مكونا من نبلاء وأقيان، أما الآخرون فعكسوا عالم البرجوازية الفتي الجديد[2]، وهو تمييز يهدف إلى التعريف بالروائيين دون تفضيل بينهم.

ويلاحظ على التصنيفات السابقة اعتمادها الواضح على الطبقات الاجتماعية، وخصوصا الطبقتين العليا والدنيا في التمييز بين الرواية وغيرها من الأجناس الأدبية، أو بين أنواعها المختلفة، لتؤكد أثرهما المسبق على التنظير الروائي الموزع بين الكلاسيكية والماركسية، كما تؤكد على تطور التصنيف من الانغلاق إلى الانفتاح الطبقي كما هو ملحوظ في الواقعية، إلا أنه يبقى تصنيفا غير دقيق، تصلح أن تكون فيه الطبقة مثالا وليس معيارا.

رابعا: العلاقة بين التنظير والطبقة ووظائف الرواية

[1] جرييه، مرجع سابق، ص١٢٢.
[2] ألبيريس، مرجع سابق، ص٤٨.

رُبطت الطبقة الاجتماعية بوظيفة الرواية أو عناصرها التي عبرت عنها بعض المفاهيم التحليلية، ومن ذلك: رؤية ماركس Marx للرواية الواقعية بأنها كشف للوجه الاجتماعي والأخلاقي القبيح للطبقات المسيطرة، وكشف للحقائق السياسية والاجتماعية أكثر من كشف السياسيين والقادة الاجتماعيين[١]، وبذلك تصبح وظيفة تمثيل الطبقة العليا متضمنة كشف وسائل السيطرة والهيمنة على الطبقات الأخرى.

اختار باختين Bakhtin من تلك الوسائل وسيلتي الضحك والسخرية، وربطهما بوظيفة الكشف السابقة التي وجد فيها تجسيدا لمعنى المقاومة والتفكيك[٢].

أما لوكاتش Lukacs فلقد ربطها بمهمة البطل الذي نعته بالإيجابي، لتكون وظيفته: القضاء على كل الطبقات[٣]، وهو هدف مثالي متأثر برؤية ماركس المستقبلية للمجتمع البشري المتقدم، عاد في كتاب آخر ليعدل من وظيفته ويقصرها على حمل نضال الطبقات الشعبية[٤]، لتكون بذلك مهمة البطل هي مهمة الرواية التي تعرف بوظائف عناصرها.

ولعل الوظيفة السابقة هي من جعلت جيسي ماتز Mats يصل إلى نتيجة أن الرواية نجحت في كشف المعضلة الخاصة بالطبقات الاجتماعية، والانتباه إلى مشكلات الفقراء وزيف النبلاء[٥]، فألهمت الروائيين والنقاد إلى الالتفات إلى فئات اجتماعية تشترك مع الطبقات الدنيا في التهميش والاستغلال، مثل المرأة والأقليات[٦].

---

[١] بيتروف، مرجع سابق، ص١٢٢.
[٢] دراج، مرجع سابق، ص٧٨.
[٣] لوكاتش، نظرية الرواية، ص٨٧.
[٤] لوكاتش، الرواية التاريخية، ص ص٣٩-٤٠.
[٥] ماتز، مرجع سابق، ص١٩٦.
[٦] المرجع السابق، ص٢٠٢، ص ٢٠٤.

أما ميشال بوتور Butor فلقد عرف البطل على أنه "شخص يخرج من طبقة عامة الشعب أو البرجوازيين، ويتسلق درجات المجتمع دون أن يتمكن من بلوغ طبقة النبلاء"[١]، ليصبح البطل إضافة إلى عناصر أخرى تؤلف في مجموعها وظيفة للرواية تقوم على توثيق تحولات الطبقة الاجتماعية بناء على مبدأ التنافس والاستغلال لا الصراع[٢].

وتدل الآراء النظرية المتقابلة السابقة على أن وظيفة الرواية أو أحد عناصرها أصبح مؤقتا في ارتباطه بطبقة محددة، ومرتهنا لصراع أيديولوجي قد يختلف من كاتب إلى كاتب، ويتبدل مع تطور وسائل السرد ووعي الكاتب بها.

أما رينيه جيرار Rene Girard فلقد جعل من الطبقة العليا نموذجه في تفعيل الوسيط الخارجي الدال على الرغبة والحلم والقيم العليا، المتمثل في الأعمال الكلاسيكية الأولى، لتقابل الوسيط الداخلي الذي مثله بالبرجوازية وطموحها في المساواة، فهو يفترض أن بناء العلاقة بين الراغب(الفرد) والمرغوب(الوسائط الداخلية أو الخارجية) يجب أن يقوم على مبادئ الوساطة الخارجية من الامتثال والاقتداء، إلا أن البرجوازية حولتها إلى المنافسة، وهي علاقة يفسرها جيرار بـ(الغيرة والحسد) اللذين اعتبرهما اسمين تقليديين للوساطة الداخلية والمشاعر الحديثة التي "تنتصر في زمن تزول فيه شيئا فشيئا الفوارق بين البشر.."[٣].

وبهذا يرى أن الانتقال من الوساطة الخارجية إلى الداخلية الذي مثلته الرواية هو انحطاط لطبقة النبلاء؛ حاول الدفاع عنه بالتمييز بين التملق والحذلقة، فالصفة الأولى وإن شابها شيء من العبودية إلا أن الأخرى

---

[١] ميشال بوتور، بحوث في الرواية الجديدة، ترجمة: فريدة أنطونيوس، ط٣؛ (بيروت/باريس: منشورات عويدات، ١٩٨٦م)، ص٨٢.

[٢] ماتز، مرجع سابق، ص٤٥.

[٣] جيرار رينيه، الكذبة الرومانسية والحقيقة الروائية، ترجمة: رضوان ظاظا؛ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٨م)، ص٣٣.

ملوثة بقيم الكذب والخداع والنفاق والتعالي على الوسيط[1]، وهو تمييز حاول منه جيرار Girard أن يؤكد على سلبية الأخلاق البرجوازية، وأنها لم تكن تقدما تاريخيا كما هو مفترض أن يكون، فقضاؤها على الطبقات النبيلة والأرستقراطية خلّف قضاء على منظومة القيم الإنسانية، وهنا يكمن معنى النكوص الذي سعى إلى إثباته بمنظور ماركسي تاريخي يهدف إلى تشويه تلك الطبقة وما يتصل بها من فنون مثل الرواية ووظيفتها.

وهو إثبات متأثر كما يبدو في مقابلته بين الطبقتين بتفسيرات لوكاتش السابقة، التي وجدت في الرواية انحرافا عن الملحمة وقيم الوحدة والاستقرار، ومستمر في رهن وظائف الرواية للأيديولوجيا المؤقتة التي تمنع التنظير من تحقيق الموضوعية والوصول إلى القواعد الكلية.

ومن المفاهيم التي حاولت أن تتجاوز الضدية الشديدة بين الطبقتين العليا والدنيا، وتتصل بوظيفة الرواية الممكنة، مفهوم رؤية العالم الذي تبناه غولدمان Goldman وعرفه على أنه خاص بجماعة اجتماعية، تملك مقولات عقلية ونزعات متقدمة نحو تماسك الرؤية، ينجح الكاتب الكبير بعد ذلك في إبداعها خياليا، وجعلها متماسكة ومتطابقة مع مجموع الجماعة[2]، فالرؤية تعبير عن واقعة اجتماعية تنتمي إلى طبقة ليس بالضرورة أن تكون عليا أو دنيا [3]، وتمثيل الشخصية لطبقتها في رؤية العالم لا يعني موافقتها بقدر ما يعني انتقادها، وهذا ما وضحه غولدمان Goldman من أن علاقة الأديب مع طبقته تبقى علاقة جدلية ومختلفة[4].

ولقد أعاد المفهوم السابق الاعتبار إلى مفهوم الطبقة السببي الذي كان له أثر في جعل الطبقة عاملا تشكيليا لبعض الوظائف الفاعلة لعناصر الرواية، مثل المكان والملبس، ليلعب بذلك دورا وظيفيا في الرواية.[5]

---

[1] المرجع السابق، ص ص٣٠-٣٥، ص ٩٨، ص ص ١٢٤-١٢٥، ص ١٥٦.
[2] غولدمان، في سوسيولوجيا الرواية، ص٢٥، ص٢٣٤.
[3] باسكادي بون، البنيوية التكوينية ولوسيان غولدمان، من كتاب البنيوية التكوينية والنقد الأدبي، ص٤٨.
[4] غولدمان، مقدمة في سوسيولوجيا الرواية، ص٢٤٥.
[5] لودج، مرجع سابق، ص٦٦، ص ٧٩.

لقد كان غولدمانGoldman بوظيفة رؤية العالم وسيطا بين التنظير الروائي المنغلق على طبقة محددة، والمنفتح على الطبقات الاجتماعية كلها، وهو ما مثله أيضا باختينBakhtin بمفهوم الحوارية الذي أصبحت بسببه وظيفة الرواية تمثيلا للتعدد الصوتي واللساني[١]، بحيث تكون فيه "اللغة المنبلة أحد الأصوات الأخرى المعبرة عن طبقات اجتماعية أخرى"[٢]، فالرواية خطاب الجميع، والديمقراطية التي تحولت من قيمة حقوقية إلى جمالية، تحولا أسهم في حل العلاقة المحصورة بين وظيفة الرواية وطبقة اجتماعية معينة، ومدها لتشمل وظائف فنية وإنسانية، تلك اللغة التي أكدها فلوبير Flaubert في ضرورة أن تكون نقية غير مرتبطة بالطبقية أو المحلية أو المرحلية[٣]، وعدم ارتباطها بتلك المحددات هو ما قد يحقق للكاتب غيابه، ويمكّن شخصياته من تمثيل التنوع، ففرنون ليVernon Lee ترى أن "أرفع شكل من السرد هو الشكل الذي يبدو فيه الكاتب أكثر غيابا"[٤]، وغياب الكاتب غياب للطبقة وإحلال الشخصية محلها، وتأكيد للهدف الذي جعل من الرواية خطابا يقدم وعيا متسع الزاوية لأغوار النفس والحياة البشرية[٥].

ويعني التطور السابق أن الوظيفة الروائية في علاقتها بالطبقة الاجتماعية تدرجت كما تدرج المفهوم والتصنيف من الانغلاق إلى الانفتاح، ومن الاقتصار على طبقة بعينها إلى الاشتمال على المجتمع بأكمله، أصبح فيه التنظير أكثر تحررا– نوعا ما -من الأيديولوجيا، وقدرة على تحقيق شروطه المتمثلة في الموضوعية والكلية.

خامسا: العلاقة بين التنظير والطبقة وأثرها في الأحكام النقدية

---

[١] باختين، الخطاب الروائي، ص٦٨.
[٢] المرجع السابق، ص١٥١.
[٣] هالبرين، مرجع سابق، ص ١٨.
[٤] المرجع السابق، ص٢٦.
[٥] ولسون، مرجع سابق، ص٩١، ٩٢.

رُبطت الطبقة الاجتماعية- أيضا- ببعض الأحكام المستنتجة من التحليلات الفنية أو الموضوعية، ومنها تحليل جورج ديمتروف George Dimitrov لرواية سرفانتس Cervantes (دون كيشوت)، وأنها كانت "أقوى سلاح في يد البرجوازية في كفاحها ضد الإقطاعية وضد الأرستقراطية"[١]، وانتقاد لوكاتش Lukacs لمايير Mayer لأنه احتفى بالطبقة العليا رغم انعزالها على حساب الطبقة الشعبية، كما احتفى بسكوت Scott لأنه مثل ضعف الطبقة العالية وانحلالها الإنساني والأخلاقي، وبلزاك Balzac لأنه صور البسطاء من الريف، وعرض الجانب البئيس للأرستقراطيين، وتحديدا صور الشره الأناني والانحطاط الأخلاقي[٢]، وسايره في ذلك غولدمان Goldman [٣]، الذي فسر أيضا شخصيات الروائي مالرو Malraux في رواية (الفاتحين) بشكل طبقي، وأنها ترتبط بالشعب، وتقف موقفا مضادا للطبقة العليا الممثلة على أنها قامعة لهم [٤]. وأكد ذلك بيتروف petrov لما اعتبر تصوير الطبقة العالية باعتبارهم قساة وظلمة نوعا من التمثيل الأخلاقي والتربوي للرواية.[٥]

أما رينيه Rene فلقد انتقد بروست Proust في رواياته ولاحظ أنها تعبر عن "لا معنى عالم المجتمع الراقي من وجهة النظر الفكرية والإنسانية والاجتماعية"، وتفتقر إلى النظرة الشاملة والموضوعية[٦].

---

[١] لوكاتش، دراسات في الواقعية، ص١١٧.
[٢] لوكاتش، الرواية التاريخية، ص٦٥، ص١٠٧، ص ٣٣٤، ص ٣٣٦.
[٣] غولدمان، المادية الجدلية وتاريخ الأدب، من كتاب البنيوية التكوينية والنقد الأدبي، ص١٧.
[٤] غولدمان، في سوسولوجيا الرواية، ص٦٢.
[٥] بيتروف، مرجع سابق، ص٣٤.
[٦] جيرار، مرجع سابق، ص٢٦٢، ص ٢٦٥.

ولقد رفض تولستوي Tolstoy في كتابه (ما الفن) كثيرا من الأعمال الروائية العالمية، ومنها روايته (الحرب والسلام) بحجة أنها كانت تمثيلا للطبقة الأرستقراطية[١]. ولقد كان تولستوي Tolstoy نفسه محل إعجاب لينينLenin لأنه انتقل من تمثيل النبلاء إلى أن أصبح الناطق باسم الفلاحين[٢].

ويلاحظ على الإشادات والانتقادات السابقة أنها كانت متحيزة للطبقات الدنيا، ومتأثرة بمفهوم الرواية من منظور ماركسي ووظيفتها المحصورة في نقد الطبقة العليا، وهو نقد ركز معظم جهده على المضمون دون الإشارة إلى الكيفية أو الطرق التي مثّل بها الروائيون نضال الطبقات الدنيا.

حاول بينيسكي Benesque أن يخفف من حدة تلك الأحكام السابقة، بتوضيح أن المقصود بنقد الطبقة هو نقد أفكارها التسلطية، فهو مثلا يرى أن غوغول Gogol كان "يهاجم في طبقة النبلاء كل ما يتعارض مع الفكرة الإنسانية"[٣]، ليكون النقد بذلك موجها للقيمة لا للطبقة.

أما إلكسندر هرزن Alexander Herzen فلقد انتقل بحكمه من القيمة الإنسانية إلى الفنية لما عارض تولستوي Tolstoy نفسه، ورأى أن الحرب والسلام ملحمة؛ لأنها تصور المجتمع من أسفله إلى أعلاه[٤]، تصورا قائما على العرض الفني لا التحيز الأيديولوجي، ولقد عزز روجيه جارودي Roger Garaudy ذلك لما رأى أن كافكا Kafka في (المصابيح الجديدة) حاول أن يرمز إلى الفاصل الجذري بين عالم الطبقات العليا الذي مثله أصحاب الأعمال والطبقة الدنيا، بأسلوب فني عفوي دون تشويه مباشر ومقصود[٥].

---

[١] ماضي، في نظرية الأدب، ص٨١.
[٢] باختين، الخطاب الروائي، ص ص١٧٤-١٧٦.
[٣] بيتروف، مرجع سابق، ص١٠٩.
[٤] بيتروف، مرجع سابق، ص٢٥٣.
[٥] روجيه جارودي، واقعية بلا ضفاف بيكاسو-سان جحون بيرس-كافكا، ترجمة: حليم طوسون، مراجعة: فؤاد حداد؛ (القاهرة: دار الكاتب العربي، ب.ت)، ص١٩٥.

ويؤكد لوكاتش Lukacs على القيمة الفنية السابقة بحكم يعد أكثر تطورا من أحكامه السابقة، عندما أشاد في بلزاك Balzac لأنه صور الناس من كل الطبقات التي تكون جدا مختلفة، وقدمهم عبر مجموعة من الممثلين، من دون ان يسبق ذلك نظرة متحيزة لطبقة بعينها [١].

ولقد كان التصوير الفني للطبقات الاجتماعية عموما مثالا لفكرتي التعدد والدقة اللتين أصبحتا جمالية ونموذجية؛ حيث يرى سيلي أ. فيدلرFiedler أن الرواية الأمريكية كانت أنموذجا للتعدد[٢]، وبالمعيار ذاته اعتبر ماتز Mats هنري قرين henry green الكاتب المبدع؛ لأنه صور التداخلات من الطبقات الاجتماعية بموضوعية مفرطة للغاية[٣].

وتمثل هذه الأحكام امتدادا لحالة التطور التي شهدتها علاقة التنظير الروائي بالطبقة الاجتماعية، بانتقالها من التحيز الطبقي إلى التحيز الفني الذي أصبح مهتما بطريقة التمثيل لا بنوع الممثلين، وما تنتجه من قيم التعدد والحرية والموضوعية التي فُسر بها الجمال الفني للرواية، وهو تفسير يبدو أنه مرتهن للمعايير الديمقراطية الخارجية التي قللت من إمكانية استقلال الجمال وجعلته تابعا لها، إلا أن هذا التفسير كان سببه محاولة المنظرين الغربيين في التخفيف من حدة أيديولوجيا العلاقة بين التنظير والمفهوم السببي للطبقة، بالتركيز على قيمة التنوع بوصفها قيمة إنسانية في المقام الأول، فهم لم يسعوا إلى استنتاج الأحكام الجمالية المضادة للأحكام العقدية، بل حاولوا التخفيف منها في خطوة تمهد لخطوة التعارض معها، وكأنها بذلك تضع قاعدة للتطوير تنطلق من التخفيف أولا، ثم الانتقال إلى التقابل لاحقا.

استنتاجات

[١] لوكاتش، دراسات في الواقعية، ص ص ٣٣-٣٤.
[٢] سيلي.أ.فيدلر، موت الرواية وبعثها، من كتاب جون هالبرين، نظرية الرواية، ص٢٩٠.
[٣] ماتز، مرجع سابق، ص١٩٩.

وبناء على ما سبق يمكن أن يُستنتج ما يلي:

-انقسم التنظير الروائي بحكم علاقته مع الطبقة الاجتماعية إلى تنظير روائي منغلق على طبقة بعينها إما أن تكون عليا أو دنيا، وتنظير مفتوح على التمثيل المتعدد للطبقات الاجتماعية المتفاوتة، حيث ارتبط المنغلق بمفهوم الطبقة السببي فجعل من الرواية في مفهومها وأنواعها ووظائفها مدلولا ثابتا إلى حد كبير، ومحاكاة لجماعة اجتماعية بكل ما تحمله من آلام وتطلعات، أما المنفتح فلقد ارتبط بمفهوم الطبقة البراغماتي، وجعل من الرواية دالا لمدلولات اجتماعية متعددة وجديدة، وخطابا يحاول الانتباه إلى كيفية تمثيل القيم الإنسانية بدلا من الإجابة عن سؤال لماذا كانت الرواية، وهو السؤال الذي حاول التنظير المنغلق أن يجيب عنه باستدعاء السياقات التاريخية والسياسية المتعاقبة، أما المنفتح فلقد كان تمهيدا للنظريات البنيوية والنصية اللاحقة التي حاولت أن تكتفي بالنص وتنطلق منه في تحديد عناصره وجمالياته الفنية.

-كانت العلاقة بين التنظير الروائي والطبقة الاجتماعية علاقة جدلية، فمفهوم الطبقة السببي أثر في مفهوم الرواية ووظيفتها وجعلها استجابة واعية للطبقة الاجتماعية، ومحصورة بالتشكيل الطبقي الذي حدده ماركسMarx بين طبقتين برجوازية وعمالية، أما مفهوم الطبقة البراغماتي فلقد جعل منها تنويعا للتفاوت الاجتماعي ودالا على تمثيله دون تحيز مسبق.

في المقابل، منح التنظير الروائي مفهوم الطبقة الاجتماعية واقعية كان يشك في نسبتها وقدرتها على التمثل من قبل بعض الباحثين الاجتماعيين[1]، وطورها بأن جعلها وسيطا لتكون القيم التي يمكن للرواية تمثلها، وأداة للتحليل واستنتاج الأحكام النقدية، إلا أنه لم ينجح في القضاء على التقابل بين مفهومي الطبقة بل أكد اختلافهما.

[1] هناك من اعتبر الطبقة وجهة نظر نسبية، ينظر جوسان، مرجع سابق، ص٢٩.

كما أن التنظير المنغلق أضاف إلى مفهوم الوعي الطبقي المقصود بعدا ثقافيا متمثلا في الرواية إلا أنه كان تابعا للبعد النضالي السياسي، تبعية ساهمت في الحد من الوصول إلى غاياته وأهدافه.

-كما كانت العلاقة متدرجة من الانغلاق الذي تأثر بوجهة النظر الماركسية المتحيزة للطبقة الدنيا، إلى الانفتاح الذي آثر الجوانب الفنية على الجوانب السياسية، وساعد في تحديدها وتفسيرها، ما يعني أن العلاقة بينهما كانت متطورة بفعل آليات فكر حولت التنظير الروائي من الجنس إلى الخطاب، وبفعل النص الروائي ذاته ومحاولاته المستمرة في التخلص من القيود النظرية.

-حفزت تلك العلاقة النقاد على النظر في مجموعات اجتماعية مشابهة للطبقات الدنيا في انحسارها وضعفها، مثل النقد النسوي Feminism والنقد ما بعد الكولياني Postcolonial Criticism الذي حاول أن يوظف نتائج التنظير الروائي المتأثر بالطبقة الاجتماعية في تحليل الرواية تحليلا يقوم على كشف وسائل السيطرة والتحكم.

-أنتجت العلاقة أيضا تفسيرا للجمال كان مرتهنا للقيم الديمقراطية المعبرة عن حقوق سياسية وإنسانية، حاولت أن تخفف من حدة التفسير الأيديولوجي، وتمهد لنظريات شكلية وبنيوية لاحقة فسرت الجمال الروائي اعتمادا على مقوماته الداخلية.

-أكدت المراجعة المقتضبة لعلاقة التنظير الروائي بالطبقة الاجتماعية، تمركزها في الدراسات النظرية للرواية، والتاريخية لها، والدراسات الاجتماعية للأدب، والواقعية بأنواعها وخصوصا الواقعية الاشتراكية.

تلك محصلة العلاقة بين النظرية الروائية الغربية ومفهوم الطبقة الاجتماعي، وهي فرضيات حاول المنظرون الغربيون التمثيل لها بوسائل عدة، حققوا من خلالها نوعا من التماسك والانضباط اللذين أوجدا لآرائهم سبيلا إلى النقد العربي عموما والنقد السعودي خصوصا، فكيف كان تلقي النقاد العرب لها أولا، وكيف تعاملوا مع مضامينها؟ هذا ما سيسعى الباحث إلى الإجابة عنه في الفصل الثاني.

الفصل الثاني

التنظير الروائي والطبقة الاجتماعية في النقد العربي

الفصل الثاني: التنظير الروائي والطبقة الاجتماعية في النقد العربي

تعد المدونة العربية في النقد الروائي كبيرة ومتنوعة نظرا لاستجابتها للمد النظري الغربي الموزع بين عناصر العملية الإبداعية، توزيعا كثف النظر ومنحه أبعادا مختلفة فتحت للدارسين العرب منافذ متعددة في الدخول إلى عالم الرواية. ولن تجدي محاولة محاصرة تلك المدونة إلا بوضع محددات واضحة مستمدة من طبيعة الدراسة وأهدافها.

وبناء على النتيجة السابقة في الفصل الأول؛ فعادة ما تكون هذه المدونة مخصصة بنظرية الرواية، أو منشغلة بتأريخ الرواية العربية وتحديد أنواعها ومراحلها، أو معنية باتجاهها الواقعي بسبب تأثره بالماركسية التي جعلت من الطبقة مفهوما فاعلا ومؤثرا، أو مهتمة باتجاه نقدي، مثل النقد الاجتماعي للرواية الذي تحضر فيه الطبقة بوصفها مرجعية تفسيرية للبنى الدالة في النص.

ليست تلك الخطوط العامة استنتاجا؛ وإنما مقدمة يحاول الباحث أن يسترشد بها بناء على النتائج التي وصل إليها في الفصل السابق. فالهدف لن يكون استقصائيا لكل المدونة العربية، بل وضع خطوط عريضة للعلاقة بين التنظير والطبقة، ومتابعة أثر ذلك في النقد السعودي؛ هدف الدراسة وغايتها.

وسينقسم هذا الفصل إلى أربعة مباحث، سيعالج كل منها جانبا من جوانب النظرية؛ المفهوم والتصنيف والوظائف، ما عدا الجانب الأخير الذي سُيخصص لرصد أثر تلك الجوانب في الأحكام النقدية.

مفهوم الرواية والطبقة الاجتماعية

أولا: المواقف المشابهة والمسايرة ومحاولات التعليل

حاول بعض النقاد العرب بداية أن يجدوا سبيلا بين رفض الرواية والطبقة العليا في المجتمع العربي، ومن ذلك ما نقله توفيق الحكيم من أن عليّة القوم ذهبوا إلى والد المويلحي وشكوا له "من أن ابنه يسير في طريق لا تحمد مغبة المضي فيه، بإنشاء كتاب يجري مجرى أدب العوام..."[١]، والعلية والعوام وصفان طبقيان قائمان على المعيارين العلمي والأخلاقي لكنه غير مستوف للشروط الاقتصادية والعلائقية للمفهوم، إلا أن خوف أولئك على مكانتهم من ممارسة ذلك الشكل الجديد قد يمنح للرفض الطبقي إمكانية مشابهة للفرضية الغربية، التي تجعل للمنظور الاجتماعي الطبقي المعلل أخلاقيا أسبقية ودورا في مقاومة كل جديد يزاحم سلطتها أو يسخر منها، إضافة إلى أنه موقف جمعي لا يمكن التأكد من أنه مقلد للنظرية الغربية؛ لذا يمكن وصفه بالمشابه والمعبر عن رؤى وأهداف تشترك فيها الطبقتان العليا الغربية والعربية.

اختلف بعد ذلك النقاد العرب وتعددوا في تلقيهم للفرضية القائلة بوجود علاقة بين الطبقة البرجوازية ونشوء الرواية الغربية وتطورها، فلقد سايرها عدد منهم، ونقلوها بوصفها نتيجة تاريخية، ودليلا على أثر المجتمع وبنيته في الفكر الإنساني ووسائله، ومنهم محمد الخطيب الذي أكد ظهور الرواية بتشكل المجتمع البرجوازي الأوروبي الحديث[٢]، ووافقه نزيه أبو نضال في ارتباط الرواية الغربية بصعود البرجوازية الأوروبية[٣]. أما محبة حاج معتوق فلقد كانت ماركسية في متابعتها لما أكدت استعمال البرجوازية للرواية في

---

[١] علي الراعي، دراسات في الرواية المصرية؛ (مصر: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، ١٩٦٤م)، ص١٠.
[٢] الخطيب، مرجع سابق، ص١٠٦.
[٣] نزيه أبو نضال، التحولات في الرواية العربية، ط١؛ (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٦م)، ص١٨.

مواجهة الإقطاع، وتوظيف البروليتاريا The Proletariat لها لاحقا لتقويض خطاب البرجوازيين[١]، لتفسر بذلك العلاقة بين الطبقات على أساس الصراع والمقاومة.

ولقد كانت تلك الآراء مسايرة للتنظير الغربي في رؤيته للرواية الغربية، ولم تسع إلى إعادة قراءتها، وقد يكون ذلك بسبب التمهيد لربط الرواية العربية بالبرجوازية.

ولقد حذا بعض النقاد العرب حذو المنظرين الغربيين في ربط الرواية بالطبقة البرجوازية منذ فترة مبكرة، ومن ذلك سهير القلماوي [٢]، التي جاراها نقاد كثر، منهم: شمس الدين موسى لما اعتبر" الرواية هي فن الطبقة الصاعدة في مرحلة ثورتها سواء في وطننا العربي أو في أوروبا.."[٣]، وسيد النساج عندما أكد تلك العلاقة في العراق والمغرب العربي والسودان[٤].

ولقد حاول شكري ماضي أن يعلل العلاقة السابقة بالتاريخ ومفهوم الانعكاس لواقع "يشهد سقوط أوراق طبقة حاكمة بعينها وظهور طلائع طبقة جديدة بالتحرك"[٥]، تعليلا يبدو وكأنه تبشير؛ فهيجل Hegel حين أعاد الرواية إلى الطبقة البرجوازية كان له ما يبرره في هذا، فلقد أنجزت الطبقة إلى حد كبير مشروعها الاقتصادي والسياسي لتكون بذلك إحالته إلى المشروع الثقافي تذكيرا للقارئ الغربي واستكمالا لحلقاته، أما بالنسبة للمجتمع العربي عموما فلم يكن هناك مشروع مرتهن لطبقة بعينها، ولم تكن محاولة شكري إلا تنبيها

---

[١] محبة حاج معتوق، أثر الرواية الواقعية الغربية في الرواية العربية؛ (بيروت: دار الفكر اللبناني، ١٩٩٤م)، ص١٧.
[٢] القلماوي، مرجع سابق، ص٥.
[٣] موسى، مرجع سابق، ص٦. ولقد قصد بالبرجوازية: الطبقة المتوسطة، وهم مجتمع التجاريين والصناعيين والموظفين والمهنيين. المرجع السابق، ص ص ٩٨-٩٩.
[٤] النساج، مرجع سابق، ص١٦٠، ص ٢٠٤، ص ٢٠٥، ص ٢٣٣. ويضاف إلى أولئك الذين ربطوا الرواية بالطبقة الوسطى كل من إبراهيم الخطيب، مرجع سابق، ص٧١. الناقوري، مرجع سابق، ص٢٤. الهواري، نقد الرواية في الأدب العربي الحديث، ص ٣٦. وبوشوشة بن جمعة، اتجاهات الرواية في المغرب العربي؛ (المغرب: المغاربية للطباعة والنشر، ١٩٩٩م)، ص٧٣.
[٥] ماضي، انعكاس هزيمة حزيران على الرواية العربية، ص٢٥. ويتفق لحميداني مع شكري من ناحية السبب التاريخي. ينظر حميد، الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي، ص٤٨.

للقارئ وتوجيها له إلى التوقع والتفاؤل بحدوث تغيير مشابه لما حدث في الغرب تكون فيه الرواية علامة دالة عليه.

أما محمود العالم فلقد حاول تعليل الارتباط تعليلا منطقيا قائما على تلازم العلة(الطبقة) بالمعلول(الرواية)[١]، وما يلاحظ على هذا التعليل أنه حوّل الطبقة من معلول إلى علة دون تحديد أسباب اجتماعية وتاريخية تثبت ذلك، تسمح للطبقة العربية بالوجود والفاعلية، في حين أن علي شلش ذهب في نقده لجورجي زيدان في مقالته (الروايات) إلى الربط بين تطور الرواية وظهور طبقات جديدة في المدن؛ الأمر الذي أُغفلته المقالة[٢]، وتعليله بقيم تلك الطبقة الإيجابية المتصلة بالمدينة، مثل قيم الاختلاف والحرية والتسامح، ليكون الارتباط بالقيمة أكثر منه بالطبقة.[٣]

أما محمد الشنطي فلقد حاول إرجاع الرواية إلى الطبقة الوسطى لا البرجوازية، ليقترب بذلك قليلا من الواقع العربي الذي لم يعرف برجوازية مشابهة للبرجوازية الغربية كما أكد العروي[٤]، ويحددها بالنزعة الفردية وتشكل المدن الكبيرة[٥]، ليشابه في ذلك ما ذهب إليه وايت Whyte وشلش من ربط الرواية بقيم الطبقة لا الطبقة ذاتها، ويعرفها بـ"تفاعل البنية الاجتماعية والحاجة التعبيرية"[٦].

---

[١] العالم، ملاحظات حول نظرية الأدب وعلاقتها بالثورة الاجتماعية، ص١٢.

[٢] علي شلش، نشأة النقد الروائي في الأدب العربي الحديث؛ (مصر: مكتبة غريب، ب.ت)، ص٤٣.

[٣] وهو متابع في ذلك لوايت Whyte. ينظر إيان وايت، مرجع سابق، ص٦٥.

[٤] ينظر عبد الله العروي، مرجع سابق، ص١٦٣. وعلى الرغم من رفض العروي لمصطلح الطبقة إلا أنه لا يقدم بديلا، بل إنه يعوض ذلك بادعاء أن البنى الاجتماعية العربية تعاني من سيولة لا يمكن تحديدها. المرجع السابق، ص١٦٥.

[٥] ولقد أشار الموسوي إلى دور المدن في تشكيل فئات نشطة ساهمت لاحقا في نشوء الرواية. ينظر محسن الموسوي، الرواية العربية النشأة والتحول؛ (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨م)، ص١٠.

[٦] محمد الشنطي، فن الرواية في الأدب العربي السعودي المعاصر؛ (جازان: نادي جازان الأدبي، ١٩٩١م)، ص١٩. ولقد سبق السعافين الشنطي في ربط الرواية بالطبقة الوسطى ومشابهتها في ذلك للرواية الغربية وظروف نشأتها وتطورها. ينظر إبراهيم السعافين، تطور الرواية العربية الحديثة في بلاد الشام (١٨٧٠-١٩٦٧)؛ (العراق: منشورات وزارة الثقافة والإعلام/ دار الرشيد للنشر، ١٩٨٠م)، ص١٨٩. وجاراه جابر عصفور عندما فسر البرجوازية بالوسطى وربط الرواية بها، ووصفها بالفن الواعد للطبقة الوسطى الصاعدة. ينظر جابر عصفور، زمن الرواية؛ (دمشق: دار المدى للثقافة والنشر، ١٩٩٩م)، ص٣١، ص٩٥.

ولقد ابتعد الشنطي بذلك الإرجاع والتحديد عن إشكالات التعليلين السابقين المتأثرين بالماركسية في جعل الطبقة مسؤولة وعاملة، إلا أنه لم يستكمله بتوضيح مفهوم الطبقة الوسطى وطبيعة دورها الذي لم يكن في التنظير الغربي فاعلا مثل فاعلية الطبقتين العليا والدنيا.

تجاهل النقاد العرب لدراسة بنية المجتمع العربي وعلاقتها بالبنى السياسية والاقتصادية، وعدم استعانتهم بالدراسات الاجتماعية جعلهم متجاوزين لمسألة التحقق من مفهوم الطبقة وشروطها الماركسية أو الاجتماعية، ومتعاملين معها بوصفها بديهة، ما جعلهم تابعين للتنظير الغربي في تعليلاتهم للعلاقة بين الرواية والطبقة البرجوازية[١]، متابعة قد تعود إلى تأثر الروائيين العرب بالنماذج الغربية المترجمة، المراعية في كتابتها البنية الاجتماعية الطبقية[٢]، ما انعكس بعد ذلك آليا على قراءات النقاد العرب واستنتاجاتهم لمفهوم الرواية.

ثانيا: محاولات التوظيف

لقد انتقل الربط النظري بين الطبقة والرواية من التعليل إلى التوظيف الذي مارسه عدد من النقاد العرب في مناقشتهم للقضايا الأساسية في تاريخ الرواية العربية، ومن ذلك النساج الذي وظف الربط في تأكيد المصدر الغربي للرواية المقابل للمصادر التراثية العربية[٣]، كما استعمله من جهة أخرى فاروق خورشيد في

---

[١] من الأمثلة على ذلك، أحمد اليبوري لما أعاد سبب الربط بينهما إلى ارتفاع منسوب القراءة عند الطبقة الوسطى والصغيرة، وهو متابع في ذلك لإيان وايت Whyte كما مر في الفصل السابق. ينظر فضيلة دروش، سوسيولوجيا الأدب والرواية؛ (عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع، ٢٠١٣م)، ص٨٧.

[٢] أشار العروي إلى ذلك بشكل مقتضب حول تأثر التحليل الطبقي بالنموذج الغربي المُحاكى. العروي، مرجع سابق، ص١٨٣، ولقد أكد سهيل إدريس تأثر الروائيين العرب بالتأليف الغربي للرواية منذ فترة مبكرة. ينظر سهيل إدريس، محاضرات عن القصة في لبنان؛ (القاهرة: معهد الدراسات العالية، ١٩٥٧م)، ص٥. كما أشار يوسف عز الدين إلى أثر الترجمة في روايات العراقيين الأولى، ومنهم السيد محمود أحمد البغدادي. ينظر عز الدين، مرجع سابق، ص ص ٩٧-٩٩. يضاف إلى ذلك تأكيد محمد صالح الجابري تأثر الروائيين التونسيين الأوائل بالترجمة. ينظر محمد صالح الجابري، القصة التونسية نشأتها وروادها؛ (تونس: مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله، ١٩٧٥م)، ص ص ٧٢-٧٨. وتأكيد السعافين أيضا بأن الروائيين الشاميين خصوصا في المرحلة الأولى حاكوا الحياة الغربية في عاداتها وقيمها ومفاهيمها، وقد يكون لحضور الطبقات الاجتماعية غير الواعي بمفهومها في نصوصهم دليلا على ذلك. ينظر السعافين، مرجع سابق، ص٧٤.

[٣] النساج، مرجع سابق، ص١١٤. ويتفق معه أحمد الهواري، ينظر نقد الرواية، ص١١١، ١١٩، ١٤٦. كما يؤكد في سياق آخر على أن الرواية جاءت ملبية لحاجة الطبقة البرجوازية ومعبرة عن مشاكلهم وآمالهم. المرجع السابق، ص٢٤٥.

إثبات الأصول العربية للرواية، بطرحه مقابلة بين الشعر والقصة قائمة على التقابل بين الطبقتين، فللشعر طبقة عليا، وللقصة طبقة دنيا، وبناء عليه يكون للقصة العربية وجود مرتبط بتلك الطبقة لكنه لم يحظ بالتدوين والانتشار[١].

وما يلاحظ على هذين التوظيفين تجاوزهما لحقيقة الطبقة الفاعلة في المجتمع العربي القديم والحديث، والتعامل معها بوصفها نتيجة ناجزة وسندا لفرضيات أخرى، إلا أنه قد يكون سندا ضعيفا، غير قادر على بناء الصورة أو الدليل بوضوح كاف، ما يجعل من تلك القضايا إشكالات دائمة.

ولقد حاول عدد من النقاد الاستفادة من ربط الرواية بالطبقة وتوظيفها في تأسيس منظوراتهم التحليلية، ومن ذلك لحميداني الذي قسم الرؤية الاجتماعية للروائي تقسيما مشابها لرؤية المنظرين للرواية وعلاقتها بالطبقة، فهو قرن رؤية الملحمي بالإقطاع، ثم انتقد الرؤية المتصلة بالطبقة السائدة وتحديدا البرجوازية الوطنية التي مثلها عبد الكريم غلاب في رواياته[٢]، ليشيد بالرواية المتحيزة في رؤيتها للبرجوازية الصغرى ويعدها البداية الحقيقية للرواية الفنية في المغرب[٣]، بل إنه يربط تصدع الشكل الروائي الواقعي التقليدي بتصوير البرجوازية الصغيرة الواعية لمأساتها في إشارة إلى الرواية الجديدة[٤]، وهي مأساة يلخصها شكري ماضي في زيادة التفاوت بين الطبقات الاجتماعية زيادة أدت إلى تفكك البنى الاجتماعية وانعكاسه على البنية الروائية[٥].

ويلاحظ أن مفهوم الرؤية الاجتماعي مواز لمفهوم الرواية في علاقته بالطبقة بداية من العليا وانتهاء بالدنيا وتفككه بعد ذلك، إلا أنه لم يقدم تصورا إيجابيا للرؤية المنفكة عن الطبقة والمنفتحة على الطبقات كلها والإنسانية بعد ذلك.

---

[١] فاروق خورشيد، الرواية العربية عصر التجميع، ط٢؛ (مصر: دار الشروق، ١٩٧٥م)، ص٢٠.
[٢] ينظر لحميداني، الرواية ورؤية الواقع الاجتماعي، ص ص ١٧٦-١٨٦.
[٣] المرجع السابق، ص ص ٢٨٨-٣١٧.
[٤] المرجع السابق، ص٣٨٩.
[٥] شكري عزيز ماضي، الرواية العربية في فلسطين والأردن في القرن العشرين مع ببليوجرافيا؛ (عمان: دار الشروق، ٢٠٠٣م)، ص٩٦.

ثالثا: نقد الارتباط بين الطبقة والرواية

وجدت -رغم الإشكالات السابقة -محاولات تفسر الارتباط السابق بروح ناقدة، ومنها محاولة حسن البحراوي الذي فسر الربط بالهروب من وضع تعريف دقيق للشكل الروائي[١]، وهو متأثر في هذا الرأي بالبنيوية المحيّدة للعلل الخارجية بغية الوصول إلى الفواعل الداخلية للنص وشكله.

ولقد ظل التعريف الدقيق مطلبا للنقاد إلى الدرجة التي رضت فيها علا السيد حسان بالتخلي عنه لصالح المفهوم الجامع بين كل المتناقضات، الذي حضرت فيه الطبقة بوصفها قطبا من ضمن أقطاب متقابلة عديدة، كانت فيه الرواية نصيرة للطبقة العليا ومناوئة لها في الوقت ذاته[٢]، ليحمل هذا التعريف رغم اتساعه نقدا ضمنيا للربط بين الرواية والطبقة الاجتماعية، وإشارة لقدرة الخطاب الروائي على الانفتاح على الطبقات كلها، وقدرا كبيرا من الشبه مع المفهوم الغربي المفتوح للرواية الذي جمعه كودون Cuddon وجعله مبدأ للشيء ونقيضه[٣].

ومن المحاولات الناقدة للارتباط، محاولتا عبد الله العروي ومحي الدين صبحي المستهلتان بالتشكيك في مفهوم الطبقة ومدى تحققه في المجتمع العربي؛ بدعوى أن الدولة هي من تشكل الطبقات وليس العكس[٤]. ولقد سبق يوسف عزالدين الناقدين السابقين إلى ذلك، مبينا اختلاف بنية المجتمع العربي وخصوصا المجتمع

---

[١] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي الفضاء-الزمن-الشخصية؛ (بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٠م)، ص١٦.

[٢] علا السيد حسان، نظرية الرواية العربية في النصف الثاني من القرن العشرين؛ (عمان، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، ٢٠١٤م)، ص٣٧.

[٣] Cuddon, p576. ويشبه إمبرتو إيكو Umberto Eco الرواية بالحياة لاشتمالها على قدرة الجمع بين المتناقضات. ينظر إمبرتو إيكو، تأملات في السرد الروائي، ترجمة: سعيد بنكراد؛ (بيروت/الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠١٥م)، ص١٦٠.

[٤] لقد استبدل العروي الدولة بالمجتمع؛ لأنها هي من تبرجز الأفراد وتمنحهم الأدوار الجديدة، وهذا عكس مفهوم الطبقة السببي الفاعل. ينظر العروي، مرجع سابق، ص٣٠، وينظر صبحي، مرجع سابق، ص١١٩.

العراقي القبائلي عن الغربي[١]، وبالشك ذاته سأل سمر روحي الفيصل عن فائدة معالجة الصراع الطبقي في الرواية إذا كان الواقع العربي لا يعرف صراعا[٢].

ولقد رأى سهيل إدريس -في مرحلة متقدمة وسابقة وجامعة بين المجتمعين العربي والغربي -أن "الإنسان لا يولد نبيلا أو وضيعا وإنما هي الحياة التي تجعل الناس أرستقراطيين أو برجوازيين أو من عامة الشعب ..."[٣]، وهو بهذا يقلل من مفهوم الطبقة السببي وقيمته، ويرفع من الظروف المشكلة له التي عبر عنها بالحياة تعبيرا مجازيا.

أما سعيد يقطين فلقد أحال الطبقة إلى الأيديولوجية اليسارية الثورية التي حاولت إسقاط ذلك على المجتمع العربي الذي يرى أن بنيته لا تحتمل ذلك[٤]، وهي إحالة قد تتجاهل محاولات أخرى للطبقة كانت فيها وسيطا للتطور أو للتحفيز على الكتابة، وتحصرها في العقدية الضيقة، فالكتابة عن الطبقة قد تكون بحجم معرفتها لا بحكم التحيز لها[٥].

ويعاني هذا النقد مما عانى منه الرأي السابق المؤسس للرواية من فقدان الأدلة الاجتماعية والتاريخية لخلو المجتمع العربي من البنية الطبقية حسب شروطها الماركسية أو الاجتماعية، إضافة إلى أنه لم يقدم بديلا للبنية التي يمكن أن تشرح ظاهرة التفاوت بين الأفراد والمجتمعات، كما كان رفضه للطبقة والطبقية محصورا في التصور السببي الذي لا يرى في علاقة الطبقات إلا الصراع السياسي، مغفلا التصور البراغماتي الذي يحيل الطبقة إلى فرضية التفاوت الطبيعي وما قد يترتب عليها من سمات وإشكالات.

---

[١] عز الدين، مرجع سابق، ص٧٩.
[٢] الفيصل، مرجع سابق، ص٢٢٧.
[٣] سهيل إدريس، البطل في الرواية العربية الحديثة، مجلة كلية الآداب، السنة السابعة، يناير ١٩٥٩م، ص٢.
[٤] سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي النص-السياق؛ (بيروت: المركز العربي الثقافي، ١٩٨٩م)، ص١٤٥.
[٥] وهذا ما وضحه يوسف القعيد في مقابلته. ينظر صالح سليمان عبد العظيم، سوسيولوجيا الرواية السياسية يوسف القعيد أنموذجا؛ (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م)، ص١٨٨.

انتقل منتقدو الربط بعد ذلك إلى التشكيك ليس في الطبقة ولكن في قدرتها على إنتاج خطاب يجسد طموحاتها، فسمر روحي الفيصل وعلى الرغم من رده بدايات الرواية السورية إلى نشوء الطبقة المتوسطة، إلا أنه يناقض ذلك لاحقا، ويقول:" وفي رأيي أنه من العبث تعليل تطور الرواية العربية ببروز الطبقة المتوسطة"؛ لوجود اختلاف بين الواقعين العربي والأوروبي[١]، بيد أنه لم يقدم بديلا فرضيا للطبقة، ما جعل نقده متجاهلا للمرحلة الثالثة في التنظير التي سماها هيجل بالإيجابية[٢].

أما فيصل دراج، فلقد امتد نقده إلى الأساس النظري الغربي، ففي سياق عرضه لنظرية لوكاتش Lukacs؛ يرى أن ربط الرواية الغربية بالمجتمع البرجوازي كان ربطا تفاعليا حيا لا انعكاسيا جامدا؛ "فالمجتمع يمنح الرواية شكلها النموذجي والرواية تمنح البرجوازية وجودها النموذجي"[٣]، إلا أنه انتقد لوكاتش Lukacs في عدم مراعاته للتعددية التي اختزلها في النموذجي المعبر عن طبقة بعينها ليجعل من الرواية خطابا متماسكا ومتناغما، وأن الصراع الطبقي هو جزء من صراعات اجتماعية أكبر، والانتهاء إليه يجعل من النقد قراءة جاهزة، كما أنه ربط التاريخ الروائي بالتاريخ الاجتماعي ما يعني أن نهاية طبقة هو نهاية للخطاب الروائي وهذا ما عملت الرواية على نقيضه.[٤] كما انتقد غولدمانGoldman في ربطه بين البنية الاجتماعية والبنية الأدبية، فذلك –من وجهة نظره -يقلل من بنية الرواية ويحصرها في التناظر والاستجابة المحضة، بينما العمل الأدبي قادر على تجاوز الطبقة الاجتماعية والأيديولوجيا ومراعاة التعدد[٥]. كما يرى أن النظرية الجامعة بين الرواية والطبقة البرجوازية غير صالحة للأطراف، فهو لا يرى في المجتمع العربي إلا طبقة واحدة مسيطرة، وهو في هذا يعتمد على المفهوم الماركسي للطبقة، الذي يشترط التأثير

---

[١] الفيصل، مرجع سابق، ص٤٨، ٧٢، ٧٧.
[٢] هيجل، موسوعة العلوم الفلسفية، ج١، ص٢١١.
[٣] دراج، نظرية الرواية والرواية العربية، ص٢٨.
[٤] دراج، نظرية الرواية والرواية العربية، ص ص٣٣-٣٥.
[٥] المرجع السابق، ص ص٥٤-٥٦.

والاستقلال الاقتصادي والسياسي[١]، ويحيل في المقابل نشوء الرواية العربية إلى جملة من القيم الذاتية التي دافع عنها بعض المثقفين، لتعبر عن فئة ثقافية لا طبقة اجتماعية[٢].

ويلاحظ في نقد دراج أنه لم يواكب الآراء المتطورة للوكاتش Lukacs، التي تحول فيها من ربط الرواية من الطبقة إلى الطبقات[٣]، كما أن نقده لغولدمان Goldman لم يكن دقيقا، فرؤية العالم عنده تضمنت البعد التفاعلي بين الروائي وطبقته[٤]، كما أنه متأثر بالعروي حين ألمح إلى استحالة الرواية العربية بدعوى أن الرواية في طبيعتها قائمة على المركز والمدن، بينما "الرواية العربية لا تملك إلا الضواحي"[٥]، وهو نقد لا يرى في الطبقة إلا مفهوما سببيا، ولا يستند إلى دراسة اجتماعية أو تاريخية تؤكد ما ذهب إليه من أن العلاقة بين الطبقات قائمة على التبعية وليس التنافس أو الصراع، إضافة إلى أن دراج في مقام آخر اعترف بالطبقة وتأثير النفط في مواقعها وإفراز طبقات طفيلية جديدة توازي البرجوازية القديمة[٦]، بل إنه عد تمثيل الشخصية لنموذج طبقي عاملا من عوامل الارتقاء الفني للرواية[٧]، وقد يشكل هذا تناقضا في رؤيته. أما إحالته إلى المثقفين بوصفهم فئة لا طبقة، ففيها مخالفة للمفهوم عموما، فالفئة جزء من الطبقة، كما أن المثقفين بناء على عالم الاجتماع الأمريكي ألفين غولدنر Alvin Gouldner أصبحوا يشكلون الطبقة الجديدة، وأن المدراء منهم قد حلوا إلى درجة كبيرة محل الطبقات القديمة التي كانت تتمتع بالأموال والممتلكات[٨].

---

[١] المرجع السابق، ص٥٩، ٦١.

[٢] المرجع السابق، ص ص٥٩-٦٠. كما كرر ذلك بوشوشة لما اعتبر ظهور الرواية العربية في المغرب العربي استجابة لفئة اجتماعية جديدة من المثقفين. ينظر بوشوشة، مرجع سابق، ص ٤٩.

[٣] ينظر لوكاتش، الرواية التاريخية، ص ص ٤٣٢-٤٣٣.

[٤] ينظر غولدمان، مقدمة في سوسيولوجيا الرواية، ص٢٤٥.

[٥] ينظر العروي، مرجع سابق، ص٢٤١.

[٦] عبد الرحمن منيف، الكاتب والمنفى؛ (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٧م)، ص ٢٥٧، ص ٣١٩.

[٧] المرجع السابق، ص٣٢٢.

[٨] Alvin W Gouldner, The future of intellectuuals and the rise of the new class, (new York: Seabury Press, 1979), pp 28-43

وتؤكد الملاحظات السابقة على أن نقد دراج كان متجها إلى المفهوم السببي وحده، ومفتقرا إلى ما افتقرته الدراسات العربية من التحقق من حقيقة الطبقة وعلاقتها بالرواية، إلا أنه قدم بديلا قد يصلح البناء عليه في تطور علاقة الرواية بالمجتمع؛ وهم المثقفون الأفراد.

رابعا: تطور الربط من الطبقة إلى الفردية والإنسانية

يمثل ربط الرواية بالأفراد الواعين المثقفين المرحلة الوسيط المتطورة في علاقة النقد العربي بالطبقة، الذي تجاوز به الربط الآلي، والنقد المفتقر إلى تقديم بديل للطبقة المحصورة في التصور السببي.

ولقد كانت الفردية بديلا اتفق حوله مجموعة من النقاد، منهم النساج حينما أشار إلى أن الكتاب في الأغلب الأعم من الطبقة البرجوازية المعبرين بإرادة عن أحاسيسهم الفردية[١]؛ الفرد الممثل في ذاته الواعية والحساسة، ومحمد برادة الناظر إلى الرواية بوصفها تذويتا وفردية جاءت على حساب الطبقة[٢]، ولويس عوض في عدم قبوله شخصيات محفوظ على أنها نماذج طبقية، معتبرا إياها أمثلة ذاتية مبالغا فيها، فزوجة السيد أحمد عبد الجواد في الثلاثية المشهورة مثلا رأى فيها القديسة أكثر مما قرأ فيها ملامح امرأة من الطبقة المتوسطة الصغيرة إبان الحرب العالمية الأولى[٣]، كما أن سعيد علوش وجد في روايات الترجمة الذاتية نقدا ضمنيا للبرجوازية، ومحاولة لإعطاء القيم الاجتماعية صبغة فردية[٤].

وتمثل الفردية اعتراضا للربط بين الرواية والطبقة عموما، ووسيطا لتهيئتها بربط أكثر انفتاحا، وتخفيفا من حدة النقد السابق، ووصولا إلى ما هو أكثر قابلية للخطاب الروائي.

---

[١] النساج، مرجع سابق، ص٩١.
[٢] محمد برادة، الرواية العربية ورهان التجديد، كتاب دبي الثقافية الإصدار ٤٩؛ (دبي: دار الصدى، ٢٠١١م)، ص٣٥.
[٣] لويس عوض، دراسات في النقد والأدب؛ (مصر: مكتبة الأنجلو المصرية، ب.ت)، ص٣٥٩.
[٤] سعيد علوش، الرواية والأديولوجيا في المغرب العربي (١٩٦٠-١٩٧٥م)؛ (بيروت: دار الكلمة، ١٩٨١م)، ص١٩.

ذلك الوصول هو ما انتهت إليه المرحلة الأكثر تطورا من الفردية، وهي مرحلة ربط الرواية بالطبقات التي أشار إليها جابر عصفور حينما عرف الرواية بالفن القادر على تمثيل المدن وجذب القراء على اختلاف طبقاتهم[١]، ثم الإنسانية التي مثلها حمداوي في اعتقاده أن الرواية تجاوزت الحيز الطبقي وانفتحت على كل الهموم الإنسانية[٢]، وفاطمة خليفة في رؤيتها بأن الجنس الروائي مع تقدم الزمن أخذ يشهد تركيزا قويا على الجوانب الإنسانية[٣].

وعلى الرغم من تطور هذه النظرة في انفتاحها على الإنسانية إلا أنها متابعة لما حدث من تطور في التنظير الغربي.

وبهذا يتضح أن النقد العربي لم يتمكن من بناء نظرية متماسكة في علاقتها بالطبقة الاجتماعية، بسبب قفزه على فرضية الطبقة ذاتها والتعامل معها بوصفها بديهة، وحصرها في التصور السببي الذي أصبح بسبب الإجراء السابق نتيجة ومعطى أيديولوجيا جاهزا، وإغفاله للتصور البراغماتي الذي قد يمنح للنظرية في الاتصال مع الرواية قدرة على تجاوز المأزق البنائي للفرضية، وهذا ما جعل آراءه مشابهة ومتابعة للتنظير الغربي؛ مشابهة في رفضها الكلاسيكي، ومتابعة في نقدها الذي لم يكن دقيقا ومتطورا، حتى في توظيفه للعلاقة بين التنظير والطبقة في مناقشة عدد من القضايا التاريخية المتصلة بالرواية.

وعلى الرغم مما سبق؛ استطاع النقد العربي أن يضع من الفردية وسيطا لتطور علاقة التنظير بالطبقات ثم الإنسانية والقيم المدنية، وأن يستلهم من الربط تصنيفات موازية ومشابهة لتاريخها ومراحلها.

---

[١] عصفور، مرجع سابق، ص٣٦، ٤٣.
[٢] جميل حمداوي، مستجدات النقد الروائي؛ (دار الألوكة www.alukah.net، ٢٠١١م)، ص١٢.
[٣] فاطمة خليفة أحمد، نشأة الرواية وتطورها في دولة الإمارات العربية المتحدة في الفترة من ١٩٧٢-حتى ٢٠٠٠م؛ (أبو ظبي: المجمع الثقافي، ٢٠٠٣م)، ص٩١.

الرواية العربية وتصنيفاتها بحسب علاقتها بالطبقة الاجتماعية

أولا: تمييز الرواية عن الأنواع الأدبية

ويشمل ذلك تصنيف الرواية عن غيرها من فنون القول، أو تصنيف أنواعها، أو عناصرها الأساسية، أو كتابها، وما يتركه بعدها من وظائف ودلالات.

أما ما يتعلق بالرواية وتمييزها عما يجاورها من أنواع أدبية، فيأتي تصنيفها عن الشعر في المقام الأول، وهذا ما حاول أن يستفيد منه خورشيد لما جعل الشعر خطاب الطبقة العالية بينما القصة خطاب الطبقة الدنيا في إثبات الأصول العربية للرواية[١]، ولقد وافقه الهواري بنسبة جمهور الرواية إلى الطبقة الوسطى والشعر إلى الطبقة الإقطاعية[٢]، والتصنيفان السابقان إيجابيان في نظرتهما للطبقتين الوسطى والدنيا، ومعترفان بحقهما في التعبير، وهذا ما قابله العقاد بأوصاف هامشية للطبقة الدنيا خصوصا، ووصفها بالدهماء التي تنتشر الرواية في طبقتها على عكس انتشار الشعر في الطبقة العليا[٣]، وهو تصنيف يهدف إلى التقليل من الرواية بناء على التصور الكلاسيكي[٤].

أما التصنيف المتصل بالرواية الغربية، فيمثله لحميداني بمقدمة تصنيفية تاريخية قائمة على الفرز الطبقي، فهو يعد الملحمة رواية خادمة للطبقة الاقطاعية، ويضيف إليها الرواية الأسطورية والروايات الباروكية، بينما يربط الرواية الفنية بالطبقة البرجوازية[٥]، وهو تصنيف متابع للتنظير الغربي، ومؤكد لارتباط

---

[١] خورشيد، مرجع سابق، ص٢٠.
[٢] أحمد الهواري، نقد الرواية في الأدب العربي الحديث، ص١٠٢.
[٣] المرجع السابق، ص٢٠٤.
[٤] من الأمثلة على ذلك أيضا: علا السيد حسان لما ردت تفوق الرواية على الشعر والقصة إلى تجسيد الأولى أحلام البسطاء، وتفريغ شحنات الغضب عند الطبقة المتوسطة. ينظر حسان، مرجع سابق، ص١٠٥.
[٥] لحميداني، الرواية ورؤية الواقع الاجتماعي، ص ص ٥١-٥٧.

الرواية بالطبقة البرجوازية في سياق معركتها مع الإقطاعية، ولم يكن إلا استعراضا تاريخيا ممهدا لتاريخ الرواية العربية.

أما الرواية العربية فيمكن الإشارة إليها في تصنيف يوسف عز الدين للرواية الكلاسيكية العراقية على أنها رواية الطبقة العليا التي استأثرت باهتمام العامة وفضولهم في معرفة قصور تلك الطبقة ومساكنها المترفة، إضافة إلى عاداتهم في الملبس والمأكل[١]. تابعه الموسوي لما صنف الرواية الرومانسية العربية عن غيرها بواسطة موضوعها العاطفي وانتماء شخصياتها، ووصفها بأنها "استجابة لمغامرة البرجوازي الجديد العاطفية الممثلة في رجال ونساء من الطبقة نفسها"[٢]، وهو تصنيف مشابه للتصنيف السابق في مسايرته لنسبة الرومانس الغربي إلى الطبقة العليا[٣].

ثانيا: تصنيف الأنواع الروائية

ومن تصنيفات الأنواع الروائية: الواقعية التي ميّز سيد النساج بين نوعيها التسجيلي والاشتراكي بعنصر الشخصيات، فكانت الأولى برجوازية، بينما الأخرى عمالية كاشفة لملامح الاستغلال عند البرجوازيين[٤]، لتكون واقعية البرجوازيين ممتثلة لدقة الوصف وملاءمته، وهي سمات تكون فيها الطبقة مثالا لا معيارا، بينما الاشتراكية كانت متحيزة للطبقة الدنيا، ما جعل منها معيارا خارجيا غير فني.

---

[١] عز الدين، مرجع سابق، ص٨٥.

[٢] الموسوي، مرجع سابق، ص١٢٣.

[٣] فالرومانس في نظر فريدريك شليغل Schlegel كان "الشعر الطبيعي للطبقات العليا". ينظر لوكاتش، نظرية الرواية وتطورها، ص٥٧.

[٤] النساج، مرجع سابق، ص ١٢٢، ص ١٢٣، ص ١٢٦. ويتفق معه في هذا التصنيف السعافين لما أكد أن القضايا الاجتماعية في الواقعية الاشتراكية تجلت في إبراز ظلم الإقطاعيين وصراع الجماهير ضدهم. ينظر السعافين، مرجع سابق، ص ٣٨٠.

ولقد غلب بعد ذلك على النقاد العرب تمييزهم للاشتراكية، فحسين مروة يصنف رواية (الأمير الأحمر)[١] لمارون عبود على أنها كذلك؛ لأن مواقف كاتبها تحدد بوضوح الوضع الطبقي لمختلف أبطال الرواية[٢]، وهو الموقف المتمثل في الثورة على النظام الإقطاعي كما يرى السعافين[٣]، والدال في منظور عبد الفتاح عثمان على انتصار الطبقة الكادحة وسقوط الطبقة العليا الرجعية[٤]، وهو منظور متأثر بالماركسية.

ولقد تحولت الاشتراكية إلى تفسير للواقعية كلها، ومن ذلك تفسير بوشوشة للواقعية المغاربية على أنها عكست العداء الواضح للطبقة البرجوازية وما تمثله من قيم نفعية وأخلاقيات تقوم على حساب القيم الإنسانية[٥]، واستناد السعافين إليها في تصنيفه للواقعية في بلاد الشام، المتشكلة بعد مخالفة البرجوازية دعاويها، لتمثل تطلعات البرجوازية الصغيرة والكادحة وآلامها[٦]، كما أضاف إليها اختفاء البطل الفرد لصالح الطبقة الشعبية، وتحميل بطولتها معنى النضال القومي ضد الاستعمار[٧].

وعلى الرغم من أن التحميل السابق يطلق الواقعية من شباك الماركسية، ويمنحها بعدا قوميا، إلا أن التصنيفات السابقة تظل متأثرة بالماركسية وتصورها السببي للطبقة، الذي حاول أن يجعل منها معيارا للتصنيف، غير أنه معيار ظرفي ومفروض على الرواية، التي يمكن لها أن تتجاوزه بفعل تطور آلياتها، ووعي كتابها بها.

---

[١] مارون عبود، الأمير الأحمر؛ (مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٣م).
[٢] حسين مروة، دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي؛ (بيروت: مكتبة المعارف، ١٩٨٨م)، ص١٨.
[٣] السعافين، مرجع سابق، ص٢٠١.
[٤] عبد الفتاح عثمان، الرواية العربية الجزائرية ورؤية الواقع دراسة تحليلية فنية؛ (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣م)، ص١٩٧. فالواقعية ارتبطت عند أويرباش Auerbach بتمثيل حياة الشعوب ومقاومة الطبقة العليا ومعارضة أدب الأبراج العامة. ينظر عبد الله، مرجع سابق، ص٤١.
[٥] بوشوشة، مرجع سابق، ص٦٥٩. ولقد اعتبر الهواري الرومانسية والواقعية نموذجين للبرجوازية. ينظر أحمد إبراهيم الهواري، البطل المعاصر في الرواية المصرية، ط٤؛ (مصر: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٢م)، ص ٤٢.
[٦] السعافين، مرجع سابق، ص ص ٥٥٥-٥٥٧.
[٧] المرجع السابق، ص٣٨٣، ص٣٩٠.

ذلك التجاوز هو ما أشارت إليه محبة حاج معتوق لما ردت الواقعية إلى اتصالها بالطبقات الاجتماعية كلها[١]، وتابعتها في ذلك فاطمة خليفة حينما جعلت من الواقعية أداة التواصل بين كل طبقات المجتمع المتفاوتة[٢]، وفي هذا ملمح تطوري لتصنيف الرواية المنفتح طبقيا، والممهد لاحقا للبعد الإنساني، إلا أنه متابع للنظرية الغربية في ذلك[٣].

كما حضرت الطبقة بوصفها مضمونا في التصنيف منذ وقت مبكر، ومن ذلك تصنيف أحمد هيكل للرواية المصرية بناء على المضمون وطريقة المعالجة، إلى تحليلية، وتجربة ذاتية وذهنية، وتاريخية، ثم ذكر طبقة اجتماعية، ومنها: (حواء بلا آدم)[٤] لمحمود طاهر لاشين و(دعاء الكروان)[٥] لطه حسين[٦]، كما صنف يوسف عز الدين الرواية الجنائية على أنها رواية ممثلة "للتخلخل الاجتماعي العنيف بين الطبقات"[٧].

ويبقى هذا النوع من التصنيفات مرتهنا للموضوع لا الطريقة، وللسياق التاريخي الذي قد يتطور فيسهم في تغيير الموضوعات وطرح بدائل جديدة لها، لتصبح تلك الأنواع جزءا من تاريخ الأفكار والقضايا لا جزءا من تاريخ الرواية.

ثالثا: تصنيف الشخصيات

---

[١] معتوق، مرجع سابق، ص١٦.
[٢] خليفة، مرجع سابق، ص٢٥١.
[٣] ينظر في هذا التطور بيير شارتيه، مرجع سابق، ص١٠٨.
[٤] محمود طاهر لاشين، حواء بلا آدم؛ (مصر: مطبعة الاعتماد، ١٩٣٤م).
[٥] طه حسين، دعاء الكروان؛ (مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٣م). ولقد نشرت لأول مرة سنة ١٩٣٤م.
[٦] أحمد هيكل، الأدب القصصي والمسرحي في مصر من أعقاب ثورة ١٩١٩ إلى قيام الحرب الكبرى الثانية؛ (مصر: دار المعارف، ١٩٧٩م)، ص٣٤.
[٧] عز الدين، مرجع سابق، ص١٨٠.

أما ما يتعلق بالشخصيات فيرى لحميداني أن محمد الخطيب في كتابه (المغامرة المعقدة) قسمها بحسب انتمائها السياسي والطبقي -خصوصا البرجوازية -إلى: طبقة مندمجة عضويا في المجتمع ومشكلاته سعيا لحلها، وطبقة مبتعدة عن الواقع منعزلة عن كل ما تحيط به، وطبقة مندمجة مع تخلف المجتمع ومستسلمة له، عادّا النمطين الثاني والثالث جوازي مرور إلى الطبقات المسيطرة، وأن روايات النمط الأول إيجابية فيما الثاني والثالث سلبية. وانتقد ذلك لحميداني ورأى أن قراءته كانت تنظر إلى القراءة الانعكاسية الميكانيكية للرواية[١]، مع ذلك فإن تصنيف الخطيب يحمل فائدة لمفهوم الطبقة البرجوازية العربية تكمن في تحديد سماتها ومواقفها[٢]، وهو ما سيأتي الحديث عنه لاحقا.

ومن تصنيف الشخصيات: تقسيم سيد النساج لهم في رواية شكيب الجابري (وداعا يا أفاميا)[٣] إلى قرويين طيبين أبرياء وأذكياء، وسكان مدن بورجوازيين ساعين للربح والعبث بالقيم الأخلاقية[٤]، وتصنيف بوشوشة لشخصيات رواية محمد عزيز الحبابي (إكسير الحياة)[٥]، بين الطبقتين الفقيرة والبرجوازية المترفة[٦]، وتصنيف شوقي بدر شخصيات (أفراح القبة)[٧] لنجيب محفوظ إلى شخصيات هامشية من قاع المجتمع وشخصيات أخرى برجوازية قفزت اجتماعيا لتستأثر بالتسلط والتحكم[٨]. أما شكري وفي سياق تحليله لرواية (الحياة على ذمة الموت)[٩] لجمال ناجي، فلقد قسم عالمها إلى قسمين: قسم يمثل العالم الأول المسيطر على

---

[١] لحميداني حميد، النقد الروائي والأيديولوجيا من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي، ص ١٦١، ص ١٦٥.
[٢] ولقد حاول الخطيب تقديم طريقة في تصنيف الشخصية البرجوازية الصغيرة وتميزها عن غيرها، بأنها المختلفة في طريقة تفكيرها وطريقة حلها للمشكلات. ينظر الخطيب، مرجع سابق، ص٢٠.
[٣] شكيب الجابري، وداعا يا أفاميا؛ (مصر: دار الهلال، ١٩٦٠م).
[٤] النساج، مرجع سابق، ص١١٧.
[٥] محمد عزيز الحبابي، إكسير الحياة؛ (مصر: دار الهلال، ١٩٧٤م).
[٦] بوشوشة، مرجع سابق، ص٥٢٥.
[٧] نجيب محفوظ، أفراح القبة؛ (مصر: مكتبة مصر، ١٩٨٧م). ونشرت طبعتها الأولى سنة ١٩٨١م.
[٨] شوقي بدر يوسف، غواية الرواية دراسات في الرواية العربية، ط١؛ (الإسكندرية: مؤسسة حورس الدولية، ٢٠٠٨م)، ص١٨.
[٩] جمال ناجي، الحياة على ذمة الموت؛ (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٣م).

العالم الممثل للبرجوازية الرأسمالية، وقسم يمثل العالم الثاني في تنوع الناس وصخبهم؛ حيث أشار في ذلك إلى بعض من سمات العالم الأول؛ وهي سمات سلبية[١].

ويلاحظ على التصنيفات السابقة للشخصيات تأثرها بمفهوم الطبقة السببي الذي يحصر المجتمع في طبقتين متصارعتين، متحيزا إلى أضعفها، بمنح الطبقة البرجوازية العالية سمات سلبية تبرر مأساوية الأحداث، وموقف كاتبها، كما أنها متأثرة بمفهوم الرواية الدرامي القائم على الصراع، الذي كان في الرواية التقليدية بين الخير والشر[٢]، لينتقل بعد ذلك في الرواية الواقعية الاشتراكية إلى الصراع بين الطبقتين العليا والدنيا بوصف الأخيرة نموذجا للخير والأولى العكس، وهي تهدف بذلك إلى تقديم قراءة موجزة للنص الروائي بواسطة تحويل الشخصية إلى نموذج طبقي[٣]، يكون التصنيف فيها وسيلة لا غاية.

ومن التصنيفات المعنية بالشخصية، تصنيف البطل المعاصر عند أحمد الهواري بحسب اتصاله بالطبقة تصنيفا مشابها للرواية ومراحلها في علاقتها بالطبقات، فهو يعتبره أولا فكرة برجوازية، مرتبط ظهورها بالتأثيرات السياسية والاجتماعية[٤]، يخلف بذلك البطل الأسطوري، ويمهد للبطل الإيجابي الممثل للطبقات الشعبية[٥]، ثم أخيرا البطل العادي الذي تكوّن مع زيادة احتكار الطبقة البرجوازية[٦].

---

[١] ومن سماتها: أنها شريحة تنظر للمال على أنه الهدف الأسمى في الحياة، والنفوذ على أنه الغاية، والمرأة مجرد جسد أو خادمة، وتتوسل بالدين وتجعل رجاله مجرد أبواق وخدم لمصالحها، وتستغل الصحافة والإعلام والثقافة. ينظر ماضي، الرواية في فلسطين والأردن، ص٨٤، ص ٨٥.

[٢] السعافين، مرجع سابق، ص١٠٤.

[٣] من الأمثلة أيضا: قراءة بوشوشة لرواية (الزلزال) التي فسر فيها شخصية (بو الأرواح) على أنه ممثل للطبقة الإقطاعية الماضية إلى الزوال لتحل محلها الطبقة العاملة. ينظر بوشوشة، مرجع سابق، ص٣٤٤.

[٤] الهواري، البطل المعاصر في الرواية المصرية، ص٩.

[٥] المرجع السابق، ص٥٠، ص ٦٨.

[٦] المرجع السابق، ص١٢، ص٣٩.

ويتضح في التصنيف السابق وما احتواه من تصورات تأثره بنشوء الرواية وتطورها في علاقتها مع الطبقة وتدرجها من العليا إلى الدنيا، وما قيل عن لحميداني في مفهوم الرؤية يقال عن الهواري في عدم قدرة مفهوم البطل من الانفكاك الطبقي والوصول إلى البعد الإنساني الذي حاول احتكاره في الطبقة الشعبية.

كما يشمل تصنيف الشخصيات تصنيفا للروائيين، فالنساج يرى أن معروف الأرناؤوط أرستقراطي؛ لأنه يختار شخوصه التاريخيين من عالم الأرستقراطية[١]، وهو تصنيف ممهد لحكم الانتقاد، ومبني على القراءة الظاهرية التي لا تتعامل مع الشخصيات بوصفها رموزا وأفكارا، كما يرى الناقد ذاته في الرواية المغربية أن البرجوازية الكبيرة ركزت على الماضي بينما الصغيرة ركزت على الواقع الذي أخذوا ينتقدونه ويعرونه[٢]، وهو تصنيف غير فني معتمد على عنصر الشخصيات وموقف الروائي من طبقاتها، إلا أنه يحاول أن يكون دالا ومتسقا مع النظرية الغربية الماركسية في ربط الرواية الواقعية بالطبقة الدنيا، ومحاولة تبرير واقعها والتحيز له.

أما شوقي بدر فلقد رأى في روايات نجيب محفوظ وشخصياتها انتسابا إلى فئات الطبقة المتوسطة ومراتبها من تجار وموظفين وطلبة وحرفيين[٣]، وهو تصنيف ابتدائي عام لا يبحث أثر ذلك في التشكيل الروائي، وهذا عكس ما ذهب إليه عبد العظيم أنيس من أن روايات نجيب محفوظ معبرة عن مأساة البرجوازية الصغيرة في وضعها الجديد، ومتجاهلة القوى الاجتماعية الجديدة(العمال)[٤]، وهو حكم أكثر من كونه تصنيفا، متأثر بوجهة النظر الماركسية، وببعض الممارسات السابقة المتخذة من التصنيف مطية للتوظيف المتأثر بالمفهوم السببي للطبقة.

---

[١] النساج، مرجع سابق، ص١١٨.
[٢] النساج، مرجع سابق، ص٢٠٥.
[٣] يوسف، مرجع سابق، ص١٩. وتتفق معه فضيلة دروش في أن نجيب محفوظ كان يقدم نموذج الحياة للطبقة المتوسطة. ينظر دروش، مرجع سابق، ص١٢٢.
[٤] وهو يبني حكمه ذلك على (خان الخليل) و(فضيحة في القاهرة) و(زقاق المدق) و(بداية ونهاية). ينظر أنيس، العالم، في الثقافة المصرية، ص ص١١١-١١٢.

رابعا: تصنيف المكان واللغة

ومن التصنيفات المتأثرة بعلاقة الرواية بالطبقة، تصنيف النساج للمكان بناء على رواية عبد الكريم غلاب (دفنا الماضي)[١]، وأنه مكانان: مكان تعيش فيه البرجوازية المالكة والثرية، ومكان تسكن فيه الطبقة الفقيرة الكادحة[٢]، كما ميز محمد مصايف في سياق تحليله لرواية (الزلزال)[٣] بين سكان المدن والريف على أساس طبقي[٤]، وهي تصنيفات لا تتجاوز التصور السببي في إصراره على التقابل بين الطبقتين، واستغلال ذلك في التأكيد والتذكير بمفاهيم الاستغلال والصراع.

كما كان هناك تصنيف طبقي مرتبط بالمعمار الفني للنص، باللغة تحديدا، فعلي الراعي ربط العامية بالطبقة الدنيا[٥]، ووافقه الهواري في ذلك،[٦] أما العالم فلقد كان أكثر شمولية حين وجد أن العامية أفضل من الفصحى في التعبير عن القضايا المرتبطة بالشرائح الاجتماعية، أما المجردة فالفصحى أنسب لها[٧].

ونسبة العامية إلى الطبقات متأثر بالواقعية التي ترى فيها بلوغا لشرط البساطة والنقل الفوتوغرافي[٨]، وتحقيقا لرسم الشخصية النموذجية المطابقة لطبقتها[٩]، وهي معايير تجاوزتها الروايات الجديدة في تركيزها على الفرد وطريقة تفكيره في مواجهة الحياة بعيدا عن طبقته أو أي بنية اجتماعية أخرى.

---

[١] عبد الكريم غلاب، دفنا الماضي؛ (المغرب: منشورات المعارف، ٢٠٠٩م). ونشرت لأول مرة سنة ١٩٦٦م.
[٢] النساج، مرجع سابق، ص٢٠٩.
[٣] الطاهر وطار، الزلزال؛ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٤م).
[٤] محمد مصايف، الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والالتزام؛ (بيروت: الدار العربية للكتاب، ١٩٨٣م)، ص٦٨.
[٥] الراعي، مرجع سابق، ص ص٩٥-٩٦.
[٦] الهواري، نقد الرواية، ص٣٠١، ٣٠٨.
[٧] المرجع السابق.
[٨] ينظر في شروط البساطة عند الواقعية العروي، مرجع سابق، ص٢٢٥.
[٩] ينظر في ربط العامية برسم الشخصية الطبقية السعافين، مرجع سابق، ص٢١٦.

خامسا: تصنيفات دلالية

ومن التصنيفات المتأثرة بالطبقة، والمتصلة بالبناء الدلالي للرواية، تمييز الهواري بين الموضوع والمضمون، بأن جعل الأول حاملا للمعنى بينما الآخر حاملا للموقف، الذي يتكون -نقلا من فيتشر -من تحديد الطبقة التي يتحدث باسمها الكاتب[1]، وفي هذا دلالة على المتابعة للتنظير الغربي، ومحاولة إثبات أن للطبقة وظيفة في صياغة موقف يرتقي فيه الكاتب عن الموضوع، إلا أن فيه مخالفة للجانب الفني للرواية الذي لا يتعلق بالمواقف التي قد تكون متحيزة، وإنما بكيفية تمثيلها.

ومن الأمثلة على التصنيفات الدلالية: رؤية الجنس من منظور طبقي، فبوشوشة حلل انحرافات الجنس بوصفه بنية دالة على الطبقات البائسة، أما عند الطبقة الراقية والبرجوازية فيمثل التحرر والرغبة وتحقيق متعة الجسد[2]، وهو تصنيف مقيد بنص الرواية وموقف كاتبها، صالح للتمثيل لا التجنيس.

ويلاحظ على التصنيفات السابقة سواء ما تعلق منها بالرواية وأنواعها، أو ما تعلق بعناصرها البنائية أو الدلالية، اعتمادها لبدهية الطبقة، ما جعلها متابعة لتصنيفات النظرية الغربية، ومتداخلة مع أنواعها، ومتأثرة- إلى حد كبير- بالماركسية والتصور السببي للطبقة الذي كان حاضرا في كثير من التمييزات المحصورة بين الطبقتين العليا والدنيا، ومحاولة إثبات استغلال الأولى للأخرى، كما كانت تلك التصنيفات موظفة ومستغلة في تمرير كثير من الآراء الأيديولوجية، مثل الماركسية والقومية، أو ممهدة للأحكام المنفصلة عن البنية الفنية ووسائلها التمثيلية، أو مرتهنة لموقف الرواية وكاتبها، ما جعل الطبقة تبدو في عدد من الاستنتاجات أمثلة لا معايير أجناسية.

---

[1] الهواري، نقد الرواية، ص ص٢٦٩-٢٧٠.
[2] بوشوشة، مرجع سابق، ص٦٤٠.

في المقابل كانت هناك محاولات تصنيفية استلهمت من الرواية في علاقتها التدرجية مع الطبقة الاجتماعية نظامها، ليكون دليلا مؤكدا وموازيا لتطورها على الرغم من عدم استيفائها للمرحلة الإنسانية، ووظفت التصنيف ليكون مدخلا للقراءة، وتوسيع الصراع بين الطبقتين ليشمل قيمتي الخير والشر، ووسيلة لتحول الشخصيات إلى نماذج. وهي تبقى بعيدا عن التحيز وغياب بعض الشروط الشارحة لتحقيق النمذجة، محاولات لجعل التصنيف إجراء دالا.

الطبقة الاجتماعية ووظائف الرواية العربية

أولا: وظيفة الرواية

لقد ارتبطت الرواية وظيفيا بالطبقة الاجتماعية في عدد من المواضع، منها ما يتعلق بالرواية وعنصريها التواصليين الروائي والمتلقي، وعناصرها البنائية من لغة وحوار وسخرية ووصف واستطراد، أو بعض من مواضيعها، ومفاهيمها التحليلية، مثل رؤية العالم والنموذج.

بدءا بالرواية، فإن وظيفتها كانت معنية عند بعض النقاد بالتصوير الطبقي، فالهواري خلص إلى أن مهمة الرواية عند لويس عوض ومندور الناقدين: هي تصوير شرائح اجتماعية معينة وتحديدا الوسطى والدنيا[١]، ليكون تصوير العليا مقصورا على حالة فضح قيمها الاستغلالية كما يذهب إلى ذلك شمس الدين موسى والكشف عن القيم الجديدة[٢]، وهذا ما يمكن تفسيره بمتابعة التنظير الغربي المتأثر بالماركسية[٣]، والاستجابة الأيديولوجية لوظيفة الأدب عموما من وجهة النظر الاشتراكية، التي لخصها العالم في قوله إن

[١] الهواري، نقد الرواية، ص ٢٤٣.
[٢] موسى، مرجع سابق، ص٩٠.
[٣] يرى ماركس Marx أن الرواية الواقعية كشف للوجه الاجتماعي والأخلاقي القبيح للطبقات المسيطرة، وكشف للحقائق السياسية والاجتماعية أكثر من كشف السياسيين والقادة الاجتماعيين. ينظر بيتروف، مرجع سابق، ص١٢٢.

الأدب من منظور اشتراكي "يكون في خدمة العمال والفلاحين خاصة، يعبر عنهم ويتعلم منهم ويعلمهم ويصوغ لهم رؤيا الواقع والممكن والمثال"[١].

ولقد كانت الوظيفة السابقة محل اختلاف عند أحمد الهواري لما أكد أن الرواية "محورها هو الإنسان أيا كان وضعه الطبقي أو الشريحة الاجتماعية التي ينتمي إليها"[٢]، وفي هذا دليل على تطور النقد الروائي العربي في انتقاله من الطبقة إلى الإنسان، إلا أنه متابع للتنظير الغربي خصوصا لحوارية باختينBakhtin [٣]، في تأكيد قيمتي الاختلاف والتعدد بوصفهما إنسانية وفنية.

أما ما يتعلق بالروائي فلقد لاحظ بوشوشة أنه يمكن للرواية في اتصالها بالطبقة أن توضح أيديولوجية كاتبها، فرواية (الزلزال) وما صورته من تفاوتٍ طبقي وتعاطفٍ مع الطبقة المسحوقة كشفت عن الخلفية الأيديولوجية للطاهر وطار[٤].

أما لحميداني فلقد استنتج أن عبد الكريم غلاب في روايته (سبعة أبواب)[٥] كان ممثلا للبرجوازية الوطنية التي أرادت أن تحتوي النضال وتوجهه وفق منظورها المصلحي[٦]، في حين أن سيد النساج اعتبر انتماء المويلحي للطبقة العليا هو من جعله يعتني بأبنائها على حساب الفقيرة التي قابلها بالازدراء والاحتقار واتخذها وسيلة للفكاهة والسخرية[٧].

---

[١] العالم، ملاحظات حول نظرية الأدب، ص٢٧. وفي سياق تحليله لرواية (الزلزال) يرى مصايف أن تمثيل الطبقة العاملة وظروفها الصعبة كان الهدف منه إثبات أن الاشتراكية ملائمة لهم. ينظر مصايف، مرجع سابق، ص٦٠.
[٢] الهواري، نقد الرواية، ص٥٢.
[٣] باختين، الخطاب الروائي، ص٦٨.
[٤] بوشوشة، مرجع سابق، ص٣٤٣.
[٥] عبد الكريم غلاب، سبعة أبواب؛ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٥م).
[٦] لحميداني، الرواية ورؤية الواقع الاجتماعي، ص١٢٥.
[٧] النساج، مرجع سابق، ص٢٢.

وبهذا تكون وظيفة الرواية الكشف عن رؤية الكاتب المتأثرة بطبقته الاجتماعية، كشفا يقوم على مبدأ الانعكاس وقيمة الانتماء، والقراءة المباشرة للنص المبتعدة عن رمزية الشخصيات والأحداث، ما تجعل منه وثيقة اجتماعية أكثر من كونه رواية فنية.

أما على مستوى التلقي، فهناك من افترض أن للرواية أو عناصرها إسهاما في تحريض القارئ ودفعه إلى التغيير، فالراعي في تحليله لشخصية سنية في (عودة الروح)[١] أسند إليها "دفع الطبقة الوسطى إلى الاشتراك في الثورة"[٢]، وهو تأويل متسق مع السياق التاريخي للرواية، إلا أنه معبر عن الأمل المنتظر، لتكون الوظيفة استشرافا للمستقبل لا استقراء للنص.

أما شكري ماضي فإنه ربط وظيفة الرواية بتكوين الوعي الطبقي، فهو في سياق تحليله لرواية (أخبار عزبة المنيسي)[٣] لمحمد يوسف القعيد، نسب لها محاولة توعية المتلقي بالعدو الطبقي "الذي لا يقل خطورة عن العدو القومي"[٤]، لتكون وظيفة الرواية تثقيفية، إلا أنها توجيهية ومحدودة، وغير قادرة على الوصول إلى ما هو أبعد من ذلك، وهذا بسبب تأثرها بالمفهوم السببي الذي لا يرى في الطبقة إلا الصراع الذي يجب أن يكون الوعي به مقصودا وموظفا.

ومن وظائف الرواية المتصلة بحال التلقي: وظيفة تهيئة القارئ لفهم الأوضاع الجديدة، فالشنطي يرى أن (ثمن التضحية)[٥] لحامد الدمنهوري أرهصت لوجود طبقة جديدة؛ طبقة رجال الأعمال الذين همهم محصور في زيادة الثراء من خلال التنقل والارتحال[٦]، إلا أنها متأثرة بمفهوم الرواية في علاقتها بالطبقة الوسطى التي

---

[١] توفيق الحكيم، عودة الروح؛ (مصر: دار الشروق، ٢٠٠٤م). ونشرت أول مرة سنة ١٩٣٣م.
[٢] الراعي، مرجع سابق، ص١٠٦.
[٣] يوسف القعيد، أخبار عزبة المنيسي؛ (مصر: دار الهلال، ١٩٨٥م).
[٤] ماضي، انعكاس هزيمة حزيران على الرواية العربية، ص٣٣.
[٥] حامد دمنهوري، ثمن التضحية؛ (الرياض: دار الفكر، ١٩٥٩م).
[٦] الشنطي، مرجع سابق، ص٥٦.

غلب عليها التجارة والثقافة، وتحديد سماتهم دون تحيز أو تشويه، وهي وظيفة تتناسب والرواية الواقعية التي تحصر الفنية بدقة الوصف.

وتذكر الوظائف السابقة بما نص عليه هواري من أن "التعرف على مهمة الرواية ووظيفتها الاجتماعية عند الناقد التقليدي تتطلب تعرفا على طبيعة الجمهور ونوعه وشريحته الاجتماعية"[١]، ما يعني في المقابل أن الناقد الحديث استغنى عن تلك المعرفة بسبب تطور النص الروائي من جهة، وتطور الخطاب النقدي الذي يمنح البنية الداخلية اهتماما أكبر من جهة أخرى، خصوصا وأن البنية الخارجية كثيرا ما كانت محلا للتوظيف الأيديولوجي كما هو واضح في وظيفة توعية المتلقي بطبقته وهمومها وتحولاتها التي كانت مقتصرة على الطبقة الدنيا عموما في علاقتها الصراعية مع العليا، ولم تتجاوز ذلك- باستثناء الشنطي-بسبب تأثرها بالمنظور الماركسي.

ثانيا: وظائف اللغة وأساليبها

وبعيدا عن عنصري الروائي والمتلقي، حاول عدد من النقاد أن يسبر وظائف بعض العناصر أو الأساليب المتصلة بالطبقة الاجتماعية وقدرتها على التمثيل، ومن ذلك اللغة، فالهواري في رده على اليازجي وعلاقة اللغة بالشخصية الروائية، ذهب إلى أن اللغة مهمة في تصوير مواقف الشريحة الاجتماعية التي تنتمي إليها[٢]، وهو رأي غير متحيز لطبقة بعينها، يفتح مجالا لصياغة اللغة صياغة تتجاور وتتحاور مع مستوياتها الاجتماعية المختلفة كما نص على ذلك من قبل باختينBakhtin [٣]، كما يمنح للطبقة وجودا تمثيليا يسهم الشكل الروائي اللغوي بعد ذلك في تحقيقه.

---

[١] الهواري، نقد الرواية، ص٢٥.
[٢] المرجع السابق، ص٨١.
[٣] باختين، الخطاب الروائي، ص٦٨.

أما ما يتصل باللغة وأساليبها، مثل السخرية؛ فإن الراعي انتبه إلى أن الحكيم استخدمها لكشف تفاهة الطبقة العليا، لتكون وظيفتها بذلك ملتزمة بالطبقة الاجتماعية وموقف الكاتب منها[١]، وهو متابع في ذلك لباختين Bakhtin في نظرته لوظيفة السخرية في الرواية[٢].

ومن الأساليب اللغوية الحوار الذي كان له من وجهة نظر شكري ماضي في روايات نجيب محفوظ وظيفة توضيح سيكولوجية الشخصيات ومواقفها الفكرية والسياسية وانتماءاتها الطبقية[٣]، في تأكيد لفعل الطبقة وأثره في البعد النفسي كما ألمح إلى ذلك سنتر Center الذي اعتبرها ظاهرة نفسية وجزءا من الأنا المتسبب في منح الفرد الشعور بالانتماء إلى شيء أكبر من نفسه[٤]، وتأكيد للتنظير المتجه إلى الكشف عن الأبعاد النفسية والسياسية كما يرى إيغلتون Eagleton[٥]، وهو كشف يجب ألا يكون متحيزا ليتناسب ومفهوم الحوار الملتزم بقيمة التعدد التي أصبحت إنسانية وفنية في الوقت ذاته.

ومن الأساليب اللغوية الاستطراد الذي يرى مصايف أن الطاهر وطار وظفه في رواية (الزلزال) لكشف بعض الأجهزة التي انقلبت برجوازية، أو تعاونت معها لعرقلة الطبقة العمالية[٦]، بينما السعافين في قراءة فنية مغايرة رأى أن الاستطراد في تصوير الطبقة الشعبية سبب في ضعف البناء الفني في سياق تحليله (للمصابيح الزرق)[٧]. لتكون وظيفة الأسلوب السابق نسبية ومختلفة باختلاف الناقد ومنظوره؛ أي أنها مرتبطة بقيمة متغيرة لا تتناسب والتنظير الملتزم بالقيم الثابتة.

---

[١] الراعي، مرجع سابق، ص١٣٣.
[٢] ينظر في ذلك دراج، نظرية الرواية والرواية العربية، ص٧٨.
[٣] ماضي، انعكاس هزيمة حزيران على الرواية العربية، ص١٦٧.
[٤] Ralf Dahrendorf, Class and Class Conflict in Industrial society, p74-75.
[٥] إيغلتون، ما بعد النظرية، ص١١٦.
[٦] مصايف، مرجع سابق، ص٧٠. أما بالنسبة للرواية، حنا مينة، المصابيح الزرق؛ (القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٢م). ونشرت أول مرة سنة ١٩٥٤م.
[٧] السعافين، مرجع سابق، ص٤٠١. أما بالنسبة للرواية، توفيق يوسف عواد، الرغيف، ط١٧؛ (بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٤م). نشرت أول مرة سنة ١٩٣٩م.

أما الوصف والتصوير، فلقد كان غرضهما بحسب العالم كشف التفاوت الطبقي[١]، أو تمثيل الشخصية تمثيلا طبقيا كما انتبه إلى ذلك السعافين لما أرجع الصفات الجسمية للدلالة الطبقية في تحليله لشخصية محمد رضوان في رواية (الرغيف)[٢]؛ لتتحول هنا الطبقة إلى مرجعية يفسر من خلالها الناقد وظائف بعض العناصر البنائية في النص الروائي، كما يمنحها دليلا على وجودها وأثرها البنائي والدلالي؛ إلا أنه أثر قريب من الحكم النقدي، ولا يرتقي إلى التنظير واستخلاص القوانين.

ثالثا: وظائف الطبقة الدلالية والمرجعية

ولقد استفاد النقاد العرب من مفهومي الطبقة السببي والبراغماتي في إمداد الرواية بوظائف، منها: وظيفة تكوين الرؤية القائم على مبدأ الصراع؛ حيث إن الصراع الطبقي مكون من مكونات المغزى عند الكاتب[٣]، ولقد صنف كثير من النقاد -كما مر -الشخصيات إلى طبقتين متصارعتين لتأكيد هذه الرؤية المتداخل فيها الفني مع الأيديولوجي.

ويضاف إلى الصراع الوعي الطبقي الذي استعمله لحميداني في تحليله لـ(قبور في الماء)[٤]، واستنتج منه أن رؤية الكاتب مستمدة من وعي طبقته[٥]، وهو متابع في ذلك لغولدمانGoldman ورؤيته للطبقة ووظيفتها في تكوين رؤية العالم[٦]، وهو ما يفسر الفنية بالتماسك من ناحية أخرى.

---

[١] فهو يرى أن الشباك في الثلاثية الذي تطل منه عايدة على كمال في قصرها المنيف يعبر عن صور العلاقة الطبقية بينهما. ينظر محمود أمين العالم، تأملات في عالم نجيب محفوظ؛ (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٠م)، ص ٧٤.
[٢] السعافين، مرجع سابق، ص٤١٢.
[٣] الهواري، نقد الرواية، ص٦٢.
[٤] محمد زفزاف، قبور في الماء؛ (بيروت/الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٧م). نشرت أول مرة سنة ١٩٧٨م.
[٥] لحميداني، الرواية ورؤية الواقع الاجتماعي، ص٥١٨.
[٦] ينظر غولدمان، في سوسيولوجيا الرواية، ص٢٥.

ومما استفاد منه النقاد أيضا من مفهوم الطبقة: صنع شخصيات نموذجية ورمزية مرتبطة بطبقتها لتكون نمطا ومثالا[١]، حيث لا يتحقق لها ذلك إلا بالوصف الدقيق لحالها وطريقة عيشها وعاداتها في الملبس والمأكل، إضافة إلى تضمينها موقفا جمعيا، واستخدام الأمثال الشعبية والتعبيرات العامة والأمثال الفولكلورية[٢].

ولقد حرص النقاد على استنتاج الشخصيات النمطية كما هو واضح في تحليلاتهم، ومنها: أن العم كساب في رواية (الأرض)[٣] كان ممثلا للطبقة العاملة الصناعية من وجهة نظر أنيس[٤]، وأن شخصيات رواية بركات (عودة الطائر إلى البحر)[٥] كانت ممثلة للبرجوازية الصغيرة المنفصلة عن واقعها كما يرى الخطيب[٦]، كما امتد تفسير الشخصيات بالنماذج الطبقية إلى الشخصيات الحيوانية، ومن ذلك تفسير بوشوشة لشخصية الأسد في رواية (الحيوانات)[٧] للصادق النيهوم بأنه ممثل للطبقة الحاكمة[٨].

ولقد حاولت فاطمة خليفة تفسير ذلك على أنه من الاتساق في البناء الروائي للشخصيات الذي يساعد في تقريبها للقارئ وتفاعله معها[٩]، إلا أن هذا الوصف يبقى خارجيا وعلى حساب الوصف الداخلي للشخصية[١٠]، كما تظل وظيفة النمذجة محاولة من الناقد للوصول إلى رؤية الكاتب التي يمكن أن تضيف إلى قراءته عمقا وقيمة تاريخية واجتماعية، بسبب ارتباطها بالمجموع القادر على تكوين نسق للرؤية يساعد

---

[١] نقله الهواري في كتابه (نقد الرواية)، ص١٩٨، من إبراهيم المصري، شخصية القصصي، البلاغ اليومي، ٢١أكتوبر، ١٩٣٣م، ص٣. كما ترى محبة حاج معتوق أن الطبقة يمكن أن تكون مرجعا يفسر الوصف للأشياء. ينظر معتوق، مرجع سابق، ص ٢٢. ويرى طه وادي أن الشريحة الاجتماعية من أهم مكونات رسم الشخصية، إضافة إلى بعديها الجسمي والنفسي. ينظر طه وادي، دراسات في نقد الرواية؛ (مصر: دار المعارف، ١٩٩٤م)، ص٢٧.

[٢] ينظر السعافين، مرجع سابق، ص٢٨٩، ص ٣٨٥، ص٤٣٥. فأبو سهيل في رواية (الحب المحرم) نموذج لطبقة التجار الصغار؛ لأن المؤلف رسم لباسه ومسكنه ومعاشه وطريقة حياته بناء على مواصفاتها. ينظر المرجع السابق، ص ٣٠١. ويلبي الرسم السابق معيارا من ضمن معايير مهنية واقتصادية لمفهوم الطبقة بحسب أندريه جوسان. ينظ جوسان،مرجع سابق، ص ص ٢١-٢٢.

[٣] عبدالرحمن الشرقاوي، الأرض؛ (مصر: دار الشروق، ٢٠٠٨م). نشرت أول مرة سنة ١٩٥٤م.

[٤] أنيس، في الثقافة المصرية، ص١٣٩.

[٥] حليم بركات، عودة الطائر إلى البحر؛ (بيروت: دار النهار، ١٩٦٩م).

[٦] الخطيب، مرجع سابق، ص٨٢.

[٧] الصادق النيهوم، الحيوانات؛ (سوريا: دار الشرق، ٢٠١٠م). نشرت أول مرة سنة ١٩٨٦م.

[٨] بوشوشة، مرجع سابق، ص٤٧٣.

[٩] خليفة، مرجع سابق، ص١٠٩.

[١٠] ينظر السعافين، مرجع سابق، ص٣٠٣.

الروائي والقارئ على جعل نصهما متماسكا وذا دلالة كما أبان عن ذلك غولدمان Goldman[1]، إلا أنه غير كاف في تحديد الشروط اللازمة لتحويل الشخصية إلى نموذج أو رمز جمعي دال.

ويتضح مما سبق أن وظائف الرواية المقترنة بالطبقة الاجتماعية كانت شاملة للأبعاد الفنية والاجتماعية، وعناصرها البنائية والدلالية، وطرفي التواصل الكاتب والقارئ، إلا أن كثيرا منها اقترن بضرورة الكشف عن الطبقة بوصفها بنية اجتماعية أو موقفا سياسيا، فغلب على الوظائف التحيز للطبقات الدنيا، وتأكيد ارتباط مفهومي الرؤية والنموذج ووظائفهما بالطبقة الاجتماعية، بسبب تأثرها بالماركسية وتصورها السببي وواقعيتها الاشتراكية، ليميل التنظير إلى التفسير النفسي والسياسي المقترن بمفهوم الطبقة السابق، الذي أصبح مرجعا دلاليا غير أنه ظرفي وجزئي، أو استشراف مؤمل، أو توعية موجهة. وكلها تفسيرات غير شاملة للأبعاد الفنية، متأثرة بمبدأ الانعكاس وقيمة الانتماء، وهما عنصران خارجيان يؤكدان أسبقية التصور الاجتماعي للنظرية الروائية، ويؤثران على طبيعة النص الروائي، فيصبح وثيقة أكثر من كونه رمزا.

في المقابل فإن اقترانها بالمفهوم البراغماتي قد وصلها بالأبعاد الإنسانية والفنية، وفي ذلك تأكيد آخر على إمكان تطور العلاقة بين التنظير والطبقة بناء على الاقتران السابق، وإمكان توازيه مع التنظير والتصنيف المتأثرين بالنظرية الغربية في انفتاحها وتوسعها، والاعتماد على الدقة والتماسك والتعدد بوصفها قيما فنية.

الأحكام النقدية والطبقة الاجتماعية

أولا: الأحكام التقييمية

[1] غولدمان: في سوسيولوجيا الرواية، ص٢٥، ص٢٣٤.

سيشمل هذا المحور دراسة الأحكام النقدية المتأثرة بعلاقة التنظير الروائي بالطبقة الاجتماعية من وصف وتفسير وتقييم كذلك.

فمن الأحكام التقييمية المتأثرة بماهية الرواية من حيث تحيزها للطبقات الدنيا، انتقاد عبدالعظيم أنيس إحسان عبدالقدوس في محاولته إثارة الشفقة على الطبقة الراقية[١]، وإشادته في المقابل بالحكيم في (يوميات نائب عام)[٢] لعطفه على الفلاحين والبؤساء وسخطه من ملاك الأراضي[٣]، وإعجاب حسين مروة برواية مارون عبود (الأمير الأحمر) لوقوفها بجانب الفئات الشعبية[٤]، وانتقاد لحميداني الروائيين البرجوازيين في الرواية المغربية لتجيير المقاومة لصالحهم، في مقابل إشادته بجلون في روايته (في الطفولة)[٥] لأنها لم تنتصر للطبقة البرجوازية، وبالعروي لتقديمه المرأة المنتمية إلى أكثر الطبقات قربا من الفئات الفقيرة[٦].

ومن الأحكام التقييمية ما كان نقدا للنقد، ومن ذلك: تفسير لحميداني لاهتمام الهواري بالبطل البرجوازي الصغير بالتحيز لطبقته[٧]، وحكمه على تفسير محمد كامل الخطيب للرواية التاريخية والاجتماعية في كتابه (الرواية والواقع) بالأدلجة؛ لانطلاقه من تتبع حياة المثقفين البرجوازيين الصغار ودورهم في مساعدة الفئات الحاكمة على خلق أيديولوجيا معاصرة[٨]، وهما حكمان تقييميان، فالأول يحمل إشادة بينما يحمل الآخر انتقادا وتهمة، بل إن مصدرهما لا يقل تحيزا عن الحكمين السابقين، فلحميداني متحيز للبرجوازية الصغيرة

---

[١] أنيس، العالم، في الثقافة المصرية، ص٣٣.
[٢] توفيق الحكيم، يوميات نائب عام؛ (مصر: دار الشروق، ٢٠٠٤م). نشرت أول مرة سنة ١٩٣٧م.
[٣] أنيس، العالم، في الثقافة المصرية، ص١٠٧.
[٤] مروة، مرجع سابق، ص٢١، ص ٢٥.
[٥] عبد المجيد بن جلون، في الطفولة؛ (المغرب: مطبعة الأطلس، ١٩٥٧م).
[٦] لحميداني، الرواية ورؤية الواقع الاجتماعي، ص٢٤٧، ص ٢٦١، ص ٣٤٧.
[٧] لحميداني، النقد الروائي والأيديولوجيا، ص١٣٦.
[٨] المرجع السابق، ص ص١١٥-١١٦.

التي ربط بها الرواية الفنية في كتابه (الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي)[١]، وبنى على تحيزه حكميه المقترنين بالرؤية لا بطريقة تمثيلها.

ويظهر على الأحكام السابقة محاولة التأكيد على مفهوم الرواية ووظيفتها المتعلقة بمناصرة الطبقة العاملة والفقيرة على حساب الطبقة المتسيدة والنافذة، وهي أحكام عامة وعقدية، محصورة في الجانب التقييمي من إشادة أو انتقاص، وغير مبررة من الناحية الفنية[٢]، كما قد تكون ملتزمة بموقف الروائي المتحيز، الذي عده بعض النقاد عيبا فنيا، فبوشوشة رد تحيز الحبابي إلى الطبقات الفقيرة إلى نقمه من الغنية؛ ما جعل الذاتية والانفعالية تلون موقفه ولا تكشف عن خلفيات الصراع الحقيقية[٣].

ثانيا: أحكام تصنيفية ونقدية للعناصر البنائية

يضاف إلى ما سبق أحكام متأثرة ببعض الاتجاهات الروائية وعلاقتها بالطبقة الدنيا، مثل الرواية الواقعية، فممتاز أكرم العمري في رواية (نكبة)[٤] حاول التعرض للواقع من خلال وصفه حياة الطبقة الفقيرة من وجهة نظر النساج[٥]، أما محبة حاج معتوق فترى الواقعية في نقد الطبقة العليا من خلال حكمها على رواية خليل تقي الدين (طريق الوجيه) التي قدمت صورة واقعية عن الوجاهة والإقطاعية الغبية العمياء في القرى[٦].

---

[١] لحميداني، الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي، ص٣٨٤.

[٢] والأمثلة على هذا النوع من الأحكام التقييمية المتأثرة بموقف الروائي أو الناقد كثيرة، ومنها: الراعي في إشادته بالمويلحي؛ لأنه وجه نقده إلى الطبقة الأرستقراطية ومن يساندهم من علماء ومشايخ، ووصفه لهم بالأعداء المعرقلين لحركة مصر الناهضة. ينظر الراعي، مرجع سابق، ص١٤. وشكري ماضي في احتفائه برواية (الضفاف الأخرى) لإسماعيل فهد إسماعيل لدعوتها إلى الممارسة في ظل قيادة الطبقة العاملة. ينظر ماضي، انعكاس هزيمة حزيران على الرواية العربية، ص ص١٣٠-١٣١. وتحمل هذه الأحكام التقييمية تأثرا واضحا بعقيدة المؤلف تجاه النص الروائي، كما أنها لا تعكس بعدا عميقا للشكل الروائي وأثره الفني، الذي مثله النساج لما أشاد برواية عبد الحميد البوقرقاصي وإبداعه الذي تجلى في تصوير الطبقات الفقيرة بالمشاهد وليس عن طريق الأساليب البلاغية. ينظر النساج، مرجع سابق، ص٢٨.

[٣] بوشوشة، مرجع سابق، ص٥٣٣.

[٤] ممتاز أكرم العمري، نكبة، (العراق، ١٩٣١م).

[٥] النساج، مرجع سابق، ص١٦٣.

[٦] معتوق، مرجع سابق، ص١٧٢.

ويؤكد الحكمان السابقان تأثرهما بالواقعية من منظور اشتراكي، حاول بعض النقاد تجاوزه بواسطة انتقادهم للروائيين في إغفالهم للبعد الطبقي دون ربطه بفئة محددة، ومنهم الهواري الذي انتقد عيسى عبيد لأنه لم يراع الفروق الفردية وعلاقتها بالطبقة[١]، وشكري ماضي في نقده لروايات (العجز) كما يسميها وأنها قدمت الفرد من دون هوية طبقية[٢]، والشنطي في تحليله لرواية الجفري (جزء من حلم)[٣]، وأن كاتبها انصب اهتمامه على قضية المرأة بغض النظر عن موقعها في منظومة الشرائح الاجتماعية[٤]، وفاطمة خليفة في رؤيتها للمكان في الرواية الإماراتية الواقعية وافتقاده إلى الإيحاء الطبقي[٥].

وتظل تلك الأحكام مرتهنة للرواية الواقعية وضرورة تمثيلها للشخصيات النمطية تمثيلا تسجيليا، وعادة ما يكون هذا البناء مفتقرا إلى الرسم الداخلي للشخصية، والتطور الصاعد فيجعلها مسطحة وثابتة.

وقد يتجاوز الإغفال عنصري الشخصية والمكان ليصل إلى المنظور الذي مثله شكري في نقده لعبد السلام العجيلي، وحصره الهزيمة في الجانب العسكري، والنظر إلى التاريخ على أنه تاريخ أفراد وليس تاريخ جماهير أو طبقات[٦]، وأبرزه النساج –أيضا -في نقده للوجودية وإهمالها للتناقضات الطبقية، وإحلالها بدلا من ذلك همومهم الذاتية الشخصية وعقيدتهم الفلسفية على شخوص رواياتهم[٧].

وتبقى مع ذلك الأحكام النقدية السابقة محصورة في عنصر الشخصيات، ومتجاهلة لأثر ذلك النقد في النص الروائي من النواحي الفنية؛ الذي حاول الراعي إثباته لما انتقد تيمور في رؤيته للناس "بمنظار طبقي

---

[١] الهواري، نقد الرواية، ص١٥٤.
[٢] ماضي، انعكاس هزيمة حزيران على الرواية العربية، ص١٠٣.
[٣] عبد الله الجفري، جزء من حلم، ط١؛ (جدة: مطابع تهامة، ١٩٨٤م).
[٤] الشنطي، مرجع سابق، ص٢٤٤. ولقد تكررت ملاحظته هذه في نقده لرواية أمل شطا (غدا أنسى) وتحديدا في شخصية عبد المجيد التي كانت مفرغة من شريحتها الاجتماعية. الشنطي، المرجع السابق، ص٢٨٥.
[٥] خليفة، مرجع سابق، ص٣٤٤.
[٦] ينظر، ماضي، انعكاس هزيمة حزيران على الرواية العربية، ص٤٣، ص ٤٩.
[٧] النساج، مرجع سابق، ص١٠٩.

جامد انعكس على حركة النص وجعل وتيرتها واحدة"[١]، وجاراه الخطيب في تحليله لرواية (السفينة)[٢] لجبرا إبراهيم جبرا، وانتقاده لشخصياتها المنتمية إلى البرجوازية الوسطى والإقطاعية، وأنها تمثل بذلك نمطا واحدا ينتفي معه التعدد والصراع[٣]، اللذين أصبحا قيمتين فنيتين.

ثالثا: أحكام تفسيرية وتطبيقية

وتأتي بعض الأحكام النقدية المرتبطة بالطبقة الاجتماعية تفسيرا لأحداث معينة وتحليلا لها، فالراعي فسر اختفاء حامد في رواية (زينب)[٤] بسبب محاولته الجمع بين النقيضين المتمثل في مناصرة طبقته ومناصرته لغيرها في الوقت ذاته[٥]، وهو حكم قيمي وأخلاقي رافض للتناقض والازدواجية.

أما شكري ماضي فإنه أحال هزيمة ٦٧ إلى فشل العمال في الوصول إلى القيادة في سياق تحليله لرواية (الفهد)[٦] لحيدر حيدر[٧]، وهي إحالة غلب عليها الأثر الماركسي الذي تمثله نقاد كثر، منهم بوشوشة في تفسيره لمغامرة المسير نحو القصر في رواية الطاهر وطار (الحوات والقصر)[٨] وأنها ليست إلا رمزا لتطلعات الفئة الكادحة والمقهورة في المجتمع[٩]، ذلك التطلع الذي فسره ماركس بالتطور الحاصل بسبب وعي الطبقة الجديدة بضرورة إزاحة الطبقة الحاكمة[١٠].

---

[١] الراعي، مرجع سابق، ص ص ٢١٩-٢٢٠.
[٢] جبرا إبراهيم جبرا، السفينة؛ (مصر: الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٢م). نشرت أول مرة سنة ١٩٦٩م.
[٣] الخطيب، مرجع سابق، ص٣٥، ٣٦.
[٤] محمد حسين هيكل، زينب؛ (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتب، ٢٠٠٨م). نشرت أول مرة سنة ١٩١٤م.
[٥] الراعي، مرجع سابق، ص٢٩
[٦] حيدر حيدر، الفهد، ط٣؛ (دمشق: ورد للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م).
[٧] ماضي، انعكاس هزيمة حزيران، ص٦٤، ص ٧٤.
[٨] الطاهر وطار، الحوات والقصر؛ (مصر: دار الهلال، ١٩٨٧م).
[٩] بوشوشة، مرجع سابق، ص٤٣٨.
[١٠] ينظر لومنيل، مرجع سابق، ص٤٣.

وقد يشمل التفسير التعرض للجوانب النفسية، ومن ذلك مصايف ورؤيته لقسطنطينة في رواية (الزلزال) على أنها نموذج الواقع النفسي للطبقة البرجوازية والإقطاعية التي تعيش على حساب الفئات المسحوقة في المجتمع[١]، وهو واقع قائم على التصور السلبي لتلك الطبقة، ليكون الحكم إدانة مستجيبة لرؤية الكاتب دون تفاعل معها، ما يجعل الحكم شرحا لا تفسيرا.

أما الهواري فلقد فسر الامتياز الطبقي لدى المصريين بما يشبه اللاشعور الجمعي[٢]، وهو تفسير داخلي نفسي أكد من خلاله مدى عمق التفاوت في المجتمع المصري ومدى تقبل المصريين له بوصفه مسلمة ونتيجة، لا بوصفه حافزا للتغيير والمقاومة كما هو عند المتأثرين بماركس، إلا أنه لا يخدم التنظير الروائي كثيرا، ولا يكشف عن أثر ذلك في بناء الشخصية أو الحدث المتعلق بها.

وقد يمتد التفسير إلى بعض الأدوات الفنية الموظفة، مثل الأسطورة؛ حيث فسرها واسيني الأعرج عند وطار على أنها ممثلة للإقطاع والاستغلال المقنع لعلاقات الإنتاج ووسائله[٣]، وهو تفسير ماركسي بوضوح مثلّه لحميداني في إشادته بالتازي لتصويره التمايز بين المقهورين والقاهرين في المستوى العمراني[٤]، والهواري لما وجد في تصوير الفوارق الطبقية عن طريق التقابل إثباتا لانعدام العدالة الاجتماعية[٥]. وهي تفسيرات لا تبتعد كثيرا في محاولة جعل الأداة متطابقة مع الرؤية التي كانت الضاغط الأول في توجيه دلالاتها لصالح التمثيل الماركسي وتصوره السببي، وهذا ما حاول عياد تجاوزه لما فسر استخدام المويلحي للمقامة بغرض التغلغل في شتى طبقات المجتمع[٦]، ليشير بذلك إلى تطور التفسير النقدي بانفكاكه من تمثيل أدوات الصراع المنغلق على فئتين متناقضتين إلى التمثيل المنفتح على الطبقات كلها.

---

[١] مصايف، مرجع سابق، ص٥٩.
[٢] لحميداني، النقد الروائي والأيديولوجيا، ص١٤٦.
[٣] واسيني الأعرج، الطاهر وطار وتجربة الكتابة الواقعية؛ (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٨م)، ص١٣٢.
[٤] لحميداني، الرواية ورؤية الواقع الاجتماعي، ص٤٣٣.
[٥] الهواري، البطل المعاصر في الرواية المصرية، ص ص٢٣٩-٢٤٠.
[٦] عياد، الأدب في عالم متغير، ص٤٣.

كما كانت هناك أحكام هي أشبه ما يكون بالتطبيق على مبادئ ومفاهيم مرتبطة بالطبقة الاجتماعية، ومن ذلك: مبدأ التنافس وانفتاح الطبقات القائم على تطور المعيار الثقافي وأثره في وعي الفرد كما هو عند دور كايمDurkheim [١]، الذي طبقته فاطمة خليفة لما ردت الصراع في تحليلها لرواية محمد عبيد غباش (دائما يحدث في الليل)[٢] إلى الصراع الفكري بين الطبقتين الفقيرة الممثلتين بأسرتي أحمد التي ارتقت إلى مستوى عال من الثراء وخالد التي عجزت عن ذلك؛ إذ لم يتم الارتقاء عن طريق الاستغلال وإنما بسبب تجمد فكر أبي خالد في الماضي وعدم التخلي عن مهنته أو تطويرها[٣]، ما يجعل الأمر عائدا إلى الجوانب الفكرية ومدى استغلال الفرد لها لا إلى حتمية الصراع، وفي هذا اختلاف عن بعض الأحكام المتأثرة بمفهوم الطبقة السببي الذي قد يُفسر باختلاف البيئات العربية وما يصاحب ذلك من اختلاف للتصور والتقدير.

ومن المفاهيم أيضا: مفهوم الاغتراب Alienation الذي يرى هواري أن الطبقة مسؤولة عنه ومصدر له[٤]، ومفهوم الالتزام Commitment الذي جسده سمر الفيصل في ارتباط الفن بالوعي الطبقي[٥]، ومفهوم التقليدية Traditionalism الذي أشار إليه ماضي في تحليله (على سكة الحجاز)[٦] والمتمثل في خلو الرواية من التمثيل الطبقي[٧].

وتفسير المفاهيم السابقة بالطبقة تأكيد لمتابعة النقد العربي للنظرية الغربية، وتأثره بالماركسية، وانحسار دوره في التعريف بها.

---

[١] دوركايم، مرجع سابق، ص٤٠١، ص ٤٢٣.
[٢] محمد عبيد غباش، دائما يحدث في الليل؛ (الإمارات، ١٩٧٩م).
[٣] خليفة، مرجع سابق، ص١٥٠.
[٤] الهواري، البطل المعاصر في الرواية المصرية، ص٣٢٦.
[٥] الفيصل، مرجع سابق، ص٣٩.
[٦] حمال الحسيني، على سكة الحجاز؛ (فلسطين: وزارة الثقافة الفلسطينية، ٢٠٠٠م). نشرت أول مرة سنة ١٩٣١م.
[٧] ماضي، الرواية في الأردن وفلسطين، ص٢٧.

رابعا: أحكام تصورية عن الطبقات الاجتماعية

وإذا حاولت الأحكام السابقة الاستفادة من الطبقة الاجتماعية في مفهومها وأنواعها وتصوراتها، فهناك من الأحكام ما حاول أن يحدد للطبقة بعض سماتها، ومن ذلك: تحديد شكري ماضي للطبقات البرجوازية وشبه الإقطاعية في رواية (الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشائل)[١] على أنها متحيزة لمصالحها الذاتية الأنانية[٢]، ووصف الخطيب للبرجوازية بالتحول من الثقافة إلى الجيش لتقوم بالانقلاب بدلا من الثورة في سياق تحليله لرواية (المهزومون)[٣] لهاني الراهب[٤]، ليثبت هذا التحليل سمة الانتهازية للطبقة البرجوازية. وهي سمة معبرة عن موقف ماركسي منها، حاول لحميداني الابتعاد عنه بمنح الطبقة السابقة مواصفات خارجية في سياق تحليله لشخصية العياشي من رواية (قبور في الماء) المتمثلة في امتلاك الفيلات والسيارات والاثواب الجميلة[٥]، وهي سمات متوقعة نتيجة وضعهم الاقتصادي، كما أنها تمثيل للوصف المحض والثابت الذي لا يمكن أن يُبنى عليه تفسير أو تأويل.

ومن الطبقات التي اهتم النقاد بتحديد سماتها، البرجوازية الصغيرة التي تعد جزءا من الطبقة الوسطى، فشكري عياد يصفها بالقلقة، وغير المستقرة، والمتأرجحة بين الطبقتين الأعلى والأدنى[٦]، وهي سمات كانت محل اتفاق عند محمد كامل الخطيب، مضيفا إليها مهمتها بإنتاج أيديولوجية لطبقة ليس لها تاريخ أو نضال[٧]، وعند الهواري الذي استند إلى شخصية أحمد عبد الجواد المصنفة من البرجوازية الصغرى، وأضاف إليها التناقض في إظهار علامات الرجل الحازم المتدين أمام ذويه وإخفاء الجانب الماجن من حياته.

---

[١] إميل حبيبي، الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشائل؛ (مصر: دار الهلال، ١٩٩٨م). نشرت أول مرة سنة ١٩٧٤م.
[٢] ماضي، انعكاس هزيمة حزيران على الرواية العربية، ص١٨٧.
[٣] هاني الراهب، المهزومون؛ (بيروت: دار الآداب، ١٩٨٨م). نشرت أول مرة سنة ١٩٦١م.
[٤] الخطيب، مرجع سابق، ص٨٠.
[٥] لحميداني، الرواية ورؤية الواقع الاجتماعي، ص٤٩٠.
[٦] شكري عياد من مقدمة البطل المعاصر في الرواية المصرية لأحمد الهواري، ص٨.
[٧] وهو يقصد الطبقة البرجوازية العليا. ينظر الخطيب، مرجع سابق، ص١١.

ولقد خالفهم في ذلك لحميداني لما عرف البرجوازية الصغيرة بأنها من فئات المثقفين، وواعية بالتحالف بين البرجوازية والدولة وبين الغرب[1]، وهو اختلاف قد يكون مرده تباين وضع الطبقات الاجتماعية بين الشرق العربي ومغربه، واختلاف الرؤى والنماذج المبنية عليها تلك الأحكام، أو اختلاف النقاد ومواقفهم في ذلك، فلحميداني متحيز لتلك الطبقة كما مر، وقد يكون لتحيزه أثر في محاولة إبراز السمات الإيجابية لها، ما يعني أن تلك السمات تبقى رهينة للمواقف لا الحقائق، وفرصة للتوظيف الأيديولوجي، كما أنها قائمة على مبدأي الانعكاس والقراءة المباشرة، وهي لا تمثل أساسا نظريا متينا في استنتاج العلامات وتعميمها.

خامسا: الطبقة ووظائفها في الأحكام

كما قد تمنح بعض الأحكام للطبقة وظيفة مرجعية تسمح للناقد بإعادة عناصر بنائية ودلالية إليها، ومن ذلك عنصر المكان الذي نصت على مرجعه البنائي محبة حاج معتوق في قولها: "يدل الوصف الخارجي لسكن الشخصية الفنية على الطبقة التي تنتمي إليها وتتقيد بعاداتها وأسلوب معيشتها"[2]، وهو حكم ملتزم بمبدأ الانعكاس والمطابقة الذي قد يناسب الرواية الواقعية، غير أنه لا يناسب غيرها مثل الرواية الجديدة. كما قد تكون الطبقة مرجعا لعنصر من عناصر المكان، مثل الرائحة، التي ذهب العالم إلى أن نجيب محفوظ في

[1] لحميداني، الرواية ورؤية الواقع الاجتماعي، ص٩٢.
[2] معتوق، مرجع سابق، ص٥٩.

(زقاق المدق)[١] وظفها لتصوير إحساس الرفض الطبقي للزقاق[٢]، وهو توظيف يجعل من الرمز غير مكتف بذاته كما تشترط الرومانسية[٣]، ليثبت بذلك علاقة الطبقة بالواقعية بوصفها نموذجا وغاية.

كما تمنح بعض الأحكام الطبقة وظيفة تقديم قراءة موجزة للنص الروائي يلخص الناقد بها منظور النص ومؤلفه، ومن ذلك مصايف في تحليله لرواية (الشمس تشرق على الجميع)[٤] لإسماعيل غموقات، التي يرى أنها عالجت قضية الحب بين أفراد الطبقة الأكثر حرمانا من المجتمع[٥]، ورؤية الهواري لـ(عودة الروح)، وأنها تعكس أزمة البرجوازية المصرية وتطلعها إلى مستقبل يستند إلى العلم والتكنولوجيا[٦]، وهي تلخيصات قد لا تكون كافية إلا أنها صالحة للتمهيد وبناء مقدمات أساسية للتحليل الذي قد يكون موضوعيا أو متحيزا.

وقد تقدم بعض الأحكام للطبقة وظيفة الدخول في العوالم النفسية للشخصيات، فحامد في رواية (زينب) من منظور الهواري كان قلقا لأنه متمرد على طبقته[٧]، وحكم الناقد تأكيد لما ذهبت إليه بعض التنظيرات الغربية التي تعطي للطبقة فعل الشعور واللاشعور كما مر[٨]، وللتنظير سندا ممكنا للتفسير إذا أحسن استغلاله.

ويلاحظ على الأحكام السابقة اشتمالها على النقد بمفهوميه التقييمي والتحليلي التفسيري، وعلى الجانبين الفني والموضوعي، ويلاحظ اتصالها بالجوانب النظرية في علاقتها بالطبقة الاجتماعية، وتأثر كثير منها

---

[١] نجيب محفوظ، زقاق المدق، ط١١؛ (مصر: مكتبة مصر، ١٩٨٥م). نشرت أول مرة سنة ١٩٤٧م.
[٢] العالم، تأملات في عالم نجيب محفوظ، ص٥٣. وهذا يؤكد ما ذهب إليه سلامة موسى من أن للطبقة أثرا في أسلوب الكاتب فتكون بذلك وظيفتها تأثيرية وتشكيلية. ينظر سلامة موسى، الأدب للشعب؛ (مصر: مؤسسة هنداوي، ٢٠١٢م)، ص١١١.
[٣] ينظر في ربط الرومانسية بالرمز المكتفي بذاته. تودوروف، نظريات في الرمز، ترجمة: محمد الزكراوي؛ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٢م)، ص٣٢٤.
[٤] إسماعيل غموقات، الشمس تشرق على الجميع؛ (مصر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ١٩٨٠م).
[٥] مصايف، مرجع سابق، ص١٢٨.
[٦] الهواري، البطل المعاصر في الرواية المصرية، ص٧٧. ويرى أيضا أن رواية (شجرة البؤس) تعبر عن أزمة البرجوازية المصرية الصغيرة. ينظر المرجع السابق، ص٩٨.
[٧] الهواري، البطل المعاصر في الرواية المصرية، ص٨٤. كما يرى سلوى في رواية (سلوى في مهب الريح) مثالا على مشكلة البرجوازية الصغيرة التي تعتقد أنه من الممكن عقد صداقة مع البرجوازية الكبيرة والأرستقراطية. ينظر المرجع السابق، ص٢٠٣.
[٨] ينظر لحميداني، النقد الروائي والأيديولوجيا، ص١٤٦.

بالماركسية وتصورها السببي وواقعيتها الاشتراكية، ما جعل منها محلا لتوظيف عدد من المبادئ والآليات المقيدة برؤية الكاتب أو نصه، الموقعة في القراءة المباشرة.

كما يلاحظ على تلك الأحكام اختلاف تفسيراتها لعدد من القضايا والمواضيع، لاختلاف توجهات النقاد، أو لاختلاف بيئاتهم الاجتماعية، وهو ما ساهم من جانب آخر في ارتقاء بعضها إلى الجوانب الفنية المبررة إنسانيا.

علاوة على ما سبق، فلقد منحت بعض الأحكام النقدية الطبقة وظائف مرجعية للبنى والدلائل، ونفسية للشخصيات والأماكن، وعتبة للنص ومقدمة لنتائجه، كما منحتها بعضا من السمات التي قد تكون مرهونة بالمواقف والرؤى المسبقة.

استنتاجات

بناء على ما سبق يمكن استنتاج الآتي:

-كان ظهور قضايا الطبقة الاجتماعية في النقد العربي مرتبطا بالتاريخ الروائي وتاريخ نظرية الرواية والنقد الاجتماعي والواقعي لها، ما يعني صحة اعتمادها حدودا للبحث.

-متابعة النقد العربي للنظرية الغربية، وعدم تمكنه من البناء النظري بسبب قفزه على مفهوم الطبقة والتعامل معه بوصفه بديهة لا فرضية، وتأثره بالماركسية في مفهومها السببي للطبقة، وفي تصنيفها للواقعية الاشتراكية، أو بالروائيين الماركسيين أو غيرهم ممن حاول أن يجد بين الرواية والطبقة علاقة عبر محاكاتهم للنماذج الغربية دون معايشة لها، وخضوعه لتصورات النقاد المسبقة ولتفاوت بيئاتهم الاجتماعية.

-كان لتلك المتابعة آثار قللت من فاعلية النقد العربي، حيث لجأ إلى توظيف العلاقة بين التنظير والطبقة الاجتماعية في حسم بعض المسائل التاريخية دون اكتمال نظري لمفاهيمها، والاستفادة من بعض الإجراءات النظرية مثل التصنيف لتمرير عدد من الآراء المتحيزة التي جعلت من الطبقة مثالا لا معيارا حاسما، والوقوع في ضيق القراءة المباشرة القائمة على مبدأ الانعكاس وقيمة الانتماء، ما جعلت من النص وثيقة تؤكد أسبقية التصور الاجتماعي وارتهان النص والنظرية إليه، وأولوية المعنى والمواضيع على الجوانب الفنية، إضافة إلى جعل الآراء والأحكام ذاتية وظرفية وجزئية، مخالفة في ذلك شروط التنظير الموضوعية وأهدافه التعميمية والكلية.

-كان للممارسة النقدية العربية آثار مختلفة، منها استبدال الطبقة الوسطى بالبرجوازية في تفسير نشوء الرواية وتطورها، واتخاذ الفردية وسيطا لتحول الطبقة إلى الإنسانية، واستلهام مفاهيم وتصنيفات مشابهة في مراحلها بمراحل العلاقة بين التنظير والطبقة، وتوظيف الطبقة لتكون مدخلا للقراءة وملخصا للنصوص صالحا لبناء المقدمات الأولية عليه، والاعتماد عليها في اشتمال القراءة النقدية على الجانبين الموضوعي والفني، وطرفي التواصل الروائي وقارئه.

-كما كان هناك تداخل في استخدام مفهوم الطبقة والتعبير عنه بالفئة تارة وبالشريحة تارة أخرى، كان فيه النقاد الماركسيون أقل مثالا وأكثر التزاما نظرا لتأثرهم بمفهوم الطبقة السببي ومحاولة التأكيد على وجوده وفاعليته في التشكيل الروائي، ومنحه مضامين تجعل منه مرجعا لمفاهيم أخرى، مثل الوعي والهوية والاغتراب والالتزام والتقليدية، أما ما يتعلق بسمات كل طبقة، فإنه يظهر عليها النسبية والاختلاف بحسب مواقف الروائيين والنقاد واختلاف تصوراتهم عنها.

-كانت الأحكام الفنية متأثرة بالطبقة ومفهوميها، فالمفهوم السببي كان مصدرا لحكمي الدقة والتماسك، أما البراغماتي فكان مصدرا لحكمي الحرية والتعدد، وكل تلك الأحكام تبقى تابعة للقيم الواقعية والإنسانية.

الفصل الثالث

مفهوم الطبقة الاجتماعية في النقد الروائي السعودي

الفصل الثالث: مفهوم الطبقة الاجتماعية في النقد الروائي السعودي

كان مما توصلت إليه الدراسة في الفصل السابق؛ إغفال كثير من النقاد العرب للدراسات الاجتماعية والأنثروبولوجية العربية في محاولتهم لإثبات وجود الطبقة أو نفيها، ما جعل البناء التحليلي والنظري ضعيفا في مقدماته، ولهذا سيحاول الباحث مع بداية هذا الفصل أن يستعرض عددا من الدراسات الاجتماعية التي

حللت بنية المجتمع السعودي من حيث تفاوتها المعيشي والثقافي، واستنتاج ما وصلت إليه من تصورات، ومقارنتها مع مفهومي الطبقة؛ السببي والبراغماتي.

وسُيقتصر هذا الاستعراض على الباحثين الاجتماعيين السعوديين لقربهم من المجتمع ومعايشتهم له ولتحولاته، ولتجنب الاستعانة بدراسات غربية أو عربية قد تسقط على المجتمع السعودي ما لا يكون ملائما لبنيته، كما سيكون الاستعراض عاما، وإلى حد كبير شاملا لكل بنيات المجتمع المختلفة البدوية والقروية والحضرية، ومراعيا للجانبين النظري والتطبيقي، وللتحولات التاريخية والاقتصادية في المجتمع التي يُطلق عليها نقطة الصفر Zero Point[١].

بنية المجتمع السعودي

أولا: المجتمع السعودي في الدراسات الاجتماعية النظرية

تعد دراسة محمد بن إبراهيم السيف من الدراسات النظرية المهتمة بتصنيف المجتمع السعودي عموما من دون تحديد جغرافي، تصنيفا يرى بواسطته المجتمع مكونا من أنساق، "يحوي كل نسق أفرادا يشغلون مركزا اجتماعيا داخل النسق ولهم مكانة اجتماعية على مستوى المجتمع ككل"[٢]. وتُستمد تلك المكانة من مركز

[١] تعرف بوسي مير Bossy Mir نقطة الصفر بـ"تحول تاريخي يتحدد بدخول عوامل مؤثرة في المجتمع المعني". ينظر محمد بن إبراهيم السيف، التغير الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية دراسة سوسيو إنثروبولوجية في مجتمع عنيزة؛ (الرياض: المهرجان الوطني للتراث والثقافة/ مطابع الخالد،١٩٩٠م)، ص٢٨. ويميل السيف إلى وصف اكتشاف النفط وبداية تنفيذ برامج وخطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية الشاملة عام ١٣٩٠ بنقطة الصفر في دراسة المجتمع السعودي. ينظر محمد بن إبراهيم السيف، المدخل إلى دراسة المجتمع السعودي؛ (الرياض: دار الخريجي للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م)، ص١٩. ويتفق محمد بن صنيتان مع السيف في ذلك. ينظر محمد صنيتان، الدولة والمجتمع محددات تكون الكيان السعودي؛ (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ٢٠٠٨م)، ص ٧، ص ٤٥.

[٢] السيف، المدخل إلى دراسة المجتمع السعودي، ص٣٣.

الفرد الاجتماعي والاقتصادي ونوع العائلة التي ينتمي إليها، وبناء على ذلك فقد يشغل الفرد مكانة عليا أو وسطى أو دنيا، كما يصنف السيف المكانة بناء على طبيعة المهنة وحجم دخلها الشهري[١].

ويلاحظ من المعايير السابقة أن مفهوم المكانة الاجتماعية قريب من مفهوم الطبقة لتشابههما في المعايير المكونة لهما، وهي معايير اقتصادية واجتماعية وسياسية، متفاوتة في تأثيرها على الفرد ووضعه، إلا أن المكانة لا تشرح لنا طبيعة العلاقة بين الأنساق، كما لا تحدد مدى وعي الأفراد بها. فهل كان استبدال السيف المكانة بالطبقة دالا على وعي باختلاف البنية المجتمعية السعودية عن غيرها، أم أنه محاولة للتخفيف من حدة مفهوم الطبقة خصوصا من المنظور الماركسي وما يشمل عليه من تصورات؟

يبدو أن السيف حاول الاستبدال تجنبا لأبعاد المفهوم الماركسي للطبقة، حيث عبّر عن ذلك بالتزامه بنص المادة الثالثة والعشرين من الباب الخامس بالحقوق والواجبات للنظام الأساسي للحكم، التي تلغي الطبقية والقبلية والعشائرية والإقليمية والمحسوبية والنسبية[٢]، وهو نص استشهد به ليجعل من الطبقية ضمن المتواليات السابقة تنظيما قائما على التحيز والتعصب للمشترك سواء أكان قبليا أم جهويا أم فئويا أم مصلحيا، ما قد يؤثر ذلك على لحمة الوطن والتئام أجزائه، إلا أن الطبقية وما يجاورها من معان، هي في مجملها تصورات منزاحة عن أصول اجتماعية قائمة بفعل مكونات تاريخية وجغرافية وثقافية راسخة، فالقبيلة مثلا جزء أصيل في تركيبة البناء السكاني السعودي، إلا أن القبلية فعل يعبر عن الانتماء والولاء في ظرف تاريخي سابق قد لا يتفق والظرف الحالي الذي أصبح فيه الوطن الأسمى والأكثر احتواء من غيره من تنظيمات، لتتحول القبلية بذلك إلى تصور دال على التحيز والانغلاق الذي قد يضر بمصلحة الوطن العليا[٣].

---

[١] المرجع السابق، ص ص٣٥-٣٦. وبالنسبة للمادة ينظر النظام الأساسي للحكم، ١٤١٢هـ، www.ut.edu.sa/documents، ص٩.

[٢] السيف، المدخل إلى دراسة المجتمع السعودي، ص٨٢.

[٣] ولقد ميّز الغذامي في كتابه (القبيلة والقبائلية أو هويات ما بعد الحداثة) بين القبيلة بوصفها تعبيرا محايدا، والقبلية بوصفها مفهوما انحيازيا وعرقيا. ينظر عبد الله الغذامي، القبيلة والقبائلية أو هويات ما بعد الحداثة، ط١؛ (بيروت/الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٩م)، ص٢٥.

وما قيل عن القبيلة يمكن أن يقال عن الطبقة، فهي عنصر واقعي من عناصر التركيب المجتمعي، أما الطبقية -خصوصا في مفهومها السببي -فهي أيديولوجيا تحاول توظيف واقعية المركب السابق فيما يخدم أهدافها السياسية في المقام الأول، وهي تشترك مع القبلية في احتوائها لفئة وإقصائها للفئات الأخرى من المجتمع.

وقد يكون السيف أقام الاستبدال السابق حرصا على ألا تفهم الطبقة بوصفها طبقية، فهو معترف بالأولى صراحة وضمنا، فنظرته إلى أنساق المجتمع السابقة تعد نظرة طبقية لكنها ضمنية، إلا أنه في نص لاحق يرى أن فئات المجتمع السعودي قبل النفط متساوية اقتصاديا، ما ترتب على ذلك عدم وضوح الطبقات الاقتصادية[١]، وهي رؤية تؤكد إقراره بالطبقة، بيد أنه يحصرها في المعيار الاقتصادي الذي اختلف بعد اكتشاف النفط؛ حيث يفهم من سياق حديثه أن المجتمع بعد ذلك أصبح طبقيا، وهو بذلك يقترب من مفهوم الطبقة البراغماتي التي تكون فيه محصلة لأسباب متعددة.

ومن الدراسات النظرية أيضا، دراسة محمد بن صنيتان التي تحدثت عن بنية المجتمع السعودي بصورة عامة، حيث استهل دراسته أولا بتعريف ماكس فيبر Weber للطبقة، وأنها تضم "أفرادا مشتركين في مصالح اقتصادية واحدة ومنتظمين في مواقع اجتماعية متشابهة"[٢]. وهو تعريف استلهم منه مفهومه للطبقة وأنها مجموعة كبيرة من الناس، متميزين بمركز اجتماعي واقتصادي واحد، أضاف إليه اتفاقه مع

[١] السيف، المدخل إلى دراسة المجتمع السعودي، ص ص ٨٦-٨٧. كما اعترف بالطبقة صراحة في تكوين مجتمع عنيزة قبل النفط في دراسة تطبيقية سيأتي الحديث عنها لاحقا. ينظر السيف، التغير الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية دراسة سوسيو إنثروبولوجية في مجتمع عنيزة، ص٨٠.
[٢] صنيتان، مرجع سابق، ص١٣.

ماركس Marx في ضرورة الوعي بذلك المركز[١]، إلا أنها في السعودية لا تعتمد على مجرد العامل الاقتصادي وحده بل يضاف إليها الوجاهة أو المكانة[٢].

ويأتي انتقاء ابن صنيتان لتعريف ماكس Max السابق، واشتقاق مفهوم الطبقة منه تأكيدا للمعيار الاقتصادي، ومعيار القرابة الذي سيأخذ بعدا تكوينيا أعمق من المعيار السابق، فهو يرى في موضع آخر أن الطبقة في المجتمع السعودي تفرزها العائلات والمناطق ذي النفوذ البيروقراطي[٣]، وهو متأثر في ذلك بمفهوم متروك الفالح للطبقة في المجتمع السعودي، التي يراها ذات طابع عائلي أو أسري، له تأثير أكبر من العامل الاقتصادي، ممثلا لذلك بالواسطات (المحسوبيات) والشركات العائلية[٤].

ولقد قسم ابن صنيتان المجتمع السعودي إلى ثلاث طبقات:

١-طبقة عليا تتكون من الفئة الحاكمة والوزراء وكبار رجال الدولة من عسكريين ومدنيين، والفئة الرأسمالية المالكة لرؤوس الأموال التي توظفها في البنوك والمقاولات، لكنها لا تستثمرها في التصنيع، والفئة المشاريعية أو البرجوازية المكونة ممن يعيشون على أعمال الوكالات والوساطات والعمولات والمضاربات المالية والعقارية.

٢-الطبقة الوسطى، وتشمل المضاربين والمنظمين، وهو يصفهم بالبرجوازية من الناحية المادية لا من ناحية نمط الحياة، وتشمل هذه الطبقة الموظفين في وظائف راقية، مثل: المهندسين والأطباء وأصحاب البقالات والمطاعم والمسالخ، المنتمي بعضهم إلى عائلة واحدة، والمعتمدين على مداخيل أخرى، ولقد صنفها

---

[١] المرجع السابق، ص٩٧.
[٢] المرجع السابق، ص٩٧.
[٣] المرجع السابق، ص١٤.
[٤] متروك الفالح، المجتمع والديمقراطية والدولة في البلدان العربية: دراسة مقارنة لإشكالية المجتمع السعودي في ضوء تريف المدن؛ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٢م)، ص١٥٢.

قبل ذلك إلى ثلاثة أصناف: أولى تلحق بالطبقة العليا وتصبح جزءا منها، وثانية تنحدر إلى الدنيا، وثالثة وسطى حقيقية[١].

٣-طبقة دنيا، وهم الفقراء والمحرومون والمتخلفون، والبدو الذين لم يستغلوا مداخيل النفط، وصغار الموظفين مثل العسكر.[٢]

يضاف إلى التصنيف السابق رؤيته للريع النفطي الهائل، وأنه كان سببا لعدم ظهور صراع طبقي حقيقي، وأن الطبقات هلامية وغير واضحة في حدودها لقلة البيانات والوثائق اللازمة[٣]، ومحاولته لتوظيف الطبقة في بعض القضايا، ومنها: رد الإرهاب إلى سوء الأحوال الاقتصادية للطبقة الدنيا[٤].

ويلاحظ مما سبق، أن ابن صنيتان على العكس من السيف كان صريحا ومباشرا في اعتماده على مفهوم الطبقة في تصنيف المجتمع السعودي وتحديد معاييرها، إلا أنه جعل من معيار القرابة معيارا حاسما في مضمونه، وقد يحمل هذا توسيعا لمحتوى المفهوم، تكون فيه الطبقة مساوية للعرقية Ethnicity التي اعتبرها دي بويه Du Bois معادلا للطبقة عند ماركسMarx[٥]، غير أن هناك من جعل العرقية مفهوما أشمل؛ حيث تكون الطبقة جزءا منها كما يرى إريكسون Erikson، ويعرفها بـ"الصفات المميزة التي ترى الجماعة نفسها من خلالها"، إلا أن تحول تلك الصفات إلى معايير ينتج عنها إقصاء لجماعات أخرى، يجعل منها عنصرية[٦]، وهذا ما قد ينطبق على عنصر النسب أو السلالة في الحالة السعودية، فهو ليس معيارا لمفهوم

---

[١] صنيتان، مرجع سابق، ص١٤.
[٢] المرجع السابق، ص ص ٩٩-١١٠.
[٣] المرجع السابق، ص٩٣، ص١١٠.
[٤] المرجع السابق، ص٦٣.
[٥] إيان لوو، العنصرية والتعصب العرقي من التمييز إلى الإبادة الجماعية، ترجمة: عاطف معتمد، كرم عباس، عادل عبد الحميد، ط١؛ (مصر: المركز القومي للترجمة، ٢٠١٥م)، ص١٣٨.
[٦] T. H. Eriksson, Ethnicity and Nationalism; (London, Pluto Press, 2002), p 3, 4, 5.

الطبقة، وإنما وسيلة لتأكيد وجودها بفعل الاقتصاد والسياسة وهرميتها كما يرى إيريك وليامز Eric Williams[1]، ونتيجة لتأثيراتهما التي اعتبرها ماكس فيبر Weber السبب الحقيقي في وجود هذه التمييزات العنصرية[2].

ويضاف إلى ما سبق أن في تقديم معيار القرابة مخالفةً لمفهومي الطبقة الماركسي أو البراغماتي، الذي يجعل من العامل الاقتصادي معيارها الرئيس[3]، وقد يكون لهذا الاعتبار عند ابن صنيتان ما يبرره في بنية المجتمع السعودي قبل النفط، أما بعد ذلك، فإن الاقتصاد يبقى العامل الأساسي في تقسيم الناس إلى طبقات، ولا أدل على ذلك من تصنيفه السابق لها في المجتمع السعودي، فهو تصنيف اقتصادي قائم على معايير الدخل والمهنة وليس قائما على القرابة والعائلة، كما أنه جعل من الاقتصاد المتمثل في النفط وأرباحه سببا في عدم وضوح الحدود الطبقية بين أفراد المجتمع، وفي هذا- من جهة أخرى- دلالة على أن صورة الطبقة عند ابن صنيتان متأثرة إلى حد ما بمفهوم الطبقة السببي ودورها في صياغة الحدود الاجتماعية والسلوكية لأفرادها؛ حيث أضاف إلى فاعلية المال في ضبابية الطبقة انتقاده للطبقة الوسطى السعودية، وأن نمط حياتهم لا يشابه نمط التي في الغرب، ونسبته إلى الطبقة الدنيا جريمة الإرهاب، وكل هذا تأكيد على سببية الطبقة وقدرتها على الفعل، وهو ما يتلاءم ومضمون الطبقة السببي.

ثانيا: المجتمع السعودي في الدراسات الاجتماعية التطبيقية والإحصائية

---

[1] يرى إيريكEric أن التمييز العنصري جاء تلبية للاحتياجات الاقتصادية والسياسية، ومحاولة لتبريرهما. ينظر جون سكوت، علم الاجتماع المفاهيم الأساسية، ترجمة: محمد عثمان؛ (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث، ٢٠٠٩م)، ص٣٧٩.

[2] لوو، مرجع سابق، ص١٥٨.

[3] ينظر سكوت، مرجع سابق، ص٢٥٥. كما ينظر خليل أحمد خليل، المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع؛ (بيروت: دار الحداثة، ١٩٨٤م)، ص١٣٢.

تأتي دراسة محمد هاني الشاملة لكل الريف السعودي مثالا على الدراسات التطبيقية والإحصائية للمجتمع السعودي [١]، وعلى الرغم من أنها لم تشر إلى مفهوم الطبقة أو أنواعها في المجتمع، إلا أن النتائج ألمحت إلى وجود ذلك التفاوت، مثل: تفاوتهم في المساكن، فهي على حد وصف الباحث غير متجانسة[٢]، وتفاوتهم في المهنة والدخل تفاوتا صنفهم بواسطته إلى صنفين: صنف ذوي الدخول المنخفضة، وصنف ذوي الدخول المرتفعة[٣].

وتدل تلك التفاوتات على وجود اختلاف يبدو أن الباحث لم يرغب في تسميته، وقد يكون في هذا ابتعاد مشابه لابتعاد السيف عن مفهوم الطبقة وخصوصا السببي وما يمكن أن يحيل إليه من ظلال قد لا تتطابق وطبيعة الريف الذي وجد أن أهله يميلون إلى التعاون لا الصراع[٤]، في دلالة على وجود الطبقة ولكنها بالمفهوم الوصفي البراغماتي، حيث يكون التفاوت نتيجة طبيعية، ومسلما بها من أفراد المجتمع الذين يقبلون به، ومن ثم يكون التعاون علامة عليه.

وتمثل دراسة سعيد بن فالح الغامدي لقرية العبادلة -جنوب المملكة وتحديدا في منطقة الباحة -نموذجا مبكرا لدراسة المجتمع القروي دراسة تطبيقية؛ حيث استهل الباحث دراسته أولا بتبني مفهوم جو بييج Joe Beige للقبيلة التي تتكون من عدة قرى، وأنها "تجمع عددا من الناس ينتمون إلى أصل مشترك، ويشتركون في ملكية منطقة معينة من الأرض، وتقوم بينهم صلات قرابية، ويتكلمون بلغة واحدة أو لهجة واحدة[٥]"، وهو

---

[١] محمد هاني أحمد عيسى، الآثار الاجتماعية للتنمية الريفية في المملكة العربية السعودية إحصاءات حول العينة والمجتمع الريفي السعودي؛ (الرياض: مطابع جامعة الملك سعود، ١٩٩٣م).
[٢] المرجع السابق، ص١٩.
[٣] المرجع السابق، ص ص ١١٤-١١٥.
[٤] إنه يرى اعتمادا على الاستبانة والمعايشة أن بنسبة ٨٢% يسود التعاون بين أهل القرية. المرجع السابق، ص ٤٠.
[٥] سعيد بن فالح الغامدي، البناء القبلي والتحضر في المملكة العربية السعودية، ط١؛ (جدة: دار الشروق، ١٩٨١م)، ص٨.

تعريف يمثل مقدمة لوصف حال القرية المتجانس قبل نقطة الصفر، التي يميل سكانها إلى التشابه من حيث المستوى الاقتصادي والأصل العنصري، والاجتماع حول المصلحة والتعاون على تحقيقها[١].

والتعريف السابق في ظاهره نفي لحال التفاوت الذي سيكون في الوقت ذاته نفيا للطبقية، إلا أن الغامدي وفي مرحلة أكثر عمقا في الوصف والتحديد، قسم القبيلة إلى طبقات ثلاث: طبقة الأحرار وهم المسؤولون عن حماية القبيلة ولهم حق الإجارة، وطبقة الموالي وهم طالبو الإجارة والحلفاء الذين يملكون بعضا من الحقوق، وطبقة الأرقاء وهم العبيد الذين تم شراؤهم أو من كانوا أسرى حرب وهم لا يملكون إلا الواجبات[٢]، ليقول بعد ذلك مستنتجا:" وهكذا نجد أن القبيلة العربية كانت تشكل نظاما طبقيا تفصل بين طبقاته حدود واضحة المعالم "[٣].

كما قسم بنية المجتمع القروي أيضا وبحسب معياري المهنة والمكانة إلى أربع فئات: فئة التجار والمزارعين، وفئة دابغي الجلود، وفئة صناع الحديد وصانعي الفخار، وفئة العبيد. فالفئة الأولى في أعلى المراتب، ومنهم ينصب الشيخ، والثانية يحق لها المصاهرة من الأولى لأنهم ليسوا دخلاء على القبيلة أو مهاجرين[٤]، أما الثالثة والرابعة فلا يحق لهم ذلك. ويرى أن هذا التقسيم مستمر إلى الوقت الحاضر، وهو بذلك يشير إلى الوقت الذي أعد فيه دراسته؛ وهو تاريخ متجاوز لتاريخ اكتشاف النفط، باستثناء اختفاء الطبقة الثانية، أما الأرقاء أو أصحاب الحرف فإنهم لم يتمكنوا من الاندماج إلى الآن على الرغم من صدور الأمر الملكي للملك فيصل بتحرير العبيد عام ١٣٨٤هـ، و١٩٦٤م[٥].

---

[١] المرجع السابق، ص ص١٥٩-١٦٠.
[٢] المرجع السابق، ص ص١٣-١٤.
[٣] المرجع السابق، ص١٤.
[٤] الغامدي، مرجع سابق، ص ص٩٢-٩٤.
[٥] المرجع السابق، ص١٦.

ويلاحظ على التقسيمات السابقة أنها متأثرة بمفهوم الطبقة السببي، حيث يعلق الغامدي على دراسة للسويدي لمجتمع الطوارق، فيقول: "إن مجتمع الطوارق مجتمع طبقي لأنه قائم على إخضاع فئة لخدمة أخرى"[١]، ويتفق هذا التعليق مع مفهوم ماركس Marx للطبقية القائمة على الاستغلال والخداع[٢]، كما أن الغامدي يرى أن للطبقة دورا في صياغة السلوك والمفاهيم والأحكام العرفية، وهذا ما يتضح في طبيعة المهنة وعلاقتها بالسيادة مثلا، أو دور الطبقة في موضوع المصاهرة والزواج. مع ذلك فإن تصنيفه الأول لطبقات القرية قائم على معيار القرابة المتشابه مع معيار ابن صنيتان السابق، ما يجعل المفهوم متسعا ومتداخلا مع العنصرية، كما تفتقر دراسته للاستشراف المستقبلي لوضع الطبقات في القرية.

وتأتي دراسة محمد السيف لمجتمع عنيزة في السياق التطبيقي الخاص، حيث انطلق أولا من الاعتراف بالطبقة في ذلك المجتمع على الرغم من أن طبقاته في فترة ما قبل النفط تكاد تكون متقاربة، حيث اعتبر التجار أفضل الناس دخلا[٣]. كما يرى السيف في فترة ما قبل النفط أن طبقة المزارعين والتجار أعلى مركزا من أصحاب الحرف الشعبية؛ حيث يُرفض الزواج منهم، ويُطلق على الأفراد أو العوائل المنتسبة لتلك الطبقة بالصفافير والخضيرين[٤]، وهو تصنيف عنصري مشابه للمجتمع الجنوبي أيضا، ودال على وجود التمييز وأثره في عملية الضبط الاجتماعي، ففي موضوع الزواج تكون مكانة الأسرة مهمة؛ وهي مكانة تحدد بالنسب[٥]، ومقاربة لما ذهب إليه الفالح وابن صنيتان من أن الطبقة تُعيّن أولا بمعيار القرابة والنسب.

---

[١] المرجع السابق، ص٥٦.

[٢] ولقد عبر عن هذا المفهوم أولا أرمان بازار Arman Bazar وهو من تلاميذ سان سيمون Simon الذي كان له تأثير كبير في ماركس Marx وأتباعه، فهو أول من استخدم "استغلال الإنسان لأخيه الإنسان". ينظر هاينزمس، مرجع سابق، ص٢٨.

[٣] السيف، التغير الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية دراسة سوسيو إنثروبولوجية في مجتمع عنيزة، ص٨٠.

[٤] السيف، التغير الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية دراسة سوسيو إنثروبولوجية في مجتمع عنيزة، ص٨٠.

[٥] المرجع السابق، ص١٦٣.

ثالثا: المجتمع السعودي في الدراسات الاجتماعية الأدبية

أما دراسة (بدرية البشر) لمجتمع نجد في فترة ما قبل النفط[١]، فلقد جاءت مختلفة في منهجها ومادتها؛ إذ اعتمدت على الأدب الشعبي -الذي جمع مادته عبد الكريم الجهيمان -بوصفه مادة سعت إلى تحليل مضمونها الاجتماعي، واستنتاج ملامح وطبيعة ذلك المجتمع الجامع بين البدوية والقروية.

ولقد توصلت الباحثة بتحليل الأقوال التي وصل عددها إلى ٤٢٢ قولا إلى أن التقسيم الطبقي كان أحد مضامينها الأساسية، حيث شمل هذا طبقة التجار وطبقة الخضيرين وطبقة العبيد، حيث ترى أن التاجر كان له مكانة عالية، بينما المرء الذي لا ينتمي إلى قبيلة معروفة يقع في السلم الأدنى من المجتمع، أما العبد فليس له دور محدد بل ينفذ ما يطلبه سيده منه، وهو في أسفل السلم الطبقي[٢]، ولعل هذا التقسيم يتشابه مع تقسيمي الغامدي والسيف، في دلالة على مدى اتصال الأدب بالواقع على مستوى المضمون.

كما صنفت بحسب مادتها التقسيم الطبقي إلى تقسيم قبلي وإثني، فالقبلي يتبع للمعيار القرابي، وهو الآخر يتكون من طبقات داخلية، فالشيخ ووجهاء المجتمع يمثلون الطبقة الأرستقراطية على حد وصفها، يليهم كبار العوائل، ثم العاملون المأجورون في المزارع[٣]، ويقابلهم الخضيري والصلبي، وبذلك يكون المجتمع النجدي منقسما إلى فئتين بحسب قولها: فئة ذات نسب رفيع، وفئة ذات نسب مشكوك فيه[٤]. أما التقسيم الإثني فترى فيه المجتمع منقسما إلى أحرار وعبيد، حيث تحدثت عن الأصول الأفريقية للعبيد، وما اتسموا به من صفات الغباء والبله والشراهة في الحكايات الشعبية[٥].

---

[١] بدرية البشر، نجد قبل النفط دراسة سوسيولوجية تحليلية للحكايات الشعبية؛ (بيروت: جداول، ٢٠١٣م).
[٢] المرجع السابق، ص٨٣.
[٣] البشر، مرجع سابق، ص١٦٠. ولقد أكدت نتيجتها بما وصل إليه عبد الفتاح أبو عليه من تقسيم تلك الطبقة إلى ثلاثة مستويات. ينظر المرجع السابق، ص ص٥٠-٥١.
[٤] المرجع السابق، ص ص ١٦٠-١٦١.
[٥] المرجع السابق، ص ص ١٦٣-١٦٥.

ولقد حاولت البشر تحديد سمات كل طبقة، إلا أنها اكتفت بطبقة التجار الذين لهم نفوذ كبير وغالبا ما يكونون من الحضر، ومزاولين للربا، ومنتهكين للقيم السائدة[١]، كما تحدثت عن طبقات الحرفيين وبعض المهن التي كانت سببا في احتقار المجتمع لهم، مثل الحجامة والفصد والحدادة[٢]، إضافة إلى حديثها عن العبيد وصورهم في الحكايات الشعبية كما مر[٣].

وعلى الرغم من حرص الدراسة السابقة على توضيح طبقات المجتمع، وتحديد سمات كل طبقة وصورتها في المخيال الشعبي، إلا أنها عانت مما عانته الدراسات السابقة لها من توسع في مفهوم الطبقة، أفرزه معيار القرابة والنسب، كما أن معاييرها في التصنيف عانت من تداخل، ففي تصنيفها الخارجي بين طبقة الأحرار والخضيرين تعتمد على المعيار النسبي، أما في تصنيفات الطبقة القبلية فإنها تعتمد على المعيار الاقتصادي، إضافة إلى معيار المكانة المحدد بالعمر والموقع الاجتماعي.

وتدل الدراسات السابقة على وجود الطبقة في المجتمع السعودي في مرحلتي ما قبل نقطة الصفر وبعدها، إلا أن مفهومها توزع بين السببية والبراغماتية، وتداخل مع مفهوم المكانة كما في دراسة السيف النظرية، والتمييز العنصري كما في دراسات ابن صنيتان والغامدي والسيف والبشر، وافتقرت إلى غياب الدراسات التاريخية الشارحة لأسباب تكون الطبقات في المجتمع السعودي، وغياب التوقعات في تحديد مستقبلها.

---

[١] المرجع السابق، ص ص١٥٢-١٥٣

[٢] المرجع السابق، ص ص١٥٧-١٥٨

[٣] كما وضحت الباحثة نوع العلاقات بين كل طبقة وطبقة، حيث وجدت أنها قائمة على التسلط من أعلى إلى أدنى بنسبة ٤٩،٤%، والقسوة بنفس الاتجاه بنسبة ٦٦،١٢%، والحذر من الطبقة الأعلى نحو الأدنى بنسبة ٣٣،٣%، والغدر من الطبقة الأدنى للأعلى بنفس النسبة السابقة، وهي بذلك ترى أن العلاقة بين الطبقات متحجرة، ومتوارثة، وغير مكتسبة، كما أن الحكايات الشعبية عملت على تعزيز السمة السلبية فيما بينها. ينظر المرجع السابق، ص١٧٣، ص ١٩٦.

مفهوم الطبقة الاجتماعية التصوري عند النقاد السعوديين

أولا: مفهوم الطبقة السببي

سيكون استنتاج مفهوم الطبقة عند النقاد السعوديين للرواية مبنيا على مقارنته والمفاهيم التي أُستنتجت من الفصل الأول والمحور السابق؛ وهما المفهومان السببي والبراغماتي، وأخيرا المفهوم الواسع الذي احتوى التمييز العنصري وجعله معيارا طبقيا.

وسيوجه السؤال إلى مدى وكيفية استيعاب النقاد السعوديين للمفاهيم السابقة، وهل تمكنوا من تمثلها أم أضافوا إليها معايير جديدة؟ حيث ستكون الإجابة مقصورة على تحديد المفهوم، أما ما يتعلق بأنواع الطبقات أو سماتها فلا مجال له هنا، لأنها تبع للمفهوم من جهة، كما أن أهميتها متصلة بعلاقتها بالجوانب النظرية والتطبيقية للنقد السعودي التي سيكون محلها في الفصلين القادمين من جهة أخرى.

وستكون البداية مع المفهوم السببي الذي يجعل من التراتبية حافزا للظلم الذي ألمح إليه عالي القرشي في وصفه لرواية (فسوق)[١]، وأنها أظهرت لنا فروق الطبقات الجائر[٢]، ففي وصف الفروق بتلك الكيفية دلالة على تراتبية قائمة على الاستغلال، مورثة شعورا بالقهر عند الطبقة المُستغلَّة؛ وهو الشعور الذي وصفت به نورة المري حال البطل عيسى في رواية (سفينة الضياع)[٣] على الرغم من أرستقراطيته، وهو ما كان سببا في وقوفه دائما مع الطبقة الدنيا[٤]، فالشعور بالقهر تعبير عن عمق الصراع بين الطبقتين، يساويه التعبير بالسحق للطبقة الأدنى الذي استعملته هلالة الحارثي في سياق تعليقها على رواية (ترمي بشرر)[٥] لعبده خال،

---

[١] عبده خال، فسوق؛ (لندن: دار الساقي، ٢٠٠٥م).
[٢] عالي القرشي، تحولات الرواية في المملكة العربية السعودية؛ (الباحة/بيروت: النادي الأدبي/ مؤسسة الانتشار العربي، ٢٠١٣م)، ص ١٩٩.
[٣] إبراهيم الناصر الحميدان، سفينة الضياع، ط٢؛ (الطائف: النادي الأدبي، ١٤٠٩هـ). ولقد نشرت أول مرة بعنوان (سفينة الموتى) سنة ١٩٦٩م.
[٤] نورة محمد المري، ملامح البيئة السعودية في روايات إبراهيم الناصر، ط١؛ (تبوك: النادي الأدبي، ٢٠٠٦م)، ص٤٥.
[٥] عبده خال، ترمي بشرر؛ (بيروت: منشورات الجمل، ٢٠٠٩م).

وأن فضاءها محاط بالصراع القائم بين الطبقات الاجتماعية المترفة والمسحوقة[١]، وهو وصف يؤكد الوعي بالمفهوم السببي الذي يجد أن العلاقة بين الطبقتين قائمة على الاستغلال المسبب للجور والسحق والشعور بالقهر.

ويضيف منصور المهوس فعل الخداع الذي يكون ضحيته شخصيات منتمية إلى الطبقة الدنيا، ومنها شخصية مرهون عقلي في رواية نورة الغامدي (وجهة البوصلة)[٢]، إلا أنه ربطه بحقبة تاريخية قديمة، مما يدل على تغيره في الوقت الحاضر، وهو ما لم يدلل عليه المهوس بعد ذلك.

تلك التراتبية المشتملة على الاستغلال والخداع مسؤولة عن مفهوم الصراع الذي جعله ماركس Marx المحدد الأساسي لعلاقة الطبقات فيما بينها[٣]، وهو في حقيقته أثر لحدية العلاقة وانغلاق كل طبقة في وجه الأخرى.

ولقد عبر عن ذلك صراحة منصور ضباب في استنتاجه لرؤية نقولا حداد في رواية (العالم الجديد)[٤]، التي يرى أنها تجسيد للصراع في المجتمع الأمريكي بين الطبقتين العليا والدنيا[٥]، كما كان المجسد السابق محل استنتاج نبيل المحيش في تحليله لرواية يوسف القعيد (يحدث في مصر الآن)[٦]، وأن مقتل (الدبيش) لم يكن إلا تمثيلا للصراع الطبقي[٧].

---

[١] هلالة الحارثي، التراث السردي العربي في الرواية السعودية ١٤١٠-١٤٣٢هـ؛ (الرياض: دار جامعة الملك سعود للنشر، ٢٠١٤م)، ص٤٥.

[٢] منصور المهوس، صورة الرجل في الرواية النسوية السعودية رؤية ثقافية جمالية؛ (الرياض: مؤسسة اليمامة الصحفية، ٢٠٠٨م)، ص٨٦. بالنسبة للرواية، نورة الغامدي، وجهة البوصلة؛ (بيروت: المؤسسة العربية للنشر، ٢٠٠٢م).

[٣] Class and Class Conflict in Industrial Society, p13.

[٤] نقولا حداد، العالم الجديد؛ (لبنان، ١٩٢٤م).

[٥] منصور محسن ضاب، صورة الثقافة الأمريكية من منظور نقولا حداد في روايته العالم الجديد، مجلة جامعة الملك عبد العزيز-الآداب والعلوم الإنسانية، مج٢٠، ع١، ٢٠١٢م، ص٧٢.

[٦] يوسف القعيد، يحدث في مصر الآن؛ (مصر: دار الشروق، ٢٠٠٨م).

[٧] نبيل عبد الرحمن المحيش، استشراف التحولات التاريخية والاجتماعية في الرواية العربية (الانتقال إلى عصر الهيمنة الأمريكية) رواية (يحدث في مصر الآن) نموذجا، ضمن ملتقى الباحة الأدبي الخامس ١٤٣٣؛ (الباحة/بيروت: النادي الأدبي/الانتشار العربي، ٢٠١٣م)، ص٣٣٠.

والحكم على الرؤية أو الحدث بالصراع هو نتيجة لتصور الطبقة في مدلولها السببي القائم على الاستغلال والاستلاب، بل في مدلولها الماركسي الذي أكد عليه إبراهيم الشتوي في أن الرواية المشتملة على صراع طبقي "تمثل التطبيق العملي للرواية الماركسية في تفسيرها المادي للحياة القائمة على الصراع بين طبقة العمال وأرباب العمل"، ومثل عليها بروايتي (يحدث في مصر الآن) و(بحر الظلمات)[١] لنبيل راغب[٢].

وإذا كانت الدراسات السابقة معتمدة على الرواية المصرية، فالمري عبرت عن المفهوم السببي للطبقة في قراءتها لرواية (عذراء المنفى)[٣] المحلية التي لخصتها في الصراع بين طبقة شعبية عانت الفقر، مثّلها زاهر وحقده على الطبقة الغنية المثقفة التي مثلتها بثينة[٤]. فلقد كان الحقد علامة من علامات الصراع النفسية، الذي قد يتطور إلى موقف العداء، بوصفه نتيجة لعلاقة أم ميمونة وعيسى مع الباشا في رواية (ميمونة)[٥] في تحليل هيفاء العجلان لها[٦]، فالعداء أثر للحقد وملازم لكل صراع بين طرفين غير متكافئين.

أما سامي الجمعان فلقد كان أكثر صراحة لما جعل من العداء أمرا متوقعا بين مختلف الطبقات الاجتماعية بناء على تحليله لعلاقة ليلى وياسمين الطبقية وما نتج عنها من صراع في رواية (سعوديات)[٧]، وتابعه يونس البدر في الصراحة ذاتها؛ حيث استعمل مفهوم الصراع في وصف العلاقة بين بنات الجامعة في رواية (بنات الرياض)[٨]، بينما غفران قسام كانت ضمنية في تمثلها، فلقد شبهت هامشية المرأة وصراعها مع

---

[١] نبيل راغب، بحر الظلمات؛ (مصر: مكتبة مصر، ١٩٩٨م).

[٢] إبراهيم محمد الشتوي، الصراع الحضاري في الرواية المصرية (١٩٧٣-١٩٩٠م)، ط١؛ (المؤلف، ٢٠٠٢م)، ص٩٥، ص ٩٦.

[٣] إبراهيم الناصر الحميدان، عذراء المنفى؛ (الطائف: النادي الأدبي، ١٣٩٧هـ).

[٤] المري، ملامح البيئة السعودية في روايات إبراهيم الناصر، ص٢٥، ص ٥٠.

[٥] محمود إبراهيم تراوري، ميمونة؛ (الشارقة: دائرة الثقافة والإعلام، ٢٠٠٢م).

[٦] هيفاء العجلان، بناء الشخصية في نماذج من الرواية السعودية؛ (الرياض: دار جامعة الملك سعود للنشر، ٢٠١٦م)، ص١٨٨.

[٧] سامي الجمعان، خطاب الرواية النسائية السعودية وتحولاته؛ (الرياض: النادي الأدبي، ٢٠١٣م)، ص٣٨١. بالنسبة للرواية، سارة العليوي، سعوديات؛ (البحرين: فراديس للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦م).

[٨] يونس حبيب البدر، الواقعية الاجتماعية في الرواية السعودية خلال الفترة ١٤٠٠-١٤٢٨هـ دراسة موضوعية وفنية، رسالة ماجستير، جامعة الملك فيصل، ٢٠١٢م، ص٨٥. بالنسبة للرواية، رجاء عبد الله الصانع، بنات الرياض؛ (لندن: دار الساقي، ٢٠١٧م). نشرت أول مرة سنة ٢٠٠٥م.

الرجل والحياة بالصراع الطبقي[١]، وهو تشبيه قائم على تصور العلاقة بين الطبقات على أنها تدافعية غير تنافسية، ومؤكد للتمثل الواضح للمفهوم السببي للطبقة الذي حضر في صورة المشبه به.

كما يظهر الصراع في فشل التحول من طبقة إلى طبقة نتيجة الانغلاق، وهذا ما عبّر عنه المهوس في تحليله لرواية رجاء عالم(خاتم)[٢]، وأنه على الفرد الاقتناع بوضعه الطبقي المتدني، وأن أي محاولة للتغيير سيكون مصيرها الفشل[٣]، وفي هذا حكم قاطع بدور مفهوم الطبقة السببي في تشكيل الحواجز بين الطبقات وجعلها مسدودة.

وهو ما أشار إليه ساري الزهراني في سياق تحليله لمدينة الرياض في رواية (اليوم الأخير لبائع الحمام)[٤]، وأن كل جهة فيها تمثل طبقة مسيجة، فهناك جهة لتجمّع السادة تقابلها جهة لتجمّع العبيد، وأن حركة النزوح في الرياض كانت طبقية[٥]، ليعني بهذا من وجه آخر أن كل طبقة منكفئة على نفسها انكفاء تصبح بواسطته كل وجهة حدا طبقيا جامدا، وهذا ما يؤكد عليه المفهوم السببي في تصوره للعلاقة بين الطبقات المتصارعة الذي لا يسمح بالاندماج والتداخل، وهو ما انتبهت إليه آلاء الهامل في تحليلها لمجتمع بنات الجامعة في رواية (بنات الرياض)، وأن رجاء الصانع صورته على أنه طبقي يكون الاندماج فيه شبه معدوم[٦]، وهو ما انتبه إليه يونس البدر قبل ذلك لما رأى أن الرواية ذاتها اشتملت على مجموعات منطوية على طبقاتها[٧]، حيث يمكن تفسير الانطواء بالفشل في اختراق الحدود الطبقية، وتأكيد الانعزال الذي يأتي نتيجة للصراع.

---

[١] وهي تنقل ذلك عن صبري حافظ من كتابه (أفق الخطاب النقدي: دراسات نظرية وقراءات تطبيقية). ينظر غفران عبد الله قسام، الرواية النسائية في السعودية: الهجرة وتحولات الرؤية، رسالة ماجستير، جامعة الملك عبد العزيز، ٢٠١٣م، ص١١٣.

[٢] رجاء عالم، خاتم؛ (بيروت/ الدار البيضاء: المركز العربي الثقافي، ٢٠٠١م).

[٣] المهوس، صورة الرجل في الرواية النسوية السعودية، ص٨٩.

[٤] عبد العزيز الصقعبي، اليوم الأخير لبائع الحمام؛ (الدمام: أثر للنشر والتوزيع، ٢٠١٢م).

[٥] ساري محمد الزهراني، الرؤية والتشكيل الفني في روايات عبد العزيز الصقعبي، رسالة دكتوراه، جامعة الملك عبد العزيز، ٢٠١٥م، ص ص ١٦٨-١٦٩.

[٦] آلاء منذر الهامل، تمثيلات الإقصاء في الرواية السعودية دراسة نقدية، رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود، ١٤٣٧-١٤٣٨هـ، ص٨٨.

[٧] البدر، مصدر سابق، ص٨٦.

ويقرر المفهوم السببي -خصوصا الماركسي -قدرة الطبقة على تشكيل الوضع الاجتماعي والثقافي للفرد، بوصفها هي من تحدد للفرد وضعه لا العكس[١]، ومن أمثلة تلك القدرة: إحالة الريم الفواز تنوع أسماء الشخصيات إلى مرجعياتها التي حددتها بالعائلة والمهنة والطبقة[٢]، لتكون الطبقة بهذا كيانا موازيا للعائلة في تأثيرها في وجود الفرد بداية من تسميته، وتحديد وضعه القيمي وخصائصه الشخصية، التي ترى سميرة الحارثي أن (المحيميد) مثلها في شخصية السارد في روايته (لغط الموتى)[٣]. ثم بما تحققه الطبقة للشخصية من إنجازات أو إمكانات، مثل التي لم تكتسبها المرأة السعودية المثقفة في روايات الناصر إلا بسبب انتمائهن إلى الطبقة الأرستقراطية الغنية، وما تتمتع به من قدرة مادية تسمح لهن بإكمال تعليمهن في الخارج كما ترى نورة المري[٤]، التي أشارت- أيضا- في تحليلها لرواية (ثقب في رداء الليل)[٥] إلى أن التفاوت في مدينة البصرة وصل إلى حد الطبقية التي مثلت عليها بحرص الأثرياء والتجار على تعليم أبنائهم في مقابل تحول الفقراء إلى السرقة والإجرام[٦]، وكأنها بالإشارة إلى التجار تجعل من المال معيارا طبقيا وسببيا في تشكيل حاضر الفرد ومستقبله.

وهذا ما أكدته الشايع في أكثر من قراءة، ومنها (التوأمان)[٧] وأنه لولا غنى وثراء والد فريد ورشيد لما تعلما، وأن غنى أحمد في (ثمن التضحية) هو السبب في تعليمه، وهو السبب أيضا في تعليم محيسن في رواية (سقيفة الصفا)[٨]، كما مكن بثينة من تعليمها في رواية (عذراء المنفى)، وأن المال هو من كان سببا في

---

[١] وليمز، مرجع سابق، ص٧٦.

[٢] الريم مفوز الفواز، سيمياء الشخصية في الرواية السعودية ١٤١٠-١٤٣٠هـ (دراسة سيميائية)؛ (جدة/بيروت: النادي الأدبي الثقافي/مؤسسة الانتشار العربي، ٢٠١٥م)، ص١٤٠.

[٣] سميرة ردة الحارثي، صورة البطل في روايات يوسف المحيميد دراسة نقدية تطبيقية؛ (الرياض: مطابع دار جامعة الملك سعود للنشر، ٢٠١٧م)، ص ص١٠٠-١٠١. بالنسبة للرواية، يوسف المحيميد، لغط الموتى؛ (بيروت: منشورات الجمل، ٢٠٠٣م).

[٤] المري، ملامح البيئة السعودية في روايات إبراهيم الناصر، ص٢٢١.

[٥] إبراهيم الناصر الحميدان، ثقب في رداء الليل؛ (القاهرة: دار القومية للطباعة والنشر، ١٣٨١هـ).

[٦] المري، ملامح البيئة السعودية في روايات إبراهيم الناصر، ص٤٥.

[٧] عبد القدوس الأنصاري، التوأمان؛ (دمشق: مطبعة الترقي، ١٩٣٠م).

[٨] حمزة بوقري، سقيفة الصفا؛ (الرياض: منشورات الرفاعي، ١٩٨٣م).

مرض أسامة -بطل رواية (البعث)[١] -وشفائه [٢]. والتأكيد على المال في الاستنتاجات السابقة هو التأكيد على الوضع الطبقي الذي يكون فيه العامل الاقتصادي معيارا حاسما في إحداث الفرق المعيشي والتكويني للفرد.

تلك القدرة السابقة يُحال إليها كثير من مسائل الوعي الثقافية والاجتماعية، فالوعي الثقافي يتجلى في محاولة (عوض العنزي) تحديد الرؤية الطبقية لشخصيات (فخاخ الرائحة)[٣] الفقيرة، وجعلها المسؤولة عن فشل أحلامهم بعد اصطدامها بقيم المدينة المختلفة عن الصحراء[٤]، لتكون الطبقة بذلك سببا في الرؤية التي كانت بعد ذلك سببا آخر في مصير الشقاء، وهو ما أكده يونس البدر وجعله علامة على الواقعية المتضمنة رؤية للعالم، مصدرها الطبقة الاجتماعية للروائي إضافة إلى أبعاد اجتماعية وثقافية أخرى[٥]، وهو يبدو في هذا متابعا لمفهوم غولدمان Goldman عن الرؤية.

كما قد يتجلى الوعي الاجتماعي في تحميل الطبقة عددا من الظواهر، مثل: الاغتراب الذي شابه فيه حسن الحازمي الناقد المصري أحمد الهواري في جعل الطبقة مسؤولا عنه[٦]، والعنوسة التي ردها محمد العوين إلى الاختلاف الطبقي [٧]، وقبل ذلك الحيلولة عن الزواج التي انتبه إليها منصور الحازمي في قراءته لرواية (زينب)، وأن البطلة لم تتمكن من أن تهب قلبها لحامد لأنه من طبقة أخرى[٨]، وهو السبب ذاته الذي اعتمد عليه خالد الرفاعي في تحليله لـ(قطرات من دموع)[٩] لسميرة خاشقجي، وأن والدي عاصم وقفا ضد

---

[١] محمد علي مغربي، البعث؛ (القاهرة: دار الكتاب العربي، ١٩٤٧م).
[٢] مها الشايع، شخصية المثقف في الرواية السعودية؛ (الرياض: دار المفردات، ٢٠٠٩م)، ص ص ٤٠٦-٤٠٩، ص ص٤١٢-٤١٣.
[٣] يوسف المحيميد، فخاخ الرائحة؛ (لندن: رياض الريس للكتب والنشر، ٢٠٠٣م).
[٤] عوض إبراهيم العنزي، آفاق التوقع ومسارات التحول: قراءة بنيوية تكوينية في فخاخ الرائحة ليوسف المحيميد، قوافل، ع٣٤، ٢٠١٦م، ص٦٦، ص ٦٩، ص ٧٠، ص ٧١.
[٥] البدر، مصدر سابق، ص٦٠.
[٦] الحازمي، البطل في الرواية السعودية، ص٥٦٢.
[٧] محمد عبد الله العوين، قضايا المرأة السعودية من خلال السرد؛ (الرياض: مطابع الشرق الأوسط، ٢٠٠٩م)، ص٩٩.
[٨] الحازمي، فن القصة في الأدب السعودي الحديث، ص٥٤.
[٩] سميرة خاشقجي، قطرات من دموع، ط٤؛ (بيروت: المكتب التجاري، ١٩٦٣م).

حب ابنهما بسبب طبقية المجتمع التي تمنع ارتباطه بفتاة بدوية فقيرة[١]، كما هو السبب في رفض عائلة منيرة للارتباط بعلي الدحلان الذي لا يتناسب مع طبقتهم كما ترى سميرة الحارثي في تحليلها لرواية (القارورة)[٢]، وأن مجتمع الرواية يفرض على كل فرد أن يلتزم طبقته ولا يتجاوزها[٣].

كما حمّل بعض النقاد الطبقية ظاهرة التمييز العرقي، ومن ذلك هيفاء العجلان في سياق تحليلها لـ(ميمونة)، وأن هناك تمييزا بين الأبيض والأسود ردته إلى التفاوت الطبقي[٤]، لتخالف التصور الاجتماعي السعودي السابق الذي جعل من الطبقة أثرا للعنصرية وتصححه.

كما اتصل المفهوم السببي بنشوء الطبقية التي تحولت في نظر عدد من النقاد إلى نزعة لا تختلف في ضررها عن النزعات القبلية والجهوية، ولقد أشار إلى ذلك معجب الزهراني عندما عدها تشكيلا لا يختلف عن العرق والجنس في ممارسة الظلم على المختلف[٥]، وتابعه في ذلك سحمي الهاجري لما اعتبر أن الجميع في بداية تأسيس المجتمع السعودي سارعوا إلى الالتحام وتجاوز أي نزعة إقليمية أو فئوية أو طبقية[٦]، وهو اعتبار يقرن الطبقة بالنزعات المفتتة لبنية المجتمع، وهو ما حاول عمر السيف تعويضه بالمكانة في المحور السابق، حيث عُد ذلك خلطا بين الطبقة وأثرها المنزاح عن طبيعتها التكوينية، فالزهراني والهاجري نظرا إلى الطبقية لا الطبقة، بوصفها أيديولوجية متحيزة ومحدودة، ولم يميزا بينها وبين مركبها المحايد، فالطبقة

---

[١] خالد الرفاعي، الرواية النسائية السعودية قراءة في التاريخ والموضوع والقضية والفن؛ (الرياض: النادي الأدبي، ٢٠٠٩م)، ص٧٨.
[٢] يوسف المحيميد، القارورة؛ (بيروت/الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٨م).
[٣] الحارثي، مصدر سابق، ص١٢٠.
[٤] العجلان، مصدر سابق، ص٣١.
[٥] ولقد قال ذلك في سياق حديثه عن قدرة بعض الخطابات ومنها الرواية على كشف أيديولوجية الظلم والهيمنة، ينظر معجب الزهراني، مقاربات حوارية؛ (مكة المكرمة/بيروت: نادي مكة الثقافي الأدبي/ مؤسسة الانتشار العربي، ٢٠١٢م)، ص٨٠.
[٦] سحمي الهاجري، حوار النصوص دراسات تحليلية في السرد التاريخي والروائي؛ (جدة: النادي الأدبي الثقافي، ٢٠١٤م)، ص١١٤.

تظل مكونا اجتماعيا، وتعبير الكاتب عنها أو تمثيلها سرديا قد لا يجعل منه بالضرورة مؤدلجا، بقدر ما يعبر عن انتماء اجتماعي نشأ عليه الروائي وحاول سرده.

ولقد تأثرت بذلك الخلط نورة المري التي حاولت تعويض الطبقية بالتفاوت الاجتماعي؛ لأن البيئة السعودية على حد وصفها لا تظهر فيها الأولى[١]، ولم تدلل على حكمها، بل إنها وقعت في تناقض صريح عندما تبنت مفهوم الطبقة في كثير من تحليلاتها واستنتاجاتها، وعلى الرغم من محاولة تعليلها لاستخدامها مفهوم التفاوت بنقله من لحميداني في كتابه (الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي)، إلا أن ذلك لم يكن كافيا بسبب تناقض لحميداني ذاته واستخدامه مفهوم الطبقة استخداما صريحا لم يميز فيه بين السببي والبراغماتي كما مر في الفصل السابق[٢].

كما يرد المفهوم السببي للطبقة عددا من السلوكات الفردية، ومن ذلك التدخين الذي علل حسن الحازمي اتصافه ببطلة (جزء من حلم) بطبقتها، ونمط معيشتها الذي سمح لها بالسفر إلى باريس واكتساب تلك العادة هناك[٣]، وهو يقصد بذلك الطبقة العليا. وهي صفة أعادتها في المقابل نورة المري إلى الطبقة الفقيرة في تحليلها لـ(عذراء المنفى)[٤]، ما يعني أن محاولة ربط هذه الصفات بالطبقة قد لا يكون دقيقا وحاسما بل تابعا لتصور الروائي وحبكة الرواية أحيانا.

كما قد تكون المثالية سمة من سمات الطبقة حسب مفهومها السببي الماركسي، بالإشارة إلى المجتمع الخالي من الطبقية الذي يمثل حلم الماركسيين وغايتهم[٥]، ومن تلك الإشارات رؤية منصور الحازمي لرواية

---

[١] المري، ملامح البيئة السعودية في روايات إبراهيم الناصر، ص٤٢.
[٢] لقد قسم لحميداني الرؤية بحسب تمثيلها للطبقة. ينظر لحميداني، الرواية ورؤية الواقع الاجتماعي، ص ص ١٧٦-١٨٦.
[٣] الحازمي، البطل في الرواية السعودية، ص٤٩٥.
[٤] المري، ملامح البيئة السعودية في روايات إبراهيم الناصر، ص٩٦.
[٥] Class and Class Conflict in Industrial Society, p8.

فرح أنطون (أورشليم الجديدة)[١]، وأن من أهم طموحاتها اختفاء التفاوت الطبقي وتحقيق المساواة[٢]، وتصور عيضة القرشي ليعقوب في رواية (شقة الحرية)[٣] على أنه رمز للاشتراكية الساعية لإزالة الطبقية[٤]، وإشارة أسماء الأحمدي في سياق تحليلها لـ(جاهلية)[٥] إلى أن الأبيض يمثل مرحلة التطهير للسارد والانتقال إلى حياة أخرى غير عنصرية أو طبقية[٦]؛ حياة مثالية في وجودها مساوية بين أفرادها وطبقاتهم.

ثانيا: المفهوم البراغماتي

أما المفهوم البراغماتي فلقد مُثّل في نفي أبو ملحة للطبقة حسب مفهومها السببي، فهو يرى أن المجتمع السعودي لا تتفاوت فيه الطبقات كبيرا، ولا توجد فيه طبقات متمايزة ومتصارعة على أساس اقتصادي[٧]، وهو لا يؤيد ما وصل إليه بدراسة اجتماعية سوى التأكيد على نقاء ابن الصحراء وعدم تغلغل الاشتراكية في المجتمع السعودي[٨]، والتأكيد من جانب آخر على وجود الطبقة التي نشأت بسبب التوسع في أعمال التجارة، وميزت الناس عن بعضهم[٩]، وهو تأكيد يثبت من خلاله الطبقة البراغماتية القائمة على معياري الدخل والمكانة التي لا يكون لها أثر في صياغة وعي أفرادها أو تحكمها في علاقاتهم، ولقد تأثرت بهذه الرؤية آلاء الهامل لما رأت محدودية الصراع الطبقي في الروايات السعودية[١٠]، بسبب غياب الطبقة في مفهومها السببي.

---

[١] فرح أنطون، أورشليم الجديدة؛ (مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٣م). نشرت أول مرة سنة ١٩٠٤م.
[٢] منصور الحازمي، مشكلة الأقلية في الرواية التاريخية اللبنانية، الدارة، مج٢، ع٢، يوليو ١٩٧٦م، ص ٣١.
[٣] غازي القصيبي، شقة الحرية؛ (لندن: دار رياض الريس للكتب والنشر، ١٩٩٤م).
[٤] عيضة محمد خضر القرشي، الرواية عند غازي القصيبي دراسة نصية، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، ١٤٢٤هـ، ص١٢١.
[٥] ليلى الجهني، جاهلية؛ (بيروت: دار الآداب، ٢٠٠٧م).
[٦] أسماء مقبل الأحمدي، إشكاليات الذات الساردة في الرواية النسائية السعودية (١٩٩٩-٢٠١٢م)، رسالة دكتوراه، جامعة الملك عبد العزيز، ٢٠١٧م، ص٣٢٢.
[٧] أبو ملحة، صورة المجتمع في الرواية السعودية، ص٦١.
[٨] المصدر السابق، ص١٦٤.
[٩] المصدر السابق، ص١٦١.
[١٠] الهامل، مصدر سابق، ص٨٩.

ولقد تجلى المفهوم البراغماتي كذلك في تحليل حسن الحازمي للطبقة بوصفها مكونا واقعيا للشخصية في رواية (ثمن التضحية)؛ حيث ذكر أن الكاتب اعتنى بشخصية البطل من خلال أبعاده الجسمية والنفسية والاجتماعية ومنها اهتمامه بطبقته؛ طبقة التجار[١]، لتكون الطبقة بذلك وصفا، وظيفته توضيح البعد الاجتماعي للشخصية دون التطرق لما يفرضه ذلك من تأثيرات، وهذا ما مارسته المري في تحليلها لرواية الناصر (سفينة الضياع)، وأنها أوضحت التمايز الطبقي بوصفها للعمران[٢]، وعكس الروائي نفسه في (غيوم الخريف)[٣] صور التفاوت الطبقي حتى في الملاهي الليلية[٤]، دون إشارة إلى دلالات التمايز والتفاوت أو أثرهما في موقف الكاتب أو شخصياته.

ولقد أكدت مها الشايع ذلك حينما جعلت من الطبقة الاجتماعية طريقة في توضيح سمات المثقف، وقصدت بالطبقية: انتماء المثقف إلى عالم الغنى أو الفقر، دون الحديث عما يترتب عليه من صراع أو تعاون مع الطبقات الأخرى، بل مارست الشيء ذاته في تحليلها لوصف محيسن في رواية (سقيفة الصفا) لمنزله، وأنه كاشف عن الطبقة الاجتماعية[٥] من دون الحديث عن أثرها.

لقد تبنت الشايع المفهوم البراغماتي القاضي بقبول التفاوت، والعمل على تحويله إلى دافع نفسي أو سلوكي، فهي ترى أن الفقر كان محفزا لشخصية (فالح) في رواية (رعشة الظل)[٦]، وكان لـ(هدى) في رواية (لا لم يعد حلما)[٧] دافعا إلى مواصلة تعليمها وتحدي الظروف، فكان بذلك قناعة عند الأول وطموحا عند

---

[١] الحازمي، البطل في الرواية السعودية، ص٩٠. وينظر أيضا ص ٤٩١.
[٢] المري، ملامح البيئة السعودية في روايات إبراهيم الناصر، ص٤٦.
[٣] إبراهيم الناصر الحميدان، غيوم الخريف؛ (الرياض: نادي القصة السعودي بالجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون، ١٩٨٨م).
[٤] المري، ملامح البيئة السعودية في روايات إبراهيم الناصر، ص٥٦.
[٥] الشايع، مصدر سابق، ص ٢٢٤. ولقد سايرتها في هذا التصنيف القائم على الفقر والغنى دون مجاوزة ذلك إلى ما هو أبعد، آلاء الهامل لما ربطت الإقصاء بالطبقة القائمة على الثنائية السابقة كما نقلته من جميل صليبا في معجمه الفلسفي. ينظر الهامل، مصدر سابق، ص٨٨. وقبل ذلك يونس حبيب البدر لما أكد أن الطبقات في المجتمع والرواية السعودية تقوم على التقابل بين الأثرياء وما يقابلهم في الطبقة الوسطى دون إشارة إلى الدنيا. ينظر البدر، مصدر سابق، ص٨٣.
[٦] إبراهيم الناصر الحميدان، رعشة الظل؛ (الرياض: دار ابن سينا للنشر، ١٩٩٤م).
[٧] فؤاد صادق مفتي، لا لم يعد حلما، ط٣؛ (المؤلف، ٢٠٠٠م).

الثانية[١]، وهذا ما يتناسب والمفهوم البراغماتي الذي يحاول أن يجعل العلاقة بين الطبقات قابلة للتداخل، وترقية الفرد لطبقته في أحسن الظروف.

ويعد القبول بالوضع الطبقي من أهم مميزات المفهوم البراغماتي المؤدي إلى انفتاح الطبقات فيما بينها، وقلب الصراع إلى تعاون أو تنافس، وهو ما أشارت إليه نورة المري في تحليلها لمونولوجات البطل في رواية (رعشة الظل)، التي عكست رضا الطبقة الكادحة وإيمانها بما قسمه الله من الرزق دون ضغينة أو حسد أو صراع[٢]؛ حيث كان في استبعاد المتواليات السابقة استبعاد للمفهوم السببي وإقامة للبراغماتي محله.

أما حنان الغامدي فلقد أكدت على عنصر القبول ضمنيا، ومبدأ التنافس واغتنام الفرص في تحليلها لرواية (آدم يا سيدي)[٣] خصوصا عند الطبقة الاجتماعية المتوسطة وصراعها لتحقيق مستوى معيشي مناسب[٤]، ولعلها تقصد بالصراع التنافس في تحقيق ذلك المستوى بما أن حديثها كان محصورا على طبقة اجتماعية محددة، ولم يتجاوزه إلى علاقتها بالطبقات الأخرى، كما أن الصراع كان سببا في التحسين المعيشي، ما يعني إمكانية الانتقال الطبقي الذي يتناسب ومفهوم التنافس؛ لأن الصراع لا يسمح بذلك.

ذلك القبول مهم في تحقيق الانتقال الطبقي المتضمن انفتاحا بين الطبقات، وإمكانا لتحسين الوضع المعيشي للفرد كما يلاحظ في الفقرة الأخيرة، ويلاحظ في غيرها، ومنها: توصيف منصور الحازمي لشخصية السيد زهير في رواية (أنا الشعب)[٥] لأبو حديد على أنه من الطبقة المتوسطة إلا أنه متطلع إلى الأرستقراطية[٦]، والتطلع رغبة ممزوجة بإرادة وقدرة على تحقيق ذلك وفق الوسائل المتاحة.

---

[١] الشايع، مصدر سابق، ص٤١٢، ص ٤١٤. ولقد أكد أبو ملحة سمة القبول بالتفاوت عند شخصية فلاح في تحليله لرواية (رعشة الظل)، وأنه كان حكمة من الله. ينظر أبو ملحة، صورة المجتمع في الرواية السعودية، ص١٦٢.

[٢] المري، ملامح البيئة السعودية في روايات إبراهيم الناصر، ص٢٨٩.

[٣] أمل محمد شطا، آدم يا سيدي؛ (جدة: شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر، ١٩٩٧م).

[٤] حنان الغامدي، آليات تشكيل الحلم في الرواية النسائية السعودية المعاصرة (١٩٩١-٢٠٠٣)، رسالة دكتوراه، جامعة الملك عبد العزيز، ٢٠١٢م، ص٦٣.

[٥] محمد فريد أبو حديد، أنا الشعب؛ (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتب، ٢٠٠١م). نشرت أول مرة سنة ١٩٥٣م.

[٦] منصور الحازمي، محمد فريد أبو حديد: كاتب الرواية، مجلة كلية الآداب جامعة الرياض، مج١، ١٩٧٠م، ص٤٠٠.

وهي رغبة دالة- في الوقت ذاته- على أن الطبقة وضع مرن وقابل للتغير حسب مبدأ التنافس، وهذا ما يلحظ- أيضا- في تفسير حنان الغامدي لموت فضة في رواية (وجهة البوصلة) على أنه رغبة في تحقيق ذلك الانتقال[١]، وهو تفسير يعتمد ضمنيا على المفهوم البراغماتي وإمكان تحقيق الترقي حتى وإن كان حلما، أما بدرية الفريدي فترى أن لطيفة في رواية (جروح الذاكرة)[٢] لتركي الحمد أصبحت مختلفة عن ماضيها لتحولها من ريفية إلى أرستقراطية[٣]، والاختلاف والتحول مبنيان على مبدأ الانفتاح الطبقي وإمكانية الترقي.

ومن علامات المفهوم البراغماتي أيضا، تداخل الطبقات واشتباكها إلى الحد الذي لا تتضح فيه حدود كل طبقة، ليكون غياب الحدود تغييبا للطبقة ودورها، وتهيئتها لاستقبال المؤثرات الأخرى، ولقد أشارت إلى ذلك الفريدي من خلال وصف صبا في رواية (الفردوس اليباب)[٤] لجدة، وأنها أصبحت مكانا مزيجا تشترك فيه كل الطبقات الاجتماعية؛ حيث تقول:" أضاعت الشخصية الروائية هوية المكان الذي تنقلت بين مختلف طبقاته فلم تعد تعرف هذا المكان أي هوية يحمل ولا هي لأي الطبقات تنتمي"[٥]، وعلى الرغم من أن هذا التحليل يحاول شرح الحالة النفسية للبطلة ومدى تخبطها وحيرتها، إلا أنه متضمن لتصور يكون فيه تداخل الطبقات تعبيرا آخر عن وضع اجتماعي أصبحت فيه الطبقة نتيجة وتابعة للمنظور الذي مثلته الشخصية في النص السابق، وهذه التبعية هي ما تجعل المفهوم براغماتيا يقبل التأثر بوصفه نتيجة لا سببا.

ومن العلامات أيضا: وصف العلاقة بين الطبقات بالاختلاف لا الصراع، المفضي إلى التفاوت الذي قد يكون نتيجة طبيعية لا سببا فاعلا في حاضر الفرد ومصيره، كما يوحي بانفتاح العلاقة على خيارات لا يكون الصراع من ضمنها، كونه متضمنا للتقابل المؤدي إلى العداء. وهذا ما يمكن ملاحظته في وصف يونس

---

[١] الغامدي، مصدر سابق، ص٣١١.
[٢] تركي الحمد، جروح الذاكرة؛ (لندن: دار الساقي، ٢٠٠١م).
[٣] بدرية الفريدي، صورة الشخصية الانهزامية في الرواية العربية السعودية دراسة نقدية (١٩٩١-٢٠٠٥م)؛ (الرياض: دار جامعة الملك سعود للنشر، ٢٠١٧م)، ص٦٠.
[٤] ليلي الجهني، الفردوس اليباب؛ (بيروت: منشورات الجمل، ٢٠٠٦م).
[٥] الفريدي، صورة الشخصية الانهزامية في الرواية العربية السعودية، ص ص ١٩٢-١٩٣.

البدر لرواية (الموت يمر من هنا)[١] على أنها صورت الاختلاف الطبقي في المدن[٢]، وهو توصيف قائم على توضيح الفوارق دون الحديث عن أسبابها أو مسبباتها، كما أن التزام الناقد بالوصف يعطي دلالة للقارئ على أن الطبقة نتيجة لأسباب متعددة ومتعاقبة، والنتيجة سمة براغماتية.

ثالثا: المفهوم الواسع

أما المفهوم الواسع فيحضر صراحة في محاولة البدر لتعريف الطبقة اعتمادا على كتاب حصة الزهراني (الحياة الاجتماعية الاقتصادية في الدولة السعودية الثانية)[٣]، وأنها مفهوم قائم على معايير الغنى والفقر إضافة إلى المعايير القبلية وما يتضمنها من تحيز للنسب[٤]، إلا أنه لم يحدد أي منهما مقدم على الآخر، وبالصراحة ذاتها صنف محمد الحسون طبقات المجتمع السعودي إلى قبليين وخضيرين وعبيد[٥]، وهو تقسيم مشابه لتقسيم السيف وفالح في تدرجه وتداخله مع العنصرية، إلا أن الحسون لم يستعن فيه بدراسة اجتماعية، بل استنتجه من مضمون الروايات التي قام بدراستها، وعلى الرغم من وعيه بمفهوم العرق وأثره في التمييز الاجتماعي في روايتي (فخاخ الرائحة) و(العصفورية)[٦]، إلا أنه خلط بين التمييزين العنصري والطبقي في عدد من تحليلاته، ومنها رد مأساة ناصر في رواية (فخاخ الرائحة) إلى التمييز الطبقي في القبيلة[٧]، وهو

---

[١] عبده خال، الموت يمر من هنا؛ (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٥م).
[٢] البدر، مصدر سابق، ص٨٧.
[٣] حصة بنت جمعان الزهراني، الحياة الاجتماعية الاقتصادية في الدولة السعودية الثانية؛ (الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ٢٠٠٤م).
[٤] البدر، مصدر سابق، ص ص ٨٤-٨٥.
[٥] محمد علي الحسون، تضاريس اللحظة الحرجة قراءة في المشهد الروائي السعودي بعد حرب الخليج؛ (أبها/بيروت: النادي الأدبي/مؤسسة الانتشار العربي، ٢٠١٦م)، ص ص ١٦٩-١٧٠.
[٦] المصدر السابق، ص١٩٧.
[٧] المصدر السابق، ص١٩٨.

يقصد بذلك التمييز العنصري، وأن القيم الطبقية انتصرت على قيمة الحب في رواية (بنات الرياض)[١] وهو يقصد بذلك القيم القبلية.

كما ظهر المفهوم ضمنا في تحليل حسن الحازمي لرواية (سقيفة الصفا)، وأنها اشتملت على تمييزات من بينها تمييز الأشراف عن غيرهم[٢]، وهو تمييز نسبي جعل منهم في رأس الطبقات المكونة لمجتمع مكة المكرمة في ذلك الوقت، ما يعني أن للنسب الدور الرئيس والأسبق في ذلك، وفي هذا خلط بين الطبقية والعنصرية.

كما أشار إلى المفهوم الواسع صالح زياد في مقدمة ورقته حول القرية في القصة والرواية، إذ سرد في البداية عددا من العلامات، منها: التكوين الثقافي والاجتماعي ذو الطبيعة القبلية والذكورية والطبقية التي تأخذ تراتبا اجتماعيا وجنسيا؛ حيث قصد بالتراتب الطبقي التراتب الذي يشمل البعد العنصري[٣].

كما ترى إيمان تونسي أن سميرة خاشقجي أرادت استشراف مرامات التغيير في روايتها (قطرات من الدموع) عندما أعلن الطبيب عاصم عن رغبته في الارتباط بفتاة بكماء، متجاوزا في ذلك التقاليد الاجتماعية والطبقية[٤]، وهي تقصد بالطبقية هنا المعنى الواسع الذي يأخذ بعنصر النسب أو الجاه خصوصا فيما يتعلق بعلاقات الزواج، الذي أكدته أسماء الأحمدي لما أشارت إلى رفض سمر في رواية (رحاب أبو زيد) لمن تقدم لها بأن ليس له قبيلة[٥]، حيث أعادت الرفض إلى الطبقية المتداخلة مع العنصرية.

---

[١] المصدر السابق، ص٣٩٣. وهذا مشابه لما ذهب إليه محمد العباس من انتصار الطبقية على قيمة الحب. ينظر محمد العباس، نهاية التاريخ الشفوي؛ (بيروت/حائل: النادي الأدبي/ مؤسسة الانتشار العربي، ٢٠٠٨م)، ص١٠٠.

[٢] حسن حجاب الحازمي، المدينة في الرواية السعودية من ضمن كتاب الرواية بوصفها الأكثر حضورا؛ (بريدة: نادي القصيم الأدبي، ١٤٢٤هـ)، ص٣٤٧.

[٣] صالح زياد، زمن القرية، من ملتقى الباحة الأول ١٤٢٧ دراسات في التاريخ والآداب؛ (الباحة: النادي الأدبي، ٢٠٠٩م)، ص١٨١.

[٤] إيمان تونسي، بوح الأنثى في رواية قطرات من الدموع ضمن كتاب خطاب السرد-الرواية النسائية السعودية؛ (جدة: النادي الأدبي الثقافي، ١٤٢٧هـ)، ص٩٥.

[٥] الأحمدي، مصدر سابق، ص١٠٦، ص ١١٠.

كما حضر المفهوم الواسع للطبقة في رؤية محمد العباس لرواية أميرة القحطاني (فتنة)[١]، ورغبة بطلتها في الانسلاخ من القبيلة والانتماء إلى النور، وهم مجموعة بشرية منبوذة اجتماعيا، حيث يرى في ذلك انسلاخا طبقيا[٢]، وهو في حقيقته انسلاخ عنصري، وفي تحليل الريم الفواز لرواية (خاتم) وأن سند رُقي إلى طبقة الأشراف من خلال الرضاعة[٣]، وهي طبقة حددتها الناقدة بالنسب لا الوضع الاقتصادي.

ولقد كررت الناقدة ذلك في تصنيفها لأسماء الشخصيات في (فخاخ الرائحة)، فترى أن من بينها ما ينتمي إلى السادة وعلى عكسها العبيد[٤]، والسادة والعبيد تصنيفان طبقيان لكنهما في نظر الفواز كانا بفعل النسب لا القوة الاقتصادية، بدليل أنها وضعت العمال من هنود وغيرهم من جنسيات أخرى في طبقة مستقلة، وفي هذا تأكيد لتداخل العنصرية مع الطبقة في تصورها، وهو ما وقع فيه قبل ذلك عيضة القرشي لما جعل المكان في رواية (أبو شلاخ البرمائي) دالا طبقيا بسبب ثنائية العبيد والسادة[٥]، التي اعتبرتها سميرة الحارثي ثنائية موحية بالتمييز الطبقي في تحليلها لرواية (فخاخ الرائحة)[٦]، وهي ثنائية حاولت لمياء باعشن تصحيحها لما اعتبرت أن اللون الأسود في رواية (جاهلية) ليس جوهر الموضوع، بل الفقر الذي يترافق معه ويكوّن فارقا طبقيا[٧]، لتجعل من الطبقية سببا للعنصرية لا العكس.

ويلاحظ مما سبق قيام الطبقة بمفاهيمها الثلاثة عند النقاد السعوديين على التصور الذي انعكس على تحليلاتهم وتعليقاتهم وتفسيراتهم كذلك؛ حيث لم يكن هناك معالجة صريحة وواضحة للمفهوم من الناحية النظرية، أو مستندة إلى دراسة اجتماعية، إلا أنه كان كافيا للاعتراف بالطبقات المتفاوتة في المجتمع الذي

---

[١] أميرة القحطاني، فتنة؛ (بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٧م).
[٢] محمد العباس، انفجار التناقضات: الفضاء الثقافي للرواية في السعودية، علامات، المغرب، ع٣٢، ٢٠٠٩م، ص٩٩.
[٣] الفواز، مصدر سابق، ص٥٥.
[٤] المصدر السابق، ص١٤٢.
[٥] القرشي، مصدر سابق، ص١٤٥. وهي ثنائية اعتمد عليها سامي الجمعان أيضا لما اختصر الخطاب في رواية (وجهة البوصلة) في صورة السود، وظلاله الطبقية الموحية بالدون والفظاعة. ينظر الجمعان، مصدر سابق، ص٥٢٢.
[٦] الحارثي، مصدر سابق، ص٢٨٤.
[٧] لمياء باعشن، البصمة الشبحية قراءات تفكيكية في السرد السعودي؛ (مكة المكرمة/بيروت: النادي الأدبي/مؤسسة الانتشار العربي، ٢٠١٤م)، ص١٤٢.

حاول بعضهم إنكاره أو التخفيف من حدته مثل أبو ملحة وآلاء الهامل، اعترافا يبدو أنه لم يخل من تأثير بعض الدراسات الغربية والعربية على وجه الخصوص التي أغفل بعض النقاد الإشارة إليها، أو تأثير بعض الروائيين أنفسهم؛ حيث كانت بعض صور المفهوم خاصة بالكاتب وحبكته أحيانا.

كما يلاحظ أن المفهوم السببي كان متصلا بمستويات التفسير والتأويل، على عكس البراغماتي الذي انحصر دوره في الوصف والتصنيف.

يضاف إلى كل ما سبق، أن اشتمال تصور النقاد على المفهوم الواسع فيه دلالة على تشابه نظرتهم ونظرة الاجتماعيين السعوديين على الرغم من عدم وجود أدلة على تفاعل خطابيهما، وفي هذا تأكيد على وضوح البنية المجتمعية السعودية، رغم ما في ذلك من تداخل مع مفهوم العنصرية.

مفاهيم الطبقة الاجتماعية الموازية عند النقاد السعوديين

أولا: مفهوم الفئة

لقد عبر النقاد السعوديون أيضا عن الطبقة بمفاهيم موازية؛ أي مترادفة، وسيحاول الباحث عرضها والنظر في محتواها وما يمكن استنتاجه منها، والإجابة عن سؤال مدى تطابقها مع المفاهيم السابقة وما يمكن أن تضيفه لمفهوم الطبقة الاجتماعي.

وستكون البداية مع مفهوم الفئة Category الذي يتداخل كثيرا ومفهوم الطبقة، إلا أن بعضهم -كما مر في الفصل الأول -ميّز بينهما بأن جعل الأول قائما على معيار واحد، مثل: العمر أو الثقافة أو الجنس أو الحالة، مثل فئة الشباب أو المثقفين أو المرأة أو المجانين[1]، بينما الآخر يضم أكثر من معيار مجتمعة في

[1] جوسان، مرجع سابق، ص ص٣٠-٣١.

تصور واحد، يتقدمهم المعيار الاقتصادي، وستكون الوقفة مع تداخل الفئة مع مفهوم الطبقة المعبر عن التفاوت في صيغتيه السببية والبراغماتية.

فلقد استخدمه معجب الزهراني بمعنى المفهوم السببي في وصف الطبقة التي تنتمي إليها رجاء عالم، بالفئة المستقلة اقتصاديا والحضرية المتفتحة والمتسامحة، وأثر ذلك في طريقة كتابتها ومضامينها[١]، وهو وصف لا يقوم على تصنيف الكاتبة، بل يحاول تحديد أثر الفئة/الطبقة في ممارستها السردية؛ تحديدا يجعل من الطبقة سببا وفعلا متعديا. كما كان لمعجب الزهراني استخدام آخر لمفهوم الفئة الموازي لمفهوم الطبقة السببي في سياق حديثه عن رواية السيرة الذاتية التي مثّل لها بمحمد شكري، واستنتاجه لمحاولة الروائي في إدانته السلطة وتحميلها مسؤوليات الفقر والجهل الذي "تعاني منه الفئات والطبقات المسحوقة"[٢]، فلقد قرن بين المفهومين في سياق واحد، ولم تكن واو العطف إلا جمعا واقترانا وتأكيدا لمفهوم الفئة الذي كان سببا لما تحتويه المسحوقة من دلالات تشي باستغلال طبقة لطبقة، والاستغلال -كما مر-نتيجة لمفهوم الطبقة السببي.

ولقد استخدمته فاطمة العتيبي -أيضا -في معرض حديثها عن المناهج الأدبية وعنايتها بالشخصية، مشيرة إلى المنهج البنيوي التكويني المراهن على الشخصية المثلى، المعبرة عن فكر جماعة معينة، تكون رؤيتها للعالم هي رؤية الفئة الاجتماعية المنتمي إليها الروائي[٣]؛ حيث اقتصر حديثها على الشرح والتوضيح لمفهوم سبق عرضه في الفصل الأول وهو مفهوم رؤية العالم لغولدمان Goldman، وارتباطه بالطبقة في مفهومها السببي[٤]، وهو ما سبق أن قامت به نورة القحطاني لما ربطت الكاتب وموقفه بمحيطه الاجتماعي

---

[١] الزهراني، مقاربات حوارية، ص٨٤.

[٢] معجب الزهراني، جماليات الكتابة ودلالاتها الحوارية في رواية السير الذاتية، ملتقى الباحة الثقافي الثالث ١٤٢٩ الرواية السعودية مقاربات في الشكل، ط١؛ (الباحة: النادي الأدبي، ٢٠٠٩م)، ص١٠٩.

[٣] فاطمة فيصل العتيبي، السرديات النسوية في الرواية السعودية رجاء عالم أنموذجا؛ (الرياض: دار المفردات، ٢٠٠٩م)، ص١٣٩.

[٤] غولدمان، المادية الجدلية وتاريخ الأدب، ص١٥.

حينما استشهدت بوضوح أكبر من العتيبي بمفهوم غولدمان Goldman، لتؤكد بذلك انتماء الكاتب للفئة وتأثره بذلك[١]، وتوازي بين الفئة ومفهوم الطبقة السببي.

ولقد حاولت نورة المري نقل ذلك التوازي من الرؤية إلى السلوك في تحليلها لرواية (اللعنة)[٢]، لما ألمحت إلى عادة النارجيلة المنتشرة بين فئة محددة من سكان جدة[٣]، قاصدة من سياق نصها الطبقة المخملية التي كان لها تأثير في سلوك أفرادها ونمط معيشتهم.

كما حضر مفهوم الفئة الموازي لمفهوم الطبقة السببي في تصنيف ثناء الشخص للشخصيات في رواية (ستر)[٤] إلى طبقاتها، فالزوجان بدر وكريم منتميان إلى فئة مثقفة ساعية إلى الحصول على حقها، يقابلها فئة ثانوية تعاني من إدراك منخفض مثلتها شخصية زايد التي أحيل إليها بعض الأعمال الإرهابية، نتيجة حقوق مسلوبة جعلت ردة فعلها مختلفة عن تلك الطبقة المثقفة[٥]؛ حيث وصفت الطبقة في تصنيفها بالفئة، ومنحتها المسؤولية عن الفعل وتبعاته، وهذا ما يتفق والمفهوم السببي الذي يمنح الطبقة القدرة على صياغة الفرد والتحكم بمآله.

أما مفهوم الفئة البراغماتي، فلقد حضر في قراءة منصور الحازمي لـ(ثمن التضحية)، وأن كاتبها استعرض عددا من مشاكل فئة التجار[٦]؛ حيث وصفهم بالفئة الموازي لمفهوم الطبقة، لتشابههم في وسائل

---

[١] نورة سعيد القحطاني، صورة الرجل في الرواية النسائية السعودية ١٤١٠-١٤٢٤ ١٩٩٠-٢٠٠٣م، رسالة ماجستير، جامعة الملك عبد العزيز، ٢٠٠٦م، ص٩٢. ولقد فسر خالد الرفاعي المرجعية الاجتماعية للشخصية بأنها الطبقة أو الفئة أو الدائرة التي تعيش في مجتمع ما، وينقل ذلك عن الصادق قسومة من كتابه (طرائق تحليل القصة)؛ حيث جمع بين الطبقة والفئة في سياق واحد كما هو واضح. ينظر الرفاعي، مصدر سابق، ص٢٥٦. وهو ما قام به الشتوي –أيضا -حينما ربط الفئة بالرؤية. ينظر الشتوي، مصدر سابق، ص٢٦٣.

[٢] سلوى عبد العزيز الدمنهوري، اللعنة؛ (مكة المكرمة: مطابع الصفا، ١٩٩٤م).

[٣] المري، قراءة في رواية اللعنة، ضمن كتاب خطاب السرد-الرواية النسائية السعودية، ص ٢٧٠.

[٤] رجاء عالم، ستر؛ (بيروت/الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٥م).

[٥] ثناء محمد رضا الشخص، القارئ السلطة الآخر المسرود له في الرواية رواية ستر لرجاء عالم أنموذجا، ضمن أبحاث ملتقى الباحة الأدبي الرابع ٢٠١٠/٩/٢٦م؛ (الباحة/ بيروت: النادي الأدبي/ مؤسسة الانتشار العربي، ٢٠١١م)، ص ص ٣٧٨-٣٧٩.

[٦] الحازمي، فن القصة، ص٤٨.

الإنتاج ووعيهم بمصالحهم، إلا أن الحازمي لم يتجاوز ذلك؛ ليكون بهذا مفهوم الفئة مرادفا للطبقة حسب مفهومها البراغماتي المحصور في الوصف، الدال بذلك على أنها نتيجة مسبقة، عرضها الناقد ولم يعلل وجودها.

أما حسن الحازمي فيرى أن شخصية محيسن في رواية (غيوم الخريف) لإبراهيم الناصر كانت أنموذجا لفئة من فئات المجتمع، أصبحت ثرية فجأة، وهو يعني بذلك حالة أولئك الذين انتقلوا من الفقر إلى الغنى سريعا، وانعكاس ذلك سلبا على سلوكهم وأخلاقهم[١]، في إشارة للتحول الطبقي بسبب الثراء. وهو تحول يعكس تصورا لمفهوم الطبقة البراغماتي، يسمح للفرد بتغيير طبقته والانتقال إلى ما هو أرقى منها في ظل انفتاح الطبقات فيما بينها، أما التأثير في السلوك والأخلاق فلا علاقة له بالطبقة بل بفجائية التحول الاقتصادي الذي أصبحوا ضحايا له.

كما عبر عن الفئة بالمفهوم ذاته معجب الزهراني في عرضه لثلاثية تركي الحمد، وأنه كان متأثرا في سردها بنجيب محفوظ، وتحديدا في تحويل الشخصيات الروائية إلى نماذج، تمثل فئات اجتماعية وتيارات فكرية لدى الطبقات الوسطى الحديثة[٢]، والفئة هنا مقصود بها طبقة الشخصية التي وقف عندها معجب واصفا ومصنفا ولم يتعد ذلك إلى بحث أسباب تكونها أو أثرها في الرؤية والأحداث.

كما أتى مفهوم الفئة بمعنى الطبقة الواسع، الواضع من النسب معيارا مقدما على الاقتصادي في سياق تحليل حسن النعمي للتمييز العنصري بين فئات المجتمع[٣].

---

[١] الحازمي، البطل في الرواية السعودية، ص٥٤، ص٥٦.
[٢] الزهراني، جماليات الكتابة ودلالاتها الحوارية في رواية السير الذاتية، ص١١٣.
[٣] حسن محمد النعمي، خطاب العنصرية في الرواية السعودية مقاربة أولية، ضمن أبحاث الملتقى الرابع لملتقى الباحة الأدبي الرابع، ٢٠١٠/٩/٢٦م. (الباحة/ بيروت: النادي الأدبي/الانتشار العربي، ٢٠١١م)، ص٢٧٩.

ولقد استخدم أبو ملحة الفئة بالمعنى الواسع للطبقة في تحليله للمجتمع السعودي في الرواية، وأنه مجتمع مكون من فئات مختلفة في أنسابها[١]، فاستخدامه للفئة والاختلاف يوحيان بالتفاوت الذي يقدم النسب على غيره، ويجعله سببا للتمايز، وفي هذا عكس لأسباب التأثير، فالنسب هو من يستمد من المعيارين الاقتصادي والعسكري أساليب القوة كما يرى ماكس فيبر Weber.[٢]

ثانيا: مفهوم الشريحة

ومن المفاهيم الموازية لمفهوم الطبقة السببي مفهوم الشريحة، الذي استعملته عائشة الحكمي نقلا عن محمد المطوع في حديثها عن ضرورة ارتباط الرؤية بالشريحة الاجتماعية[٣]، وهي بذلك تعني رؤية العالم عند غولدمان Goldman إلا أنها تعوض الطبقة بالشريحة، وتربطها بالرؤية بوصفها سببا لها.

أما المفهوم البراغماتي للشريحة، فلقد استعمله الفوزان- منذ وقت مبكر -في تحليله لقصة محمد سعيد دفتردار (المجيدي الضائع والحاجة فلحة)[٤]، وأنها صورت إحدى شرائح المجتمع المدني في أواخر النصف الأول من القرن الرابع عشر[٥]، والتصوير يعني التوصيف القاصر على شريحة معينة دون تحديد علاقتها مع الشرائح الأخرى، وهذا ما يدخله في حد المفهوم البراغماتي، كما اعتمد عليه حسن الحازمي في رؤيته

---

[١] أبو ملحة، صورة المجتمع في الرواية السعودية، ص١٣٦.
[٢] لوو، مرجع سابق، ص١٥٨.
[٣] عائشة يحيى الحكمي، تعالق الرواية مع السيرة الذاتية الإبداع السردي السعودي أنموذجا؛ (القاهرة: الدار الثقافية للنشر، ٢٠٠٦م)، ص١٦٨.
[٤] محمد سعيد دفتردار، المجيدي الضائع والحجة فلحة؛ (مكة المكرمة: دار قريش، ١٣٨٩هـ).
[٥] إبراهيم بن فوزان الفوزان، الأدب الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد؛ (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨١م)، ج٢، ص٧٢١.

للروائيين السعوديين واختيارهم لأبطالهم الدالين على شرائح اجتماعية مختلفة بدأت تظهر على سطح المجتمع السعودي[١]، حيث جاء بالاختلاف بديلا للصراع ودالا على المفهوم البراغماتي.

كما استعمله علي بن زعلة في سياق تقديمه لتقنية الوصف في روايات الجفري، وربطه وصف سارة في رواية (أيام معها)[٢] بمحيط مجتمعها وشرائحه، وهو المجتمع المخملي الذي تتمرد عليه بوعيها[٣]، والوصف إحدى علامات المفهوم البراغماتي بما أنه يقف على النتائج لا الأسباب.

ولقد استخدم جمعان الغامدي مفهوم الشريحة لكنه بمعنى يتداخل فيه الجنس والعمر إضافة إلى مفهوم الطبقة البراغماتي، في دراسته لصورة السعودي عند الآخر الغربي، حيث صنف تلك الصور حسب تفاعلها وتداخلها الحضاري مع المجتمع السعودي، فيرى هناك تداخلا حضاريا معرفيا معقولا، وهذا بسبب التواصل مع شريحة كبيرة جدا من المجتمع السعودي ومثلها برواية جين غرانت Jean Grant (العباءة المحترقة)، أما النوع الثاني فاعتبره تداخلا حضاريا معرفيا قاصرا بما أن مؤلفيها تعاملوا مع شريحة مجتمعية محددة، مثّل عليها برواية (ثمانية أشهر في شارع غزة) لهيلاري مانتل Hilary Mantel، و(العثور على نوف) لزو فيرارز Zoe Ferraris، و(مدينة العباءات) للروائية نفسها، أما الأخيرة فسماها بالإطار الحضاري المتعدد أو المتحول وهو المعتمد على المعلومات عبر شبكة الانترنت؛ أي ليس عبر شرائح وتجارب حقيقية، وتمثل

---

[١] الحازمي، البطل في الرواية السعودية، ص٨٣.
[٢] عبد الله عبد الرحمن الجفري، أيام معها؛ (لندن/بيروت: دار الساقي، ٢٠٠١م).
[٣] علي بن زعلة، الخطاب السردي في روايات عبد الله الجفري؛ (جدة/بيروت: النادي الأدبي الثقافي/مؤسسة الانتشار العربي، ٢٠١٥م)، ص١٧٤.

هذه (داون السعودية) للروائية Home Pourasgari، و(شيخ صوفي) لمارك بيسكوبورن Mark Biskeborn[1].

ولقد كانت أنماط ذلك التفاعل مقصورة على توضيح الصورة المجتمعية السعودية المتفاونة لدى الآخر، دون التطرق إلى أسباب ذلك وتأثيراته أو اختلافه بين شريحة وشريحة أخرى، ما يجعل المفهوم واسعا ومتضمنا في الوقت ذاته للطبقة البراغماتية التي لم تكن إلا مثالا لتأكيد صور الاختلاف التي نقد بها الإطارين الثاني والثالث.

كما استخدم أبو ملحة مفهومي الشريحة والفئة في سياق واحد لكنه بالمعنى الواسع للطبقة، حينما أكد على أن المجتمع السعودي مكون من شرائح اجتماعية وفئات، والمعيار بينهم هو النسب والقبيلة ليس الغنى والفقر[2]، وفي هذا إعلان صريح ردده أبو ملحة كثيرا في اعتبار الهرم القبلي هرما طبقيا، مقدما النسب على المعايير المادية.

ولقد تداخل مفهوم الطبقة والفئة والشريحة في سياق واحد عند نورة المري في تصنيفها للشخصيات المثقفة عند الناصر، التي قسمتها إلى شخصيات من الطبقة الثرية ماعدا سلمان في رواية (غيوم الخريف) فلقد كان من الفئة البرجوازية، بينما جراح في رواية (عذراء المنفى) كان من الشريحة الكادحة[3]، إلا أن مضمونها فيما يبدو يحيل إلى المفهوم البراغماتي القائم على الوصف دون تحميله مدلولات أخرى.

---

[1] جمعان بن أحمد الغامدي، الآخر ناظرا إلى الأنا السعودية (مجتمعا ورواية وروائيا) ضمن ملتقى الباحة الأدبي الرابع، ص ص ٤٧٦-٤٧٨.
[2] أبو ملحة، صورة المجتمع في الرواية السعودية، ص٥٢٧.
[3] المري، ملامح البيئة السعودية في روايات إبراهيم الناصر، ص٢٧٣.

ثالثا: مفاهيم أخرى (المركز –المكانة –الوضع –المستوى -المنزلة)

ولقد كان مفهوم المركز الاجتماعي موازيا لمفهوم الطبقة لكنه محصور في المفهوم البراغماتي؛ حيث استعمله سلطان القحطاني في سياق تحليله لبطل (ثمن التضحية)، وانقسامه بين ابنة عمه والفتاة المتمتعة بالمال والمركز الاجتماعي[١]، فالمركز هنا كناية عن الطبقة المحددة بالعامل الاقتصادي الذي عبر عنه الناقد بالمال، إلا أنه أتى في سياق وصفي، ما جعل منه براغماتيا، كما ترى الحكمي في سياق تحليلها لرواية سعد الدوسري (الرياض نوفمبر ٩٠)[٢] وللأبعاد الاجتماعية لشخصية البطل، أن الإغراق في الوصف قلل من مظهر الشخصية ومركزها الاجتماعي[٣]، وهي تعني بذلك طبقته التي كانت مرجعا للحكم والوصف لا أكثر، وهذا ما يجعلها براغماتية أيضا.

وما قيل عن المركز يقال عن المكانة الاجتماعية التي كانت مرادفة للطبقة في معناها البراغماتي، فالفوزان وظفها في قراءته لـ(ثمن التضحية)، وأن كاتبها في الفصل الأول صور المكانة الاجتماعية الراقية التي تعيشها أسرة البطل[٤]، والراقية وصف طبقي، إلا أن التصوير وضعها في سياق الوصف غير المجاوز لغيره من أسباب وتفسيرات، الملائم للمفهوم البراغماتي.

كما استخدمته بالمعنى ذاته نورة المري في قراءتها لاسم زاهر في رواية (عذراء المنفى)، وأنه يحمل التطلع إلى مكانة عالية[٥]؛ إذ يحمل ذلك إشارة إلى الانتقال الطبقي وانفتاح الطبقات فيما بينها، وهما من مضامين المفهوم البراغماتي.

---

[١] القحطاني، الرواية في المملكة نشأتها وتطورها، ص١١٨.
[٢] سعد الدوسري، الرياض نوفمبر ٩٠؛ (بيروت/ الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠١١م).
[٣] الحكمي، مصدر سابق، ص٤٣١.
[٤] الفوزان، مصدر سابق، ج٣، ص١٠٩٨.
[٥] المري، ملامح البيئة السعودية في روايات إبراهيم الناصر، ص١٩٧.

ومن المفاهيم الموازية مفهوم الوضع الاجتماعي، المتضمن معنى المفهوم الواسع في قراءة المهوس لعلاقة مالك ولين في رواية (جاهلية)، وأنها "ابتعدت عن معياري اللون والوضع الاجتماعي"[١]، فالناقد هنا قدم اللون على الوضع الذي يحتمل معنى الطبقة لهرميته، إلا أن موقع الوضع معطوفا على اللون جعل منه تابعا له ومتأثرا به، وفي هذا دلالة على أن الوضع الاجتماعي قريب من الطبقة في مفهومها الواسع المتداخل مع العنصرية.

أما مفهوم المستوى الاجتماعي، فلقد تضمن بصورة غير مباشرة معنى المفهوم السببي للطبقة، فالحكمي وجدت الشعر الوسيلة الملائمة للتعبير لما كان المجتمع السعودي متقارب المستويات[٢]، وهو حكم محتمل للطرف الآخر الغائب من المعادلة، التي تكون فيها الرواية وسيلة المجتمع عندما أصبح متباعدا، وهي تعبر عن الطبقة بالمستوى، فالتباعد والتقارب مقياس قد يتضمن أبعادا كثيرة، منها: البعد المادي والاقتصادي وإن لم توضح الحكمي ذلك، إلا أن ربط الجنس الأدبي بالمستوى/الطبقة دال على سببية الطبقة وأثرها في صياغة الخطاب الأدبي المناسب للبنية الاجتماعية.

أما المفهوم البراغماتي للمستوى فلقد حضر في استنتاج نورة المري لتشابه بيوت القرية في روايات الناصر، وأنه تشابه في مستوى المعيشة لسكانها الذين يمثلون طبقة واحدة فقيرة[٣]، ولقد كانت الناقدة هنا صريحة في تفسير المستوى بالطبقة، إضافة إلى أنها حصرته في طبقة واحدة متشابهة في مسكنها، فكانت بذلك وصفا واستنتاجا؛ أي براغماتية.

كما استعمل أبو ملحة المستوى بمفهوم الطبقة البراغماتي لما ربط المكان بالمستوى الاجتماعي، ومثّل لذلك ببيت قاسم في رواية (فلتشرق من جديد)[٤] لطاهر عوض سلام، وارتفاعه عن البيوت الأخرى بما أنه

---

[١] المهوس، صورة الرجل في الرواية النسوية السعودية، ص٩٧.
[٢] الحكمي، مصدر سابق، ص١٨٤.
[٣] المري، ملامح البيئة السعودية في روايات إبراهيم الناصر، ص١٠٧.
[٤] طاهر عوض سلام، فلتشرق من جديد؛ (أبها: النادي الأدبي، ١٩٨٢م).

العمدة[1]، وهو وصف للمستوى الذي يشترك فيه الوضع الاقتصادي والمكانة الاجتماعية، إلا أن (أبو ملحة) لم يحمله أبعادا أخرى، فكان الوصف براغماتيا بذلك.

ومن المفاهيم الموازية مفهوم المنزلة الذي كثيرا ما كان يؤخذ بمعيار العمر والمكانة، إلا أن النعمي وفي تحليله لموقف حسن العاصي، وانتحاله شخصية الرائد، واقترابه من منيرة الساهي في رواية (القارورة)، رأى فيه تطلعا إلى المنزلة العليا إضافة إلى عنصريته[2]، فالمنزلة هنا محكومة بالمعيارين الاقتصادي والنسبي، فرتبة أخوها تمثل جزءا من البنية المادية لمفهوم المنزلة التي يدل التطلع إلى انفتاحها، وهذا ما يجعلها موازية للطبقة في مفهومها البراغماتي التي قرنها النعمي بالعنصرية اقترانا يوحي بتأثير الأولى في الثانية، وفي هذا تصحيح لمعادلة العلاقة بين المفهومين التي عكسها بعض علماء الاجتماع والنقاد السعوديون، وجعلوا من العنصرية سببا للطبقة لا نتيجة لها.

ويلاحظ مما سبق أن النقاد السعوديين قد عبروا عن مفاهيم الطبقة الاجتماعية بمفاهيم موازية، متداخلة إلى حد كبير مع مضامينها المادية والاقتصادية، كان فيها مفهوما الفئة والشريحة مستوعبين لأبعادها السببية والبراغماتية والواسعة. أما المفاهيم الأخرى فكانت أكثر تمثيلا للمفهوم البراغماتي، خصوصا مفهومي المركز والمكانة، بسبب غلبة الجانب الوصفي على الخطاب النقدي السعودي.

كما يدل تداخل بعض تلك المفاهيم مع المفهوم الواسع للطبقة على وضوح بنية المجتمع السعودي، وتشابهها مع التصورات الاجتماعية على الرغم من عدم استعانة النقاد السعوديين بها.

---

[1] أبو ملحة، صورة المجتمع في الرواية السعودية، ص٤٢٠.

[2] حسن النعمي، بعض التأويل مقاربات في خطابات السرد؛ (الرياض/بيروت: النادي الأدبي/ المركز الثقافي العربي، ٢٠١٣م)، ص١٠٧.

تبقى -رغم ذلك -المفاهيم الموازية مشابهة للطبقة في قيامها على التصور المنعكس على استنتاجات النقاد وتحليلاتهم، فلم يكن هناك تنظير أو إشارة صريحة للمفهوم ومحاولة استجلاء مضامينه أو الإضافة إليها، كما أن هذا التصور لا يعكس بالضرورة موقفا أيديولوجيا معينا بعكس ما يعبر عن آلية للتحليل والنقد.

استنتاجات

بنا على ما سبق يمكن استنتاج الآتي:

-تأكيد الدراسات الاجتماعية السعودية التنظيرية والتطبيقية على وجود تفاوت طبقي، معتمد على معايير الدخل والوظيفة والمكانة والنسب؛ حيث دل المعيار الأخير على تداخل الطبقة مع العنصرية، إلا أنه غاب عنها الدراسات التاريخية الشارحة لتكون الطبقات، والاستشرافية لمستقبلها.

-اتفاق النقاد السعوديين مع الاجتماعيين على معايير الطبقة السابقة، على الرغم من عدم وجود تعاون بينهما، ليدل ذلك على وضوح بنية المجتمع السعودي في مرحلتي ما قبل النفط وبعده.

-وضوح مفهوم الطبقة عند النقاد السعوديين بناء على التصور والتجربة الاجتماعية، والتأثر ببعض المفاهيم النقدية الغربية التي لم يحل بعضهم إلى مصادرها، واختلافه بناء على أحكامهم وتحليلاتهم بين التصورات الثلاثة: السببي والبراغماتي والواسع.

-تعبير النقاد السعوديين عن الطبقة بمفاهيم موازية جمعت بين التصورات الثلاثة، كان مفهوم الفئة مستوعبا فيها للتصورات الثلاثة، كما كان في استخدام بعضها ابتعاد عن الظلال الماركسية لمفهوم الطبقة.

-ميل التصور السببي عند النقاد السعوديين إلى التفسير والتأويل.

-غلبة التصور البراغماتي خصوصا في المفاهيم الموازية للطبقة، بسبب اتجاه كثير من النقاد إلى الوصف والتصنيف.

وبعد هذا التحديد لمفهوم الطبقة ومرادفاته عند النقاد السعوديين، ستتحول الوجهة إلى علاقته وفق التصورات السابقة بالممارسة النقدية في جانبيها النظري والتطبيقي، وهذا ما ستحاول الدراسة أن تستقصيه في الفصلين القادمين.

الفصل الرابع

النقد السعودي الروائي والطبقة الاجتماعية: الجوانب النظرية

الفصل الرابع: النقد السعودي الروائي والطبقة الاجتماعية: الجوانب النظرية

سيخصص هذا الفصل لاستنتاج الجوانب النظرية المتأثرة بعلاقة التنظير الروائي بالطبقة الاجتماعية في تحليلات النقاد السعوديين ومناقشاتهم لعدد من القضايا المتعلقة بماهية الرواية وأنواعها ووظائفها، ومحاولة النظر بعد ذلك في مدى تأثرهم بالنظرية الغربية والنقد العربي، ومدى تأثيرهم فيها سواء أكان بنقدها أم بإضافة أبعاد أخرى إليها.

وسيستفيد الباحث مما أنجز في الفصلين الأول والثاني لتعيين المادة النقدية المنظورة، التي ستكون محددة بالمعايير الآتية: معيار عام معني بتأريخ الرواية السعودية والتعريف بها وبمراحلها، أو بنوع منها، مثل: الرواية النسوية أو البوليسية أو رواية السيرة الذاتية أو الرواية السياسية، أو ما هو متصل بدراسة كاتب من كتابها دراسة شاملة، ومعيار اجتماعي فني يشمل النقد الاجتماعي للرواية، والواقعية بأنواعها التسجيلية والنقدية والسحرية، ومعيار نقدي يستوعب الدراسات المهتمة بمناهج النقاد وأساليبهم أو ما يسمى بـ(نقد النقد)،

ومعيار خاص بعنصر الشخصية؛ بناؤها ودلالتها، كون هذا العنصر من أكثر العناصر اقترانا بالطبقة الاجتماعية التي تمثل له بعدا اجتماعيا ومركبا نفسيا ودافعا فكريا وسلوكيا، ويدخل تحت هذا المعيار الدراسات المخصصة للبطل في الروايات السعودية أو في مجموع أعمال روائي واحد، إضافة إلى الدراسات التطبيقية المحتوية على مقدمات نظرية للرواية.

مفهوم الرواية ونشأتها وعلاقتها بالطبقة الاجتماعية

أولا: المتابعة في التعريف وتحول الطبقة إلى وسيط قيمي

اختلف النقاد السعوديون في طريقة تعريفهم للرواية ونشوئها وتطورها بحسب علاقتها بالطبقة الاجتماعية، فهناك من تابع المنظرين الغربيين والنقاد العرب في ذلك صراحة، ومنهم: عائشة الحكمي التي اعتمدت على تعريف هيجل Hegel للرواية الغربية المرتبط بالطبقة البرجوازية دون توضيح لسياقه التاريخي الذي أكدت أن عرضها سيكون منفصلا عنه[١]، وخالد الرفاعي الذي نقل في عرضه للرواية الاجتماعية ارتباطها بالطبقة البرجوازية، نقلا من الناقد (فيصل دراج) دون إعادة لأصله أو إعادة النظر في محتواه[٢]، فكان ربطهما متابعة صريحة وغير فاعلة بهدف التعريف بالرواية الغربية في مرحلة نشوئها.

أما معجب الزهراني الذي عرض النظريات الغربية للرواية ابتداء بعلاقتها بالبرجوازية بعد أن حلت محل الإقطاع واتصالها بقيمة الفرد وصورة المدينة[٣]، فلقد أراد بذلك ربط الرواية بالقيم البرجوازية الداعية إلى حرية الفرد واستقلال البلدان[٤]، وشابهه في التحول من الطبقة إلى القيمة صالح زياد لما نقل عن وايت

---

[١] الحكمي، مصدر سابق، ص٤٩، ص ٥١. كما أكدت أن الرواية من حيث المضمون جاءت مع الصراعات الأيديولوجية بين البرجوازية الصاعدة والإقطاع، وهي تنقل ذلك عن لوكاتش Lukacs. ينظر المصدر السابق، ص ١٤٩. كما تؤكد في مقام آخر على أن الباحثين أجمعوا على أن الطبقة البرجوازية كانت الدافع لظهور الرواية. المصدر السابق، ص ١٨٥.

[٢] الرفاعي، مصدر سابق، ص١١٦.

[٣] الزهراني، الرواية المحلية وإشكالية الخطاب الحواري، ص ٤٠.

[٤] ينظر في ارتباط البرجوازية بالفردية، تودوروف، مرجع سابق، ص١٢٠. وينظر في ارتباطها بالمدينة، وليامز، مرجع سابق، ص٥٧. ولقد أشار وايت Whyte إلى ذلك أيضا. ينظر وايت، مرجع سابق، ص٦٥.

Whyte ربط الرواية بأذواق قراء الطبقة الوسطى واهتماماتهم التي كانت قيم الفردية أعمقها[١]، ليؤكد مسألة ارتباط الرواية بقيمة الفرد مع اختلافه مع المصدر الطبقي لها؛ حيث حوله من البرجوازية إلى الوسطى.

ولقد جاراهما محمد العباس لما وصل بين الرواية والمدينة والفردانية، وردد عبارة لوكاتش Lukacs بأن الرواية "صوت برجوازي"[٢]، حيث فهم البرجوازية على أنها وسيط اجتماعي إيجابي لا بنية تشكيلية، تمنح الفرد مجموعة من القيم، منها حريته الملائمة لشكل الرواية، وفي هذا تعارض مع سياق المقولة التي حاول لوكاتش Lukacs بها أن ينقد البرجوازية من حيث قيمها لا أن يشيد بها[٣].

أما سامي الجمعان فلقد استعان- أيضا- بالقيمة الطبقية في عرض المرحلة الوسطى من مراحل الرواية النسائية السعودية، المتطورة مضمونا وشكلا؛ حيث ربط ذلك بعدة سمات، كان منها سمة القلق الذي يرى أنه سمة خاصة بالطبقة البرجوازية المنفتحة على السؤال وإعادة صياغة المفاهيم وعدم الاستقرار[٤]، وهي سمات تؤكد ما حاول النقاد السابقون الإشارة إليه من القيم الفردية المرتبطة بالبرجوازية أو الوسطى المناسبة للرواية الغربية في تدرجها وتطورها، إلا أن ربطها بقلق الروائيات السعوديات ليس ملائما، فقلقهن قد يكون نفسيا، ناتجا عن التحول السريع في الاقتصاد ونمط الحياة، وهذا ما أشار إليه الجمعان إشارة تجعل من السمة الفائتة أثرا لمقاومة تلك القيم وليس انفتاحا عليها.

أما يونس البدر فلقد ربط الرواية الفنية في القرن السابع عشر في سياق حديثه عن الرواية الغربية بالطبقة البرجوازية[٥]؛ حيث فهمها على أنها الطبقة الوسطى[٦]، وهو متابع في فهمه للنقاد العرب الذين أحلوا

---

[١] زياد، الرواية وسؤال الحضور الأقوى تراتب الأنواع الأدبية وتداخلها، ص٤٧.
[٢] العباس، نهاية التاريخ الشفوي، ص١٦.
[٣] ينظر في تأكيد نقد لوكاتش Lukacs للبرجوازية بوصفها بنية اجتماعية تشكيلية. لوكاتش، نظرية الرواية، ص٣٧، ص٤٢.
[٤] الجمعان، مصدر سابق، ص ص٣٢٣-٣٢٤
[٥] البدر، مصدر سابق، ص٣٠.
[٦] المصدر السابق، ص٨٤.

الوسطى محل البرجوازية ابتعادا عن الظلال الماركسية المحيطة بها، الجالبة على حد وصف وليامز Williams النبذ والعداء[١].

وإذا كان النقاد السابقون صريحين في نقلهم، متأرجحين بين القيمة والطبقة، فإن سلطان القحطاني رد إلى طبقة المثقفين وسائل نشوء الرواية[٢]، في متابعة لوايت Whyte الذي ربط الرواية بالطبقة الوسطى مفسرا إياها بالمثقفين[٣].

وشابهته بدرية الفريدي في الربط بغرض تفسير النشوء، فهي ترى في نسقية متوالية أن "الرواية السعودية صدى للرواية العربية، والعربية ابنة الرواية الغربية التي كانت ابنة البرجوازية الحديثة وإن تسربت لها بعض النصوص العربية كألف ليلة وليلة ورسالة الغفران"[٤]، وهي تضع بالنسقية السابقة قياسا مضمرا[٥] Enthymeme تكون مقدمته: محاكاة الرواية السعودية للعربية المحاكية للغربية، ونتيجته: ربط الرواية السعودية بالطبقة البرجوازية نتيجة المحاكاة المزدوجة بطريقة منطقية غير تاريخية أو اجتماعية، لتصل من قياسها إلى ارتباط الرواية الغربية بالطبقة لا القيمة، وتلمح إلى إمكان ذلك في الروايتين العربية والسعودية دون تفصيل أو توضيح.

ومما يلاحظ في المحاولات النقدية السابقة لربط الرواية بالطبقة البرجوازية، استبدال الوسطى بها، وتوظيفها في مسألة التعريف بالرواية الغربية والتأريخ لها، وربطها بمجموعة من القيم الجديدة، دون معالجة ذلك فيما يتعلق بالرواية السعودية، باستثناء ما حاولت الفريدي الإشارة إليه في قياسها، إلا أنها تظل محاولة

---

[١] وليامز، مرجع سابق، ص٥٥.
[٢] القحطاني، الرواية في المملكة نشأتها وتطورها، ص٦٤.
[٣] ينظر وايت، مرجع سابق، ص٣٩،
[٤] بدرية الفريدي، بناء الزمن وتشكيل الخطاب في الرواية السعودية، ٢٠٠١-٢٠١١م، (الرياض: دار جامعة الملك سعود للنشر، ٢٠١٦م)، ص١٥٧.
[٥] القياس المضمر: هو حجة ذات مقدمة غير مذكورة أو منصوص عليها. ينظر إيرل، مرجع سابق، ص٣٥٦. ولقد مارست الفريدي ذلك لما عدت الرواية السعودية تابعة للعربية دون ربط صريح بالطبقة، إلا أن هذا الربط يمكن استنتاجه بقياسها للرواية العربية على الغربية.

ضمنية ومفتقرة إلى التوضيح، جاوزتها بدرية السعيد لما ربطت بصورة صريحة ظهور الرواية في المملكة بنمو قوة الطبقة الوسطى خصوصا بين ١٩٧٠ و١٩٨٥م؛ وهي الفترة التي شهدت ظهور طبقة المثقفين ونموها[١]، وهو ربط يفسر نشوء الرواية السعودية بعلاقتها مع الطبقة الوسطى المثقفة، تتابع فيه وايت Whyte والقحطاني، لكنه دون تحديد واضح لسماتهم وعلاقاتهم بالسلطة أو المجتمع أو الرواية، وتأثيراتهم في الأخيرة بوصفها شكلا وبنية، ودون شرح للاختلاف الذي حصل بين الروايتين الغربية والسعودية في علاقتهما بالطبقة، التي كانت بالنسبة للأولى برجوازية والثانية وسطى مثقفة، وقد يكون ذلك لغلبة العرض التاريخي الواصف على حساب العرض التحليلي النقدي في دراستها.

ثانيا: الرواية الفنية والطبقتان الوسطى والدنيا

حاول منصور الحازمي بعد ذلك- وهو من أوائل النقاد السعوديين المؤرخين للرواية وقضاياها- تجاوز الربط المتعلق بالنشوء، بتوصيفه للرواية الفنية؛ بأنها المتماسكة في بنائها، والمتوفرة على الصراع، واهتمامها بتصوير الشخصية، واكتفاؤها بمعالجة قطاع معين من المجتمع، وهي أوصاف طبقها على روايتي (ثمن التضحية) و(ثقب في رداء الليل)[٢]، مفسرا القطاع بالطبقة المتوسطة،[٣] التي وصفها بالمحافظة[٤]؛ لتستوعب شرطي التماسك والصراع، فالمحافظة كناية عن التماسك يتحقق بها الشرط الأول، أما شرط الصراع فإنه يتحقق بمقاومة تلك الطبقة للمتغيرات وما ينتج عنها من مفارقة وتضحية، ليقدم الحازمي بذلك ربطا متكاملا

---

[١] بدرية إبراهيم السعيد، تطور فن الرواية العربية السعودية (١٣٤٩-١٤١٠هـ - ١٩٣٠-١٩٩٠م) دراسة موضوعية فنية، ط١؛ (القصيم: نادي القصيم الأدبي في بريدة، ٢٠١٧م)، ص١٧٧.

[٢] منصور الحازمي، الرواية في الأدب السعودي الحديث، مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض، مج٣، ١٩٧٤م، ص٢٢.

[٣] وهذا ما يمكن الاستدلال عليه من تطبيقه، فهو يرى أن رواية (ثمن التضحية) صورت البيئة المحلية في مرحلة انتقالها بظهور التعليم والطبقة المتوسطة، وأن الناصر ودمنهوري اختارا الطبقة المتوسطة لأنهما طبقتان شديدتا المحافظة على العادات والتقاليد. ينظر المصدر السابق، ص ص٢٣-٢٤.

[٤] ولقد وصفها وايت White بذلك لانشغالهم بتجارتهم عن الرذائل. ينظر وايت، مرجع سابق، ص١٦٧.

بين الرواية وتطورها المعتمد على الطبقة الوسطى، وفق شروط يحاول أن يوفق بين فنيتها واجتماعيتها بناء على نظرية الانعكاس[١].

أما غفران قسام فلقد ربطت الرواية السعودية بالطبقة الوسطى دون تحديد أو تخصيص لها، ربطا مشابها للحازمي في علاقته بالتطور إلا أنه مختص بالأسلوب، فهي ترى في الكتابة المحلية للمكان قيمة مميزة حققها السرد النسائي في السعودية في مواكبته للرواية، وتحولها من فن برجوازي مهتم بالطبقة الاقتصادية العالية إلى الطبقة المتوسطة[٢]، ليكون ربطا تفسيريا لتطور الرواية الفنية السعودية، غير أنه جاء في سياق عام لم تدعمه بالأمثلة، والمقدمات التي تجعل منه نتيجة نظرية، فكان بذلك ربطا آليا.

أما لمياء باعشن فلقد حاولت أن تربط بين الرواية الفنية والطبقتين الوسطى والدنيا بطريقة خُلفية تنطلق من النفي للإثبات، فهي تنتقد غياب النضج الفني للرواية السعودية، وتربطه بغياب الطبقات في مجتمعها، لترى أنها "ما زالت تبحث عن موقع لأقدامها على أرض الواقعية الصلبة التي بدأت من عندها الرواية الإنجليزية"[٣]، وهي تثبت بهذا النفي والربط علاقة تطور الرواية بالطبقتين الوسطى والفقيرة اللتين صرحت بهما في سياق متقدم على نفيها[٤]، إلا أنها لم تفصح- مثل إفصاح الحازمي- عن الشروط أو القيم الفنية التي يمكن للرواية أن تستمدها من الطبقتين السابقتين، لتحقيق النضج الفني.

أما ما يتعلق بارتباط الرواية بالطبقة الدنيا، فلقد دلت عليه عائشة الحكمي عن طريق تعريفها الشامل للرواية، وأنها كانت "الحل المثالي لمعالجة الانشطار النفسي الناجم عن آثار القمع والتمييز داخل المجتمع

---

[١] وهي نظرية تقرر أن المجتمع يسبق الوعي ليكون الأدب استجابة له، إضافة إلى تأثير نمط الإنتاج أو ما يسمى بالبنية التحتية في رؤية الأديب. ينظر شكري، في نظرية الأدب، ص ٨٤.

[٢] قسام، مصدر سابق، ص١٠١.

[٣] لمياء باعشن، الرسم على النسيج السردي، ضمن مؤتمر الأدباء السعوديين الرابع/ محور الأدب السعودي والفنون، ج٣؛ (الرياض: دار المفردات للنشر والتوزيع، ٢٠١٣م)، ص٢٧٥.

[٤] المصدر السابق، ص٢٦٤.

الطبقي بعد الثورة الصناعية"[1]؛ حيث تضمن تعريفها إشارة صريحة إلى الطبقة المتضررة من ذلك التمييز، ومحاولة مقاومته عبر الكتابة السردية، وهذا ما يذكر بالتنظيرات الماركسية خصوصا وربطها للرواية بالطبقة الكادحة، إلا أن ربط الناقدة كان أقل ضجيجا؛ فهي تراه حلا نفسيا على عكس أولئك الذين يرون فيه حلا سياسيا.

ثالثا: نقد الارتباط

أما نقد ذلك الارتباط، فلقد كان متنوعا من حيث مستوى عمقه وتفاعله، فلقد اعترض سلطان القحطاني على ارتباط الرواية بطبقة محددة، وأكد على أنها ليست انتقائية أو متحيزة لفئة ضد أخرى[2]، إلا أن نقده كان عاما وسطحيا لم يحاور به النظريات الغربية، أو ينتقي منها ما يعينه على ذلك، كما قام بذلك معجب الزهراني لما انتقد الارتباط بالاعتماد على باختين Bakhtin في جعل الرواية خطابا ممثلا للأصوات والطبقات كلها، وأكثر تحررا ومقاومة للتنمذج والتنميط والانغلاق[3]، إلا أن نقده كان تابعا ومقتضبا، لم يتوسع فيه إلى استعراض قضايا أخرى لازمت ذلك.

كما كان هناك نقد تفاعلي، يمكن التمثيل عليه بصالح زياد الذي أعاد في سياق حديثه عن نشوء الرواية ومحاولة تفسير ذلك بالتطور الاجتماعي، إنتاج مقولة لوكاتش Lukacs[4]، إلا أن إعادته كانت في سياق النقد؛ حيث يرى أن الرواية انتشرت وفاقت غيرها في "مجتمعات مازالت بنيتها قائمة على الجماعة والعائلة والعشيرة والقبيلة كما هو حال المجتمعات العربية"[5]، كما انتقد تلك النظرية الانعكاسية وغيرها الرابطة بين

---

[1] الحكمي، مصدر سابق، ص٥٨.
[2] سلطان سعد القحطاني، الرواية وتغيرات المجتمع في المملكة، علامات، مج١٨، ج٦٨/٦٩، مايو ٢٠٠٩، ص ٨٤٠.
[3] الزهراني، الرواية المحلية وإشكالات الخطاب الحواري، ص٤٣.
[4] وهي مقولة "إن الرواية أصبحت شكلا تعبيريا للمجتمع البرجوازي المعبر عن زمن التضارب والتنازع والصراع الطبقي الذي كانت الرواية خير من يمثله". ينظر زياد، الرواية وسؤال الحضور الأقوى تراتب الأنواع الأدبية وتداخلها، ص٤٥.
[5] زياد، الرواية وسؤال الحضور الأقوى تراتب الأنواع الأدبية وتداخلها، ص٤٨.

بنية المجتمع والشكل الأدبي خصوصا فيما أنتجته من حالات اغتراب، ويرى أنها حالة تلازم الأديب في كل المجتمعات، مستشهدا لذلك بالصعاليك[1]، ومقدما حجتين للرفض، حجة يعلل بها وجود الرواية في مجتمعات غير طبقية، وهي صالحة لنقد الارتباط في المجتمع العربي مثلا إلا أنها غير كافية لنقده في المجتمع الغربي الذي نشأت فيه الرواية وفق تلك العلاقة، أما الحجة الثانية فهي قائمة على تصور مفهوم الاغتراب الملازم للعلاقة السابقة، وهو تصور مختلف عن الاغتراب الماركسي الذي كان نتيجة لأحكام السوق وطرق الإنتاج الجديدة[2]، فغربة الصعاليك لم تأت في ذلك السياق، بل كانت أشبه بالتمرد على وضع متوارث لم يكن متحولا، كما أنهم لم يكوّنوا طبقة اجتماعية بحسب المفهوم الاسمي لها، ولم يكن تأثيرهم في الشكل الشعري وتاريخه إلا محدودا، يضاف إلى ما سبق أن نقده يندرج في سياق حديثه عن الرواية ونشوئها وعلاقة ذلك بالسياق الاجتماعي، واستثمار تلك المقولات في تفسير صعود الرواية وتربعها على قمة الأنواع الأدبية، استثمارا يجعل نقده للنظرية متصلا بالتعليل للظاهرة السابقة، ولم يكن بهدف مراجعة المقولة تاريخيا واجتماعيا، وفي هذا توظيف للنظرية لا إعادة قراءة لها.

ومن أمثلة النقد التفاعلي أيضا: إعادة الدغيري لذلك الربط إلى نظرية الانعكاس التي تجعل من الأدب نظيرا للبنى الاجتماعية والاقتصادية وتابعا لها، وخصوصا عند الماركسيين الذين جعلوه على حد قوله: "أداة عكس للوضع المتردي من أجل التغيير"، حيث وجد بعد الاستعانة بالطاهر لبيب في كتابه (سوسيولوجيا الغزل العربي الشعر العذري نموذجا) أن فيها خللين: الأول يكمن في انحصار النقد في المعلومات التاريخية، والثاني في تفسير الأسباب وإرجاعها إلى العامل الاقتصادي وحده، وفي هذا منافاة للعلمية التي تميل إلى تفسير

[1] المصدر السابق، ص٤٨.
[2] إيرل، مرجع سابق، ص٣٤٠.

الظاهرة إلى أكثر من سبب، كما يضيف إليهما قدرة الفرد على التداخل والتفاعل مع مجتمعه، فهو يرى أن علاقة الرواية بالمجتمع علاقة ذات جدل صريح[١].

ويلحظ في نقد الدغيري متابعته للطاهر لبيب، فهو يستعين به موافقة لا حوارا، كما أن العامل الاقتصادي عند ماركس Marx ليس العنصر الوحيد ولكنه الحاسم[٢]، علاوة على أن حصر نظرية الانعكاس في الاستجابة الآلية للمتغيرات الاقتصادية، قد لا يكون دقيقا، فهناك من النقاد الماركسيين من عد العلاقة بين الأديب وتلك البنى علاقة تبادلية[٣]، وبهذا يكون حكمه أقل تفاعلا من حكم الغامدي، بسبب قيامه على أفكار عامة وشائعة، كانت سببا في غياب القضايا المتصلة بذلك الارتباط مثل الاغتراب، وغياب التمثيل لما يريد التأكيد عليه.

رابعا: الرواية وربطها بالطبقات والإنسانية

كان ذلك النقد ممهدا لتطوير ربط الرواية بالطبقات أولا ثم علاقتها بالإنسان بعد ذلك، ففي التأكيد على علاقتها بالجانب الأول يشير صالح زياد اعتمادا على باختين Bakhtin إلى أن في الرواية قدرة الانفتاح على أقطاب متعددة منها أعلى المجتمع وأسفله[٤]، وهي إشارة إلى الطبقتين العليا والدنيا، متضمنة الوسطى بصورة منطقية دل عليها الوصف الذي كان شاملا في رؤيته، إلا أنها تقف عند حدود التأثر وإعادة الإنتاج.

---

[١] إبراهيم علي الدغيري، علاقة الرواية بحركة المجتمع مدخل نظري ضمن ملتقى الباحة الثقافي الثاني ١٤٢٨هـ؛ (الباحة: النادي الأدبي، ٢٠٠٨م)، ص٢٧، ص ٣٣، ص ٣٤. كما نص في موضع سابق على أن الرواية ليست انعكاسا بل "تعبير عن رؤية كاتبها وموقفه من الواقع". ينظر الدغيري، مصدر سابق، ص٢٧.

[٢] جورج بليخانوف، الفن والتصور المادي للتاريخ، ترجمة: جورج طرابيشي؛ (بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٧م)، ص٢٤.

[٣] يرى س.ي بيتروف أن الواقعية تصوير للجوهر الإنساني، الذي ليس "سوى محصلة مجموعة علاقات اجتماعية". ينظر بيتروف، مرجع سابق، ص١٧٥، ص١٨٠. وتلك المحصلة تكون نتيجة تفاعل لا نتيجة استجابة آلية للواقع.

[٤] زياد، الرواية وسؤال الحضور الأقوى تراتب الأنواع الأدبية وتداخلها، ص٥٢.

وهو ما قام به -قبل ذلك -معجب الزهراني في تحليله للرواية السعودية، وأن نشأتها في الحجاز كان متوقعا؛ لأنها بيئة مشابهة للبيئة العربية في الشام ومصر لما تحتويه من علاقات حوارية متسامحة مع المختلف ومتعايش فيها عدد من الانتماءات، ذكر منها الانتماءات الطبقية[١]، إلا أن ربط الزهراني لم يكن في سياق النقد أو إشارة إلى تطور الرواية في علاقتها بالطبقة، بل كان تأسيسا لها، وتوظيفا للتأكيد على القيم الحجازية البرجوازية، واستثمارا للفائض الدلالي لعلاقة الرواية بالطبقات، أكده حسن النعمي في تعريضه بمفهوم الرواية المنفتح على كل الطبقات، والمتبلور في سياق العلاقة الجدلية بين الرواية والمجتمع؛ إذ يرى أن الرواية هي "العين الناقدة والنافذة إلى طبقات المجتمع وليست مجرد نص للتوثيق والتأريخ"[٢]؛ حيث جاء الربط في سياق التمثيل المفرق بين الطرفين السابقين وعلاقتهما بالواقع؛ العلاقة التي يؤكد النعمي على رمزيتها في الخطاب الروائي[٣]، لا تطورها.

ولقد أكد الهاجري على ارتباط الرواية بالطبقات الاجتماعية، لما وجد أن لها قوة في وصف التحولات الكبيرة وتعميمها، واشتمالها لكافة طبقات المجتمع السعودي[٤]، وهو حكم عام جاء في خاتمة دراسته، إلا أنه لم يبنه على مقدمات سابقة، ما جعل منه متابعا للتنظير الغربي.

كما ترى غفران قسام أن فن الرواية ناشئ عن المدينة التي تتعايش طبقاتها الاجتماعية مع التغيرات السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية وغيرها[٥]، وهي رؤية تذكر بمحاولة معجب الزهراني في تعليل نشوء الرواية السعودية في الحجاز بوصفه مدينة، وقد تكون متأثرة بها، كما أنها تستدعي صورة المدينة التي

---

[١] الزهراني، الرواية المحلية وإشكالية الخطاب الحواري، ص٤١، ص ٤٣، ص ٦٦. كما ينظر في نقده للرواية بواسطة باختين Bakhtin الزهراني، آثار نظرية الرواية الغربية في النقد الروائي العربي، ص٦٣.

[٢] النعمي، خطاب العنصرية في الرواية السعودية مقاربة أولية، ص٢٧٩.

[٣] فهو يرى أن السرد عموما "إعادة تمثيل رمزي للواقع وليس انعكاسا له". ينظر حسن النعمي، رجع البصر، قراءات في الرواية السعودية، ط١؛ (جدة: النادي الأدبي الثقافي، ٢٠٠٤م)، ص٣٦.

[٤] الهاجري، حوار النصوص، ص١١٦. ولقد أكد ذلك في مقام آخر، ينظر سحمي الهاجري، التعبير عن تنوع الهويات الصغرى نماذج من الرواية السعودية، الراوي، عدد٢٧، يونيه ٢٠١٤م، ص٤٣.

[٥] قسام، مصدر سابق، ص٩٨.

وصفها النعمي بالفضاء المتعدد من طبقات مختلفة[١]، ليدل التذكر والاستدعاء على أن الربط لم يكن إلا تأكيدا لصورة المدينة الكوزموباليتية المحتوية على قيم التسامح والحرية والاختلاف الملائمة للرواية شكلا ومضمونا، وبأن ربط الرواية بالطبقات كان عارضا وبالمصادفة، ممكنا في تأويله غير كائن في سياقه.

أما ما يتعلق بارتباط الرواية بالجانب الإنساني، فالغذامي دل عليه بربطها أولا بالرجل الأبيض ثم سرقة المرأة لها وإرجاعها إلى أصلها، الذي يرى أنه "حكي متمم للكائن الفطري كائن جماعي وإنساني وأنثوي[٢].."، وهو أصل لا يقدم للاستدلال عليه إلا سردا مشوقا له دون أدلة موضوعية ملموسة. وما يهم هنا هو أن الناقد أشار إلى الجانب الإنساني في علاقته مع الحكي بوصفه أصلا وابتداء وليس خاصا بالرواية وانتهاء لعلاقتها بالطبقة، فالناقد لا ينظر إلى الرواية بوصفها شكلا بل إلى مادتها الأساسية/الحكاية دون تمييز بينهما، ليستنتج علاقتها بالجانب الإنساني في التأصيل لها، وهذا ما يخالف به التنظيرات الغربية التي جعلت من هذا الجانب ملمحا تطوريا في علاقة الرواية بالمجتمع.

ذلك الجانب هو ما استعان به صالح زياد في سياق نقده للوكاتش Lukacs؛ ليؤكد أن حضور الرواية الحديثة مرتبط بتحررها الاجتماعي والفردي؛ أي بالإنسانية عموما، كما يرى أن عالمية الرواية راجع إلى انفتاحها على الجميع[٣]، وهو يؤكد على ذلك لتبرير أسبقية الرواية وتقدمها على غيرها من الخطابات الأدبية، وليس في تأكيد الجانب الإنساني بوصفه ملمحا تطوريا للعلاقة بين التنظير والمفهوم.

ولقد ربط معجب العدواني بين الرواية والجانب الإنساني بصورة غير مباشرة في سياق وضعه معايير النضج الفني للرواية عموما، وهي: أن تكون معبرة عن عالمها بصورة كاملة، وقائمة على التسامح، وغير خاضعة لسطوة الصوت العام، وهي معايير إنسانية منفتحة وغير مرتبطة بطبقة بعينها[٤]، استثمرها السريحي

---

[١] النعمي، رجع البصر قراءات في الرواية السعودية، ص٢١.
[٢] عبد الله الغذامي، تأنيث القصيدة والقارئ المختلف، ط٢؛ (بيروت/الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٥م)، ص٩٢.
[٣] زياد، الرواية وسؤال الحضور الأقوى تراتب الأنواع الأدبية وتداخلها، ص ص ٥٣-٥٤.
[٤] معجب العدواني، الشخصية بوصفها معيارا للتجنيس الروائي، علامات، عدد٨٣، مايو ٢٠١٥، ص٥٦٧.

في ربط الرواية بالإنسانية والهوية لما استعان بباختين Bakhtin دون إحالة له في مسألة تعدد الأصوات، ليثبت أن الرواية قادرة على تمثيل الهوية المنفتحة[١]؛ وهي هوية إنسانية لا تقيم بين المجتمعات حدودا وحواجز، وهذا ما يتناسب ومعيار التسامح عند العدواني، ويتقاطع مع الهوية غير القاتلة عند أمين معلوف الذي يبدو أن السريحي تأثر بها[٢]، إلا أنه موظف في التأكيد على قضية الانفتاح وما يصحبها من قيم مشابهة للقيم البرجوازية.

وبهذا تكون الرواية ذات مهمة ورؤية إنسانية في النقد السعودي، إلا أنها لم تكن واضحة ودالة على سياق تنظيري متطور في علاقتها مع الطبقة الاجتماعية، وقد يكون السبب في هذا هو ابتعاد النقاد السعوديين لمناقشة تلك العلاقة بين الرواية والطبقة التي تمثل المهاد الأساسي لإنسانية الرواية، ومحاولة الإشارة إليها في سياقات مختلفة، مثل السياق التبريري لسيادة الرواية، أو سياق معايير الرواية الفنية، أو سياق الهوية المنفتحة، لتؤخذ تلك الإشارة على أنها معيار، وليست معيارا ونتيجة في الوقت ذاته، وهذا ما يتجلى في علاقة الرواية بالطبقة التي يكون الجانب الإنساني فيها متسما بالشرطين السابقين، فهي معيار في فك الارتباط ونتيجة له.

خامسا: توظيف العلاقة بين الرواية والطبقة الاجتماعية

ولقد كانت علاقة الرواية بالطبقة في النقد السعودي محلا للتوظيف، فالبدر وجد في تطور الرواية تطورا في مفهوم البطل الذي ربطه بطبقته، فهو كان أرستقراطيا ثم أصبح بعد ذلك إنسانا عاديا[٣]، وفي هذا

---

[١] سعيد مصلح السريحي، سلطة الرواية اقتناص الهوية في لحظة السيرورة، ضمن ملتقى الباحة الثاني ١٤٢٨هـ الرواية وتحولات الحياة في المملكة العربية السعودية؛ (الباحة: النادي الأدبي، ٢٠٠٨م)، ص٤٣.

[٢] اعتبر معلوف الهوية قاتلة بانغلاقها على محدد أو عنصر معين، ليقابلها الهوية التي تأخذ من التعدد والانفتاح والإنسانية شرطا لها، ينظر أمين معلوف، الهويات القاتلة، ترجمة: نهلة بيضون، ط٢؛ (بيروت: دار الفارابي، ٢٠١١م)، ص١١.

[٣] البدر، مصدر سابق، ص٣٠. وينظر في ربط البطل بطبقته المصدر السابق، ص١٠٣.

تحول يتماشى وتطور الرواية في ارتقاء ربطها من الطبقة إلى الإنسانية، التي عبر عنها بالتعاطف مع المهمشين والعاديين، واستيعاب مشاكلهم وآلامهم[١]، وهي ما تصنف في الغرب على أنها مشاكل العمال التي ارتبط بها مفهوم البطل، بسبب ظهور العصر الصناعي كما ينقل ذلك حسن الحازمي من كتاب (فن الرواية) لعبد الفتاح عثمان[٢]، وهو نقل ليس له مهمة سوى المهمة التاريخية.

كما توافق عائشة الحكمي أحمد الهواري حينما ربط مفهوم البطل بنهوض الطبقة البرجوازية وسيطرتها على المسرح السياسي ولاجتماعي[٣]، وهو نهوض مشابه لنشوء الرواية، إلا أن له تتمة تاريخية لم تستوفها الناقدة، أشارت إليها غفران قسام لما ردت تحول الدور البطولي من الخطاب الرومانسي إلى الواقعي، بتحول النظر من الطبقة العليا إلى الطبقة المتوسطة والشعبية التي يلائمها ذلك[٤]، وهو استيفاء لم تحل الناقدة إلى مصدره، فارتباط البطل بالطبقة كان له رحلة مشابهة لرحلة الرواية التاريخية، وهذا ما وضحه الهواري ووظفه كما عُرض في الفصل الثاني، متأثرا في ذلك بالتنظير الغربي.

كما حاول بعض النقاد ربط الطبقة ببعض القضايا المرتبطة بمفهوم الرواية، ومن ذلك الاغتراب، الذي اكتفى حسن الحازمي برده إلى الصراعات الطبقية[٥]، مشابها الهواري لما رده إلى ذلك في كتابه (البطل المعاصر).

كما ربطت الحكمي وبتأثير من محمد المطوع بين رؤية الرواية والشريحة الاجتماعية، وهي تنقل ذلك نقلا تاريخيا غير نقدي[٦]، محصورا في التعريف بمفهوم رؤية العالم، الذي أعادته عائشة العتيق إلى

---

[١] ينظر في ربط الإنسانية بالتعاطف وليامز، مرجع سابق، ص١٥٢.
[٢] الحازمي، البطل في الرواية السعودية، ص٦١١.
[٣] الحكمي، مصدر سابق، ص١٠٢.
[٤] قسام، مصدر سابق، ص١٧٩.
[٥] الحازمي، البطل في الرواية السعودية، ص٥٦٢.
[٦] الحكمي، مصدر سابق، ص١٦٨.

لوكاتش Luckacs الذي ربط بين منتجها وعمق إدراكه وإحساسه بطبقته، وعرضته عرضا لا يختلف عن نقل الحكمي التاريخي في اكتفائه بالشرح والتعريف[١].

ويلاحظ من الاستعراض السابق، متابعة النقد السعودي للتنظير الغربي والنقد العربي في ربط الرواية بالطبقتين الوسطى والدنيا، واختلافه عنهما في حضور الطبقة العليا، التي لم تكن سببا في رفض للرواية، بل كان حضورها مختصا بالرواية الغربية وعلاقتها بالبرجوازية التي يعدها ماركس Marx جزءا منها، إلا أن بعض النقاد السعوديين ومسايرة للنقد العربي استبدلوا الوسطى بها ابتعادا عن الظلال الماركسية للمفهوم، واقترابا كذلك من بنية المجتمع وعلاقتها بالسلطة، ليكون للطبقة الوسطى التي فُسرت على أنها طبقة المثقفين والتجار دور أكبر مما كانت عليه في النظرية الغربية، وهو مشابه لدورها في النقد العربي.

أما نقد ذلك الارتباط فلقد كان مختلفا في عمقه وتفاعله، إلا أنه كان هو الآخر مستثمرا في مناقشة قضايا أخرى.

كما كان ربط الرواية بالطبقات كلها أو بالجانب الإنساني موظفا، حيث لم يكن نتيجة، بل وسيلة لتأكيد جوانب أخرى، مثل الجانب المتعلق بالنضج الفني لها، أو المميز لها عن خطابات أخرى مثل التاريخ.

كما كانت المتابعة مختلفة بين الصراحة والتضمين، والإحالة وعدمها، وبين الرواية الغربية والسعودية، وأسباب النشوء والتطور، إلا أن معظمها كان غير صريح، وموظفا للتعريف بقضايا أخرى أو للتأكيد عليها، مثل القيم البرجوازية وتراتبية الأنواع الأدبية، وقضية الهوية وصورة المدينة.

---

[١] كما تنقل عن غولدمانGoldman أن أنواع الإبداع الثقافي ليس إلا تجسيدا لرؤى عالم متولد عن وضع اجتماعي محدد لطبقته، وهي بذلك تريد التعريف برؤية العالم عند الناقد السابق وربطها بالطبقة- وهو مفهوم عرض في الفصل الأول من الدراسة- تنقله من جابر عصفور في كتابه (نظريات معاصرة)، وشحيد جمال في كتابه (في البنيوية التركيبية دراسة في منهج لوسيان غولدمان). ينظر عائشة سالم العتيق، مناهج الدراسة في الرواية العربية في المملكة العربية السعودية، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، ٢٠١٠م، ص٥٣، ص ٥٥.

كما اشتمل الربط السابق على توضيح لبعض المفاهيم المتعلقة بالرواية، مثل الاغتراب، والبطل، ورؤية العالم، إلا أنه لم يختلف عن الربط السابق في متابعته وانحصار دوره في الجانب التاريخي المعرف بها دون نقد أو نقاش لها.

تصنيف الرواية والطبقة الاجتماعية

أولا: تمييز الرواية عن الشعر والقصة الطويلة

ويتضمن هذا المحور تصنيفا للرواية عموما أو الرواية السعودية، وتمييزا لها عن غيرها من الأجناس الأدبية، أو تصنيفا لأنواعها، أو لعناصرها.

فلقد حاول سلطان القحطاني وبصورة غير مباشرة تمييز الرواية عن الشعر اعتمادا على الطبقة في أوروبا، فهو يرى أن الأخير المعبر عن الطبقات العليا انحسر بعد الثورة الصناعية، لتدخل الرواية بدلا عنه[١]، وهذا يقتضي بشكل مضمر أن الرواية حلت محل الشعر ومحل طبقته قياسا، وهذا الاقتضاء مشابه للتمييز بين الرواية والرومانس في التصورات النظرية الغربية[٢]، ومتابع للنقد العربي في تمييز الجنسين طبقيا[٣].

ولقد حاولت الحكمي بالطريقة ذاتها تمييز الرواية عن الشعر، عندما عدت الأخير الوسيلة الملائمة في المجتمع السعودي لتقارب المستويات الاجتماعية[٤]، وهذا ما يقتضي اعتمادا على القياس المضمر أن غياب التقارب كان ملائما للرواية، وهو اقتضاء مستنتج دل عليه السياق لا نص الناقدة، يجعل من التقارب الطبقي معيارا في التمييز.

---

[١] سلطان القحطاني، الرواية السعودية ومنهجية الخطاب النقدي، ص١٢٥.
[٢] وهذا ما قال به شليغل Schlegel. ينظر فراي، مرجع سابق، ص٤٢٥.
[٣] ينظر خورشيد، مرجع سابق، ص٢٠.
[٤] الحكمي، مصدر سابق، ص١٨٤.

أما النعمي فإنه قارن في سياق حديثه عن الشعر وصدارته للمشهد الثقافي العربي بين الشعر وبين القصة، التي وجد أنها كانت ظلا للأول لارتباطها بالطبقة الشعبية، ليعلل بذلك تلك الصدارة[١]، تعليلا مشابها للقحطاني، ومتابعا للنقد العربي، إلا أنه كان موظفا للتفسير لا التعريف.

كما فرق سلطان القحطاني بين القصة الطويلة والرواية، بأن الأولى تأخذ شريحة من المجتمع بينما الأخرى تمثل شرائح المجتمع بأكمله[٢]، وهو تصنيف غير مدعوم بالأدلة، ما يجعله عاما وغير دقيق، كون التمثيل المتعدد قد يكون ملمحا لتطور الرواية لا معيارا مميزا لها، كما مر في المحور السابق.

ثانيا: تصنيف الأنواع الروائية

لقد صنف أحمد العدواني الواقعية الاشتراكية بربطها بالطبقة الشعبية[٣]، ويونس البدر بتصوير الصراع الطبقي بين الفلاحين والرأسماليين، وإسهامها في فتح "عقول الطبقات الشعبية"[٤]، وأنها وسيلة تعبير عن الطبقة الدنيا في المجتمع[٥]، ومحمد بن عبد الله آل مبارك ورؤيته للرواية الواقعية المتجهة إلى المجتمع وطبقاته الدنيا

[١] حسن محمد النعمي، جدل العلاقة بين الثقافة العالمة والثقافة الشعبية مقاربة في روايتي العصفورية وأبو شلاخ البرمائي، من ضمن أبحاث ندوة غازي القصيبي: الشخصية والإنجازات (محور الرواية)؛ (الرياض: كرسي جامعة الملك سعود، ٢٠١٥م)، ص٧٩.
[٢] القحطاني، الرواية وتغيرات المجتمع في المملكة، ص ص ٨٣٩-٨٤٠.
[٣] أحمد العدواني، بداية النص الروائي مقاربة لآليات تشكل الدلالة؛ (الرياض/ بيروت/ الدار البيضاء: النادي الأدبي/المركز الثقافي العربي، ٢٠١١م)، ص١٤٨.
[٤] البدر، مصدر سابق، ص٢٥، ص٣٠.
[٥] المصدر سابق، ص٨٤.

والبسيطة، إلا أنه ينقل ذلك عن عمر الدسوقي من كتابه (في الأدب الحديث)[١]، دون تحديد للأصول أو مناقشة لها، في متابعة للنظرية الماركسية[٢].

ولقد اختلف محمد العباس عن التصنيف السابق لما حكم على إبراهيم الخضير بالواقعية التي حصلت باستعراض شرائح كل الطبقات[٣]، وسميرة الحارثي في حكمها على البطل في روايات المحيميد، بأنه ممثل للواقعية التي دلت بتعددها الاجتماعي على تنوع الطبقات التي انتمى إليها الأبطال[٤]، وهو تصنيف قائم على التطور الفني والاجتماعي للرواية الذي لم يستعرض النقاد السابقون سياقه التاريخي، كما أنه متأثر بالتصور البراغماتي للطبقة التي تنظر إلى التفاوت بوصفه مظهرا اجتماعيا يأتي تمثيله استجابة للواقع المفروض دون الحديث عن أسباب فرضه، ومتابع لتصور بعض التنظير الغربي والنقد العربي[٥]، كما يضع مسافة بينه وبين الواقعية المؤدلجة بناء على شمولية التصوير لا كيفيته.

كما حاول منصور الحازمي تصنيف الواقعية في تحليله لـ(ثمن التضحية)، وأن الكاتب "نقل بدقة صورا حية عن البيئة تشمل المنزل والحارة والشارع"، وعن طبقة التجار التي تمثل الغالبية العظمى من سكان مكة[٦]، حيث حاول بذلك الوصف أن يعرف الرواية الواقعية بدقة الوصف وملاءمته للطبقة التي أصبحت مرجعا لها.

وهذا ما أكدته الشايع لما رأت أن من الواقعية تلاؤم الشخصية وتفكيرها للمستوى الاجتماعي[٧]، وهو مستوى يتضمن الطبقة في معيارها الاقتصادي، ويضيف إلى الواقعية شرطي الدقة والملاءمة، وهما شرطان

---

[١] محمد بن عبد الله منور آل مبارك، توظيف اللهجات المحلية في الرواية السعودية رواية ساق الغراب أنموذجا، حقول، العدد ١٣، ذو القعدة ١٤٣٨ -يوليو ٢٠١٧م، ص١٨٣.
[٢] ولقد أكد ذلك عبد الفتاح عثمان. ينظر عبد الفتاح عثمان، الرواية العربية الجزائرية ورؤية الواقع، ص١٢٧.
[٣] العباس، نهاية التاريخ الشفوي، ص٦٩.
[٤] الحارثي، مصدر سابق، ص٣٢١.
[٥] بالنسبة للتنظير الغربي، ينظر شارتيه، مرجع سابق، ص ١٠٨، أما النقد العربي فينظر معتوق، مرجع سابق، ص١٦.
[٦] الحازمي، القصة في الأدب السعودي، ص٤٧.
[٧] الشايع، مصدر سابق، ص٣٥٨.

متشابهان مع الرواية الموضوعية بحسب التنظير الغربي[١]، ومختلفان عنها في أن الأخيرة ربطت ذلك بالطبقة الدنيا الشعبية، أما واقعية الحازمي والشايع فرُبطت بالطبقة الوسطى، وفي هذا ملمح اختلافي مرجعه اختلاف النصين وبيئتهما الاجتماعية.

ترى لمياء باعشن تلك الواقعية في الرواية الإنجليزية بأنها صورت هموم الطبقات الوسطى والفقيرة[٢]، وكأنها بهذا الوصف تضع حلا توافقيا بين الواقعية الغربية والسعودية، وتؤكد على إمكان جمعها بين الطبقتين الدنيا والوسطى.

أما حسن حجاب الحازمي فلقد كان مبتعدا عن الاثنين؛ التنظير الغربي والتصنيف السابق، وربط الواقعية بدقة وصفها للطبقة الراقية، وهو ما يُستنتج من تحليله لرواية (سقيفة الصفا) المحتوية بسبب رؤيته على تمييزات، من بينها تميز الأشراف عن غيرهم، وهو تمييز طبقي متداخل مع العنصرية، يرى أنه منح المكان حيوية وإثارة وواقعية تُشتهى[٣]، فالواقعية هنا ربطت بالدقة في الوصف أكثر من ارتباطها بالطبقة العليا، التي يمكن تعليل حضورها هنا بالتمثيل على السمة السابقة، لا بالتجنيس أو التمييز.

أما الواقعية الاشتراكية فلقد حاول علي الحمود تمييزها عن الإسلامية، فيرى أنها عملت على إذكاء الصراع الطبقي بين أبناء المجتمع الواحد، والاهتمام بالطبقة الدنيا وخصوصا الفلاحين على حساب النيل من الطبقات الثرية، ممثلا لذلك بالشرقاوي وعبد الحميد هدوقة، ليؤكد أن الإسلام لم يعرف الطبقية، ولم يفرق بين غني ولا فقير ولا بين أسود وأبيض[٤]، وهو تمييز أيديولوجي غير فني، يفك الرواية- كما مر – من

[١] ينظر ألبريس، مرجع سابق، ص ص ٣٧٣-٣٧٤.
[٢] باعشن، الرسم على النسيج السردي، ص٢٦٤.
[٣] الحازمي، المدينة في الرواية السعودية ضمن ندوة الرواية بوصفها الأكثر حضورا، ص ٣٤٧.
[٤] علي محمد الحمود، التوظيف الإسلامي للرواية مهما غلا الثمن لعبد الله العريني أنموذجا، مجلة العلوم العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ع ١٩٤، ٢٠١١ م ربيع الآخر، ص١١٠، ص ١٣٠.

اتصالها بطبقة معينة في مسألتي التعريف أو التجنيس، إلا أنه يعيد ربطها بما هو أعم منها، ربطا قد تضيع معه إمكانات التصنيف الفني، وتتحول معه الرواية إلى خطاب للتمثل لا التمثيل.

ومن الأنواع الروائية المصنفة بحسب علاقتها بالطبقة: الرواية الرومانسية التي يرى الفوزان أنها ممثلة في روايات خاشقجي؛ بسبب غلبة شخصياتها المنتمين إلى الطبقة الأرستقراطية[١]، وهو تصنيف متابع للتنظير الغربي الذي عد الرومانس وقصص العشق نموذجا للطبقة السابقة[٢]، ومشابه لما ذهب إليه بعض النقاد العرب في ذلك[٣].

وأعاد سلطان القحطاني ريادة الرواية التاريخية إلى السير ولتر Walter، ويصنفها بحسب أبطالها الذين كانوا من النبلاء المتمتعين بالحكمة وبعد النظر[٤]، وهو متابع في ذلك لتين Taine[٥]، ومخالف لما ذهب إليه لوكاتش Lukacs من أن أبطال السير ولتر Walter كانوا من الطبقة الوسطى وعاديين[٦]. أما سمير الشريف فلقد ربط الرواية التاريخية بروح العصر "وقيمه الشعبية وطبقاته الاجتماعية"[٧].

ويلاحظ على الآراء السابقة اختلافها الواضح في التصنيف، واشتراك الطبقات الثلاث في ذلك، ولعل مرد ذلك هو اختلاف منظور كل ناقد وغايته من ذلك، ما يدل على أن الطبقة قد لا تكون عنصرا محايدا وثابتا في التصنيف.

ومن الروايات التي شملها التصنيف في علاقته بالطبقة الاجتماعية في النقد السعودي، الرواية المضادة أو ما تسمى بالجديدة في أوروبا التي نسبها سلطان القحطاني دون إحالة إلى المهمشين، ورفضهم للمجتمع

---

[١] الفوزان، مرجع سابق، ج٣، ص ص ١٠٩١-١٠٩٢.
[٢] هذا ما أوضحه شليغل Schlegel. ينظر فراي، مرجع سابق، ص٤٢٨.
[٣] ينظر الموسوي، مرجع سابق، ص١٢٣.
[٤] سلطان سعد القحطاني، العلاقة الجدلية بين الرواية والتاريخ ضمن أبحاث ملتقى الباحة الأدبي الخامس ١٤٣٣هـ الرواية العربية الذاكرة والتاريخ؛ (الباحة/بيروت: النادي الأدبي/مؤسسة الانتشار العربي، ٢٠١٣م)، ص٦٨.
[٥] لوكاتش، الرواية التاريخية، ص٥٥.
[٦] لوكاتش، الرواية التاريخية، ص ٣٢.
[٧] سمير أحمد الشريف، قراءة في نظرية الرواية، مجلة أفنان، النادي الأدبي بتبوك، ع ١٨، ٢٠١٠م، ص ٥١.

الصناعي والرأس مالي[١]، وهو خلاف ما قال به جيسي ماتزJesse Mats من أن الرواية الجديدة كان موضوعها الطبقة الوسطى في حال انحدارهم وفشلهم[٢]، وأكده أحمد العدواني بتأثر من محمد الباردي في كتابه (سحر الحكاية)[٣].

ولقد ردت الريم الفواز الرواية الجديدة إلى الفردية المفرغة من أي انتماء طبقي في تمييزها بين الروايات التقليدية والتجريبية التي تعد وصفا ثالثا للجديدة والمضادة، فالتقليدية تحضر فيها الشخصيات الواقعية التي تكون فيها الطبقة أحد مراجعها، في حين أن التجريبية يقل فيها حضور تلك الشخصيات[٤]، ما يعني انفصالها عن طبقتها الاجتماعية، وهو رأي متابع لجيمس ماتز Jesse Mats حينما أعاد هذا النوع من الرواية إلى الحكمة الفردية غير المتوارثة[٥]، وآلان روب جرييه Grillet لما ربطها بالإنسان الفرد دون تحديد طبقي له[٦]، وتوماس Thomas الذي يرى أن الرواية الجديدة هي "اكتشاف المسافة الشاسعة بين الإنسان والعالم الذي يحيط به"[٧]؛ أي ابتعاد الإنسان عن طبقته التي يمكن تفسيرها بالعالم.

ويؤكد اختلاف المنظورين السابقين على ما تم الوصول إليه مسبقا، من ضعف المعيار الطبقي في التصنيف، وقدرة الرواية على تجاوز أي تحديد نظري.

ومن الروايات المصنفة بحسب علاقتها بالطبقة الاجتماعية، رواية السيرة الذاتية، التي وضع لها معجب الزهراني أساسين رئيسين: الأول يتمظهر في رغبة الكاتب في التعبير والإعلان عن حضوره الذاتي، والثاني في التفاعل وتجسيد شكل الوعي الناتج عن علاقات التوتر بين الفرد الحديث والسلطات الناشئة في

---

[١] القحطاني، الرواية السعودية ومنهجية الخطاب النقدي ضمن ندوة الرواية بوصفها الأكثر حضورا، ص١٣٥.
[٢] ماتز، مرجع سابق، ص ص ٢٤٠-٢٤١.
[٣] العدواني، مصدر سابق، ص٣٥٣.
[٤] الفواز، مصدر سابق، ص٥٠. ولقد نقلت الشخصية المرجعية من الصادق قسومة من كتابه (علم السرد).
[٥] ماتز، مرجع سابق، ص١٣٨، ص١٤٣.
[٦] جرييه، مرجع سابق، ص١٢٢.
[٧] برادة، مرجع سابق، ص ص١٥٤-١٥٥.

مجتمعه، ويقدم على الأساس الثاني نص محمد شكري (الخبز الحافي) مثالا للتفاعل الذي نتج عنه إدانة للسلطة وتحميلها مسؤوليات الفقر والجهل الذي أصيبت به الطبقات المسحوقة[١]، وهو بذلك يجعل من محمد شكري نموذجا للصراع الطبقي كما هو ملاحظ في وصفه للطبقة الدنيا بالمسحوقة، جاعلا من الطبقة مرجعا للكاتب، وأساسا مكملا للجانب النظري والتصنيفي، إلا أنها تبقى مثالا، بدلالة أن الناقد ربط علاقة التوتر بين الفرد والسلطة، لا بين الطبقتين، إضافة إلى حضورها في سياق التمثيل.

وتحيل بدرية السعيد رواية الترجمة الذاتية -كما تصفها -إلى الطبقة الوسطى بناء على انتماءات كاتبيها[٢]، متأثرة في ذلك –كما يبدو -بنظرية الانعكاس وقيمة الانتماء، فصنفت النوع الروائي بناء على طبقة الكاتب، في حين أن الرواية تُصنف بناء على الموقف، بدلالة إشادة كثير من النقاد بروائيين تمردوا على طبقاتهم[٣].

ومن الروايات كذلك، الرواية السياسية والبوليسية، فالأولى يصنفها جمعان الغامدي بتضمنها الصراع بين الشرائح الاجتماعية والصراع الطبقي والتفاوت الاجتماعي[٤]، وهو تصنيف قد لا يكون دقيقا لتداخله مع الرواية الواقعية الاشتراكية كما مر.

---

[١] ينظر الزهراني، جماليات الكتابة ودلالاتها الحوارية في رواية السير الذاتية، ص١٠٤، ص ١٠٥، ص ١٠٩.

[٢] وهي تستشهد برواية (زينب) لهيكل، و(إبراهيم الكاتب) للمازني، و(سارة) للعقاد. ينظر السعيد، مصدر سابق، ص ص٢٥-٢٦.

[٣] ومن ذلك إشادة لوكاتش ببلزاك وإن كان يتخللها بعد أيديولوجي. ينظر لوكاتش، الرواية التاريخية، ص١٠٧.

[٤] جمعان أحمد الغامدي، السجن السياسي في الرواية العربية حز القيد العمانية أنموذجا، علامات، النادي الأدبي الثقافي بجدة، مج١٨، ج٦٨/٦٩، مايو ٢٠٠٩م، ص ١٨٩. ولقد نقل هذا التعريف من Howe Irvingمن كتابه Politics and the Novel.

ويرد أحمد عسيري البوليسية إلى تأكيد شرعية البرجوازية الحاكمة[١]، وهو يقصد بهذا قدرة أجهزتها الأمنية في كشف الجريمة كشفا يمنح الشعور بقوة الدولة وعدالتها، وهو تصنيف قد لا يكون حاسما، لارتباط البرجوازية عموما بالرواية ومحاولة توظيفها فيما يخدم سلطتها[٢].

ثالثا: تصنيف الشخصيات

أما التصنيف المتصل بعناصر الرواية، فالأمثلة عليه عديدة، والبداية بعنصر الشخصيات الذي اعتمد خالد الرفاعي على الطبقة في تصنيفه للرواية النسائية إلى صنفين: شخصيات تحيل إلى طبقة غنية كما في شخصيات (بنات الرياض)، وشخصيات تحيل إلى طبقة فقيرة كما في شخصية خالد في رواية (الانتحار المأجور)[٣]، وهو تصنيف ابتدائي لم يستثمره الناقد بعد ذلك في سبر أغوار الشخصيات النفسية أو دلالة ذلك في الرواية النسائية السعودية، ولقد جارته في ذلك عائشة الحكمي في تصنيفها لشخصيات (ثمن التضحية) إلى شريحتين: الأولى تضم حالة الجهل والفقر ممثلة في شخصية عثمان والعم يوسف، والثانية تضم سعة مادية وطبقة تجار وتعليم ممثلة في والد عصام ووالد أحمد البطل[٤]، وهو تصنيف ظاهري قد يوحي بربط التعليم بالملاءة المالية التي تمثلها الطبقة الغنية هنا[٥]، ربطا مباشرا لا يتجاوز ذلك.

وتختار نورة المري من الشخصيات شريحة المثقفين، وتصنفهم بحسب تحركاتهم وانتماءاتهم الطبقية، فترى حركة المثقف الأرستقراطي والبرجوازي كثيرا ما تكون في المدن وفي بلاد الغرب، أما الكادح فحركته

---

[١] أحمد حسين عسيري، الرواية البوليسية السعودية المنطلق والمحددات في تشكيل المفهوم والتأصيل؛ (الرياض: دار المفردات، ٢٠١٧م)، ص٧٧، ص ٧٩.

[٢] ولقد قدم ألبيريس Alberes أمثلة على ذلك. ينظر ألبيريس، مرجع سابق، ص ٣٩٢.

[٣] الرفاعي، مصدر سابق، ص ص ٢٥٦- ٢٥٧. بالنسبة للرواية، آلاء الهذلول، الانتحار المأجور؛ (لندن: دار الساقي، ٢٠٠٤م).

[٤] الحكمي، مصدر سابق، ص ٢٦٧.

[٥] وهو ما أكدته نورة المري لما صنفت المرأة السعودية المثقفة في روايات الحميدان إلى الطبقة الأرستقراطية الغنية بسبب إمكاناتها المادية التي تسمح لها بإكمال تعليمها والدراسة في الخارج. ينظر المري، ملامح البيئة السعودية في روايات إبراهيم الناصر، ص٢٢١.

محدودة لا تتجاوز المدن التي يستقر فيها[١]، وهي لم تسع إلى تفسير ذلك التصنيف الذي قد يدل وبطريقة موحية إلى أحد أمثلة التمييز الطبقي الممتدة إلى كل مناحي الحياة، فسعة حركة الطبقة العالية والمتوسطة قد تقابلها محدودية حركة الطبقات الأدنى، ليكون هذا العنصر في حركته معبرا عن رؤية الكاتب التي سبق أن أرجعتها الناقدة إلى التحيز للطبقة الدنيا، تعبيرا رمزيا يتناسب وطبيعة الخطاب الفني للرواية، إلا أن إغفال هذا الجانب التفسيري، جعل من التصنيف وصفا خارجيا، مكملا للتصنيفات السابقة الابتدائية غير المستثمرة دلاليا.

ولقد تجاوز العوين التصنيف الابتدائي قليلا، حينما صنف الشخصيات النسائية العربية في القصة السعودية، وتحديدا في روايتي (شقة الحرية) و(العصفورية) إلى طبقات دنيا فقيرة أو غنية مترفة؛ الأولى باحثات عن المال والمتعة أحيانا والثانية باحثات عن المتعة[٢]، وهو لا يذهب بعيدا في تصنيفه ما يجعل الباحث مضطرا إلى رده إلى محاولة تحديد صورة المرأة العربية السلبية التي تكون السعودية بعيدا عنها، وقد يكون في ذلك تحيز خصوصا وأن مادته التي اعتمدها في إنجاز ذلك محدودة.

ومن الظواهر الأخرى المتصلة بالشخصية، نظام التسمية، الذي اتكأت عليه حنان الغامدي في تصنيف الأسماء في الروايات النسائية السعودية؛ حيث رأت أن منها ما ينتمي إلى طبقة السادة، مثل: السيد عبد الكريم والسيد أمجد كما في (آدم ياسيدي)، ومنها ما ينتمي إلى طبقة العبيد، مثل شخصية العجوز فضة في رواية (وجهة البوصلة)، ومنها ما ينتمي إلى طبقة الغجر مثل الأميرة الغجرية في رواية (مزامير من ورق)[٣]، وهي ترى أن التنوع في الأسماء مستمد من النظام العائلي والأبوي والطبقي[٤]، إلا أن تصنيفها يؤكد

---

[١] المصدر السابق، ص٢٧٨.
[٢] العوين، مصدر سابق، ص١٥٠.
[٣] نداء أبو علي، مزامير من ورق؛ (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٧م).
[٤] الغامدي، مصدر سابق، ص ص ١٠٨-١٠٩. كما توافقها في ذلك أسماء الأحمدي التي ترى أن الاسم معبر عن الطبقة الاجتماعية، وتدلل على ذلك بفضة في رواية (وجهة البوصلة). ينظر الأحمدي، مصدر سابق، ص ١٨٢.

على الطبقية المتداخلة مع العنصرية، وأثرها في تشكيل الفرد في أدق تفاصيله المتعلقة هنا بالتسمية، وفي هذا دلالة على تأثرها بالتصور السببي للطبقة الذي يحاول مجاوزة الوصف إلى التفسير والتعليل.

رابعا: تصنيف المكان

ومن عناصر البناء الروائي المرتبطة بالتصنيف الطبقي، عنصر المكان الذي ربطته نورة المري في تصنيفها له بالطبقة وحدود الوصف، وذلك في قراءتها لرواية (رعشة الظل) التي صنفت فيها البيوت إلى القصور الفخمة المتضمنة وصفا جوانيا وبرانيا، والبيوت العادية المتضمنة وصفا جوانيا وبرانيا بسيطا، والبيوت الطينية والبسيطة المنتمية للطبقة التحتية الفقيرة المتضمنة وصفا برانيا فقط[1]، وهي تدفع بهذا التصنيف القارئ إلى استنتاج العلاقة الواضحة بين الوصف والمكان بحسب طبقته، وكأن التفصيل في وصف القصور على حساب البيوت البسيطة مماثل لاستغلال أصحاب تلك الطبقة الذي يجعل من حقوق الطبقة الفقيرة بسيطا وناقصا مثل وصف بيوتهم، وهذا الاستنتاج تأويل لم تصرح به الباحثة، ولم تستفد من إمكانه الدلالي رغم ارتباطه الواضح برؤية الناصر المتحيزة، كما أن تصنيفها كان محدودا بالرواية غير مرتق لأن يكوّن حالة تعميمية، ما يجعل منه مثالا على التحليل لا معيارا حاسما للعنصر.

وربطت بدرية الفريدي بين المكان والطبقة الممثلة عندها بالشخصية في الرواية السعودية، ولكن من جانب نفسي، حيث وصلت إلى أن المنتمي إلى الطبقة المتوسطة عادة ما يرسم صورة سوداوية للمكان أو ساخطة عليه، وفي مقام آخر تجده محايدا، وهذا على عكس الأماكن التي تخص الطبقات الشعبية إذ تكون سرية، كما يكون المنتمي إليها ساخطا وينوي الرحيل عنها، أما الطبقات الأرستقراطية ومن خلال رواية

[1] المري، ملامح البيئة السعودية في روايات إبراهيم الناصر، ص١٠٣.

(خاتم) فيبدو أن المكان يعد لهم تمثيلا للقيم والهوية الاجتماعية، ورمزا للبقاء حتى وإن كان سجنا، أما البرجوازية الجديدة فترى أن المكان دائما بحاجة إلى تحسين وتطوير ليلائم المكانة الاجتماعية الجديدة[١].

تبقى -مع ذلك -رؤية الفريدي مرهونة بمادتها المدروسة، ولا ترتقي إلى التنظير الذي يكون التعميم من أهم سماته، ومتأثرة بحد ما وإن لم تصرح بذلك ببعض التأثيرات الغربية الماركسية، فربط السخط بالطبقة المتوسطة قد يكون تأكيدا لرؤية لوكاتش Lukacs لتلك الطبقة ومعاناتها من التمزق على مستوى الهوية الذي أوصلها إلى هذا التشتت، كما يلحظ في تصنيفها التناقض في وصف الطبقة الوسطى فهي مرة ساخطة ومرة محايدة، وقد يكون التناقض مقصودا لتأكيد الصورة اللوكاتشية السابقة.

وقد يكون المكان فضاء أو عالما كما هو في تحليل حسن النعمي لرواية (خاتم) التي وجدها تستند إلى عالمين مختلفين: عالم الجبل الرامز للسيادة والطبقة العليا، وعالم الدحديرة المنخفض المناسب للطبقة الدنيا[٢]، ليهدف الناقد من تصنيفه إلى اعتماده مدخلا لقراءة النص وفهم صراعاته؛ أي إلى تحوله من مستوى الوصف إلى التوظيف، وفي هذا تطور لصالح الدلالة لكنه غير متصل بالجوانب الفنية.

وقد يمتد تصنيف المكان إلى المدن، فنجلاء مطري في عرضها لرواية (فخاخ الرائحة) ليوسف المحيميد ترى أن الرياض لم يكن مكانا واحدا، بل تكون من عوالم متعددة، وتقصد بها الطبقات: عالم وجهاء المجتمع، وعالم الطبقة المتوسطة، وعالم العمال والحرفيين، وترى أنهم عوالم مختلفة كل الاختلاف[٣]، وفي

---

[١] الفريدي، صورة الشخصية الانهزامية، ص ص ١٩٤-١٩٥، ص ١٩٩، ص٢٤٤.

[٢] النعمي، رجع البصر، ص ص ١٧٤- ١٧٦.

[٣] لقد وضحت المنتمين إلى كل عالم، فالعالم الأول يشمل أصحاب الوظائف المرموقة والشركات الكبرى مثل والد بدر، وسيدة المجتمع مضاوي، والعم أبو يحيى الحلواني، والعالم الثاني يضم الموظفين وموظف التذاكر وموظفي الوزارة، والعالم الثالث يشمل العمال البنغال والهنود والبستاني والسائق أنور وعاملات الدار الفلبينيات والمصرية جمالات. ينظر نجلاء علي مطري، الواقعية السحرية في الرواية العربية من ١٤٢٠-٢٠٠٠م حتى ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م)؛ (جدة/بيروت: النادي الأدبي الثقافي بجدة/ مؤسسة الانتشار العربي، ٢٠١٦م)، ص٢٨١.

هذا دلالة على المعنى البراغماتي لتلازمه مع وصف الاختلاف، وعلى مفهوم المدينة الذي يحدد بفضائه المتعدد للطبقات المختلفة كما مر في المحور السابق.

خامسا: تصنيف اللغة

وتعد اللغة من العناصر البنائية المهمة في تركيب النص الروائي، ولقد صنفت فاطمة العتيبي المستوى المجازي لها عند رجاء عالم في اتجاهين: اتجاه تحتي له الفقر والوضاعة والسعادة البسيطة، واتجاه فوقي له السلطة والثراء والحزن الباهظ[١]، وكان غرضها من التصنيف فهم المستوى اللغوي عند الكاتبة دون تفهم الدوافع النفسية لشخصياتها، ويبدو التصنيف قائما على التعويض، فثراء الطبقة العالية كان عوضه السعادة في الطبقة المقابلة، وفي هذا دلالة على تأثر الكاتبة بالمبدأ البراغماتي المتضمن في مفهومه معاني الصبر والرضى بالتفاوت؛ حيث يعمل التعويض على تقويتها.

كما قسم الشتوي اللغة في مستواها الصوتي التنبيري إلى قسمين: قسم يكون حادا بناء على تصنيف باختين Bakhtin في وصف الطبقة المستغلة ذات الجاه والمال، بينما القسم الآخر يكون مشرئبا بالحزن والأسى في حال الطبقة الضعيفة والفقيرة في سياق تحليله لرواية (الزمن الآخر)[٢]، وهو تصنيف قائم على المتابعة، والمبدأ النفسي لاستثارة عاطفة المتلقي وكسب تحيزه للطبقة الدنيا، كما أنه محدود برواية واحدة، ما يجعل فرصة تعميميه غير ممكنة.

وأخيرا يمكن القول إن التصنيف كان مشابها للمفهوم في متابعة النقاد السعوديين للتنظيرات الغربية والنقد العربي، ومقتصرا على الشعر في تمييز الرواية عن غيرها من الأنواع الأدبية، ومشتملا على حضور

---

[١] العتيبي، مصدر سابق، ص٦٤.
[٢] الشتوي، مصدر سابق، ص٥٢٤. بالنسبة للرواية، إدوارد الخراط، الزمن الآخر؛ (مصر: دار شهدي للطبع والنشر والتوزيع، ١٩٨٥م).

أكبر للطبقة العليا من محور المفهوم السابق، إلا أنه كان في كثير من حالاته ضمنيا يضطر معه القارئ إلى التأويل، كما كان في بعضه تمثيلا للنوع الروائي أو عناصره ولم يكن معيارا حاسما.

كما كان مفتقدا إلى الدقة ومتداخلا مع المعايير العامة للرواية كما في الرواية البوليسية والسياسية، وغالبا عليه التأثر بالتصور البراغماتي للطبقة، وموظفا أحيانا في توضيح بعض القضايا والمفاهيم، مثل صورة المرأة العربية، ومفهوم الاغتراب، والمدينة.

وظائف الرواية والطبقة الاجتماعية

أولا: وظيفة الرواية

سيكون البحث موجها في هذا المحور إلى وظيفة الرواية، أو أحد انواعها، أو عدد من عناصرها بحسب علاقته بالطبقة الاجتماعية.

بداية، لم يكن هناك ربط محدد بين وظيفة الرواية أو أحد أنواعها بطبقة محددة عند النقاد السعوديين، بل كان هناك نقد لذلك، مثله معجب الزهراني وملاحظته على بعض النقاد العرب، مثل: محمد كامل الخطيب وعبد الرزاق عيد، لربطهم وظيفة الرواية بالطبقة العاملة، وعده أثرا من آثار الماركسية[١]، التي تمثل حاجزا بين النص وحرية الناقد في اكتشاف البنى الدالة.

لتأتي رؤية سحمي الهاجري بعد ذلك مثالا للتطور الذي شهدته النظرية الغربية في جعل الرواية خطابا لكل الطبقات، فهو يرى أقصى ما تحققه الرواية هو التعايش[٢]، الذي يعد إمكانا تتداخل ضمنه الطبقات حسب الرؤية البراغماتية وفق مبدأ التعاون، وهي وظيفة جعلها الهاجري لصيقة بالرواية دون شرح لآليات ذلك.

---

[١] الزهراني، آثار نظرية الرواية الغربية في النقد الروائي العربي، ص٨٤، ص ٨٦.
[٢] الهاجري، حوار النصوص، ص١٣٦.

ثانيا: وظيفة الشخصيات

ولقد ارتبطت الوظائف كثيرا بالعناصر والتقنيات على حساب الرواية أو أحد أنواعها، ومنها عنصر الشخصيات، الذي يكون من وظائفه الترميز والنمذجة للطبقات في سماتها المادية والمعنوية وتطلعاتها كذلك[١]، حيث يرى سلطان القحطاني في تحليله لرواية (غيوم الخريف) أن محيسن كان رمزا للطبقات السفلية المغتنية فجأة[٢]، وهي رؤية تتفق وفكرة الرموز عند فاكنارودر Vaknaroder من أنها دلائل ممثلة لعناصر ليست قادرة على التمثيل بأنفسها[٣]، وهي بذلك لا تحقق جزءا كبيرا من دلالتها إلا بربطها بمرجعها الطبقي الذي سيمنحها وظيفة تاريخية كما في المثال السابق، الذي جاراه حسن الحازمي في رؤيته للشخصية ذاتها وأنها كانت أنموذجا لفئة من فئات المجتمع أصبحت ثرية فجأة[٤]، حيث يكون النموذجي مساويا لقيمة الرمز من خلال رحلة يفترضها غوته له؛ تبدأ من الانتقال من الخاص إلى العام ثم إلى المثالي[٥]، لتصبح شخصية محيسن الخاصة ذات مرجعية عامة ونموذجية، تعطي النص قدرة على الانفتاح على خارجه وربطه بسياقه الاجتماعي والتاريخي[٦]، وعليه تكون حالة الثراء المفاجئ شاهدا تاريخيا لما سمي بمرحلة الطفرة في الاقتصاد السعودي، والإحالة إليها بوصفها وظيفة رمزية للشخصية تبقى موضوعية غير فنية، تتناسب ومناهج التحليل الاجتماعي والتاريخي للأدب.

---

[١] عبد الفتاح عثمان، بناء الرواية؛ (القاهرة: مكتبة الشباب، ١٩٨٢م)، ص١٢٢.
[٢] القحطاني، الرواية في المملكة نشأتها وتطورها، ص٢٤٢.
[٣] تودوروف، مرجع سابق، ص٣١٦.
[٤] حسن الحازمي، البناء الفني في الرواية السعودية (١٤٠٠-١٤١٨هـ) دراسة نقدية تطبيقية؛ (الرياض: دار الجنادرية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩م)، ص٥٤.
[٥] تودوروف، مرجع سابق، ص٣٢٧.
[٦] يجعل الربط السابق من النص وثيقة قد لا تتفق والمنطق الرومانسي والرمزي للفنون عموما، الذي يرى في النص رمزا مكتفيا بذاته. ينظر المرجع السابق، ص ص ٢٦٨-٢٦٩.

ولقد عبّر الحازمي عن وظيفة الترميز ولكن بمعنى التمثيل، لما استنتج أن الروائيين السعوديين اختاروا أبطالهم ليمثلوا شرائح اجتماعية مختلفة بدأت تظهر على سطح المجتمع السعودي[١]، وعلى الرغم من محاولات بعض المنظرين الغربيين التمييز بين الطرفين السابقين[٢]، إلا أن العلاقة بينهما تبقى قائمة على مد الشخصية إلى عالمها الطبقي، وفق مبدأ الانعكاس والغاية الاجتماعية التي لا تكون إلا بتحويل القيمة الفردية إلى قيمة جمعية معممة، والقيمة هنا امتداد للقيمة السابقة في رصد تحولات مرحلة الطفرة في المجتمع وآثارها، بواسطة وظيفة الأبطال التمثيلية، التي أكدتها آلاء الهامل في معرض حديثها عن رواية (الرياض نوفمبر ٩٠)، لما جعلت الشاب ممثلا للطبقة الفقيرة، وهو تمثيل اكتسب الصفة الجمعية بواسطة حدث واحد[٣]، وهو اكتساب غير كاف لتحويل الشخصية إلى رمز، وإكسابها وظيفة مرجعية.

فالنقاد السعوديون عادة لا يتطرقون إلى الأسباب الموجبة لتحول الشخصية إلى رمز أو ممثل اجتماعي/طبقي، ولقد حاول حسن الحازمي شرح ذلك باعتماده على ظاهرة الشيوع، وأنها دالة على أن الفعل الذي مارسه البطل كان شائعا لدى طبقته العالية[٤]، غير أن الشيوع ظاهرة تبنى على دراسات وإحصاءات اجتماعية أو على ملاحظة الناقد وخبرته المجتمعية، بيد أنها قد لا تكون سببا واضحا لاعتبار الشخصية أنموذجا، فهي بحاجة إلى توضيح علاقتها بالجوهري في الشيء المرتبطة به ليكون مثالا، فكثير من الممارسات الشائعة قد تكون غير أساسية في التحديد الطبقي، ما يجعل الاعتماد عليها في تحويل الشخصية إلى رمز غير دقيق، وهذا ما سيلاحظ في المحور المتعلق بسمات الطبقة في الفصل القادم.

---

[١] الحازمي، البطل في الرواية السعودية، ص٨٣.
[٢] ومن تلك التمييزات أن التمثيل عقلي متعد والترميز حسي لازم. ينظر تودوروف، مرجع سابق، ص٣٢٦.
[٣] ويكمن الحادث في عدم استطاعة البطل إدخال زوجته مستشفى خاصا. ينظر الهامل، مصدر سابق، ص٨٩.
[٤] الحازمي، البطل في الرواية السعودية، ص٢٨١.

وتربط آلاء الهامل النمذجة بالطبقية، ناقلة ذلك عن أبو ملحة[١]، وهما يعنيان أن هذا النوع من التحليل قد يكون متأثرا بالماركسية التي تحصر المجتمع في طبقاته وعلاقاتها، وهذا ما وضحه بصورة أكبر يونس البدر في ربط النمذجة أو الترميز بالواقعية؛ وقد يقصد بها الواقعية الاشتراكية، وهو ينقل ذلك من كتاب إبراهيم فتحي (معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة)[٢]، وقد يكون هذا الربط له ما يسوغه في ذلك منهجيا، إلا أنه لا يفسر المبادئ الأساسية التي قام عليها منهج الواقعية، فينحصر التوضيح في التعريف كما هو عند البدر، أو الانتقاد كما هو عند أبو ملحة والهامل؛ وبذلك تكون شروط تحول الشخصية إلى نموذج إما غير دقيقة أو غير كافية، كما قد تكون مرتبطة عند بعض النقاد بالرغبة في تحقيق بعض من الواقعية في تحليله، بواسطة سحب المثال على عينة جمعية، يصل فيها بين النص والواقع الذي يراد تمثيله عن طريق ذلك التحويل، بعيدا عن مدى صحة ذلك أو إمكانه.

كما قد يكون الترميز أو التمثيل متعلقا بأكثر من شخصية وجيل، وهذا ما ينطبق على الأسرة التي رأى منصور الحازمي أن الناصر جعلها مثالا للطبقة المتوسطة في روايته (ثقب في رداء الليل)[٣]، وهو إجراء مشابه للإجراءات السابقة في غياب أسباب ذلك التفسير الذي جعل للأسرة وظيفة التمثيل الجمعي.

ومن وظائف الشخصيات المرتبطة بالطبقة، توضيح الفارق الطبقي الذي ذهبت إليه عائشة الحكمي في تحليلها للشخصيات الثانوية في رواية الدوسري (الرياض نوفمبر ٩٠)[٤]، وهو توضيح متسق ورؤية الكاتب التي عبرت عن امتعاضها لوجود تفاوت طبقي كبير رده إلى المنافسة غير المحمودة[٥]، لتكون وظيفة الشخصية الإضافية -التي لم تنتبه إليها الناقدة -التعبير عن قيمة التماسك الدلالي للنص.

---

[١] إلهام أحمد الغامدي، بناء الشخصية في روايات عبد الوهاب آل مرعي وتعالقاتها بالعناصر السردية الأخرى، رسالة ماجستير، جامعة الملك خالد، ٢٠١٤م، ص٢٠.
[٢] البدر، مصدر سابق، ص٢٤.
[٣] الحازمي، فن القصة، ص٤٥.
[٤] الحكمي، مصدر سابق، ص٥٦٧.
[٥] المصدر السابق، ص٢٦٦.

ومن الوظائف أيضا، وظيفة البطل الإيجابي الذي صنفته نورة المري في رواية (سفينة الضياع)، المتمثلة في تجسيد نضال الطبقة الكادحة[١]، وهذا ما يذكر بصورة البطل ووظيفته عند النقاد الماركسيين وأحمد الهواري[٢]، ويدل على سمة المتابعة عند الناقدة، واقتصارها على الدلالة الاجتماعية.

ثالثا: وظيفتا المكان واللغة

أما عنصر المكان، فمن وظائفه الكشف عن الوضع الطبقي للشخصية، فالمجماج يرى ذلك بتأثير من الصادق قسومة في كتابه (علم السرد)، الذي أحال الكشف إلى الأبعاد المادية والاجتماعية والنفسية[٣]، فالطبقة جزء من البعد الاجتماعي المتمثل في المستوى المادي[٤]، والكشف عنها يجعلها ذات دلالة مرجعية، ويجعل من المكان ذا وظيفة اجتماعية، قد لا تمتد إلى ما هو أبعد من ذلك.

وترى حنان الغامدي في تحليلها لـ(وجهة البوصلة) أن مكان النوم وأثاثه يدل على منزلة فضة الوضيعة[٥]، وتمنح هلالة الحارثي الأغنية الشعبية ووصفها للمكان الممثل للطبقة العليا بعدا طبقيا في سياق تحليلها لـ(ميمونة)[٦]، وكلا المثالين لا يتجاوزان وظيفة الكشف، التي قد تكود دليلا على وضع طبقي متداخل مع العنصرية، ولا تصل إلى كشف ما وراءه من دلالات نفسية أو نصية.

---

[١] المري، ملامح البيئة السعودية في روايات إبراهيم الناصر، ص١٩٠.
[٢] ينظر لوكاتش، الرواية التاريخية، ص ص ٣٩-٤٠. وينظر الهواري، البطل المعاصر في الرواية المصرية، ص ص ٥٠-٦٨.
[٣] ناصر فهد سليمان المجماج، بناء الشخصية الروائية في روايات غالب حمزة أبو الفرج، رسالة ماجستير، جامعة القصيم، ٢٠١٣م، ص١٥١.
[٤] لقد أكد ذلك نقاد سعوديون في تحليلاتهم لهذا البعد. ينظر السعيد، مصدر سابق، ص٢٢٣. وينظر الحارثي، مصدر سابق، ص١٠٠.
[٥] الغامدي، مصدر سابق، ص١٩٤.
[٦] الحارثي، مصدر سابق، ص٩١.

أما لغة الرواية -وهي من العناصر البنائية المهمة -فيرى حسن الحازمي ضرورة أن تكشف وتعبر عن ثقافة راويها وتعليمه ومستواه وأفكاره وطبقته[١]، وهي وظيفة متجهة إلى الكاتب وضرورة الإعلان عن وضعه الطبقي بواسطة اللغة، وقد يكون في هذا خدمة للمناهج الاجتماعية والثقافية، لا يتفق ومقصد المناهج الجمالية المعنية باكتشاف المستوى الفني للرواية الذي لن يتحقق إلا باختفاء الكاتب وراء شخصياته التي يجب أن تكون حرة ومتعددة[٢]، حيث ترى في التعدد قيمة فنية موازية لقيمة التعدد الإنساني.

ولقد أشارت المري إلى تغير اللغة بتغير الطبقة بتأثير من رمضان عبد التواب في كتابه (المدخل إلى علم اللغة)[٣]، كما أكد سامي الجمعان -بناء على مسح أجراه -صدق مقولة باختين Bakhtin من تشبع اللغة بالتصورات الطبقية[٤]، إلا أنهما لم يمثلا على ذلك ولم يربطاه بفنية الرواية، وهذا ما تجاوزه محمد أبو ملحة في إعلانه أن في لغة الرواية مستويات متعددة، من وظائفها بعث الحياة والدفء في الرواية والإيهام ومحاكاة الواقع، ومخاطبة الشرائح المختلفة من الناس[٥]؛ حيث تتضمن الشريحة معنى الطبقة، الحامل في ارتباطه تأثرا بباختين Bakhtin لم يشر إليه الناقد[٦].

ولقد أكدت ذلك الإدريسي لما وجدت في التنوع اللغوي عكسا لمظاهر مهنية وطبقية أو ثقافية[٧]، وهو تأكيد مشابه في فنيته وتأثره بإعلان أبو ملحة، وبالتصور البراغماتي للطبقة الذي يجعل من التفاوت مظهرا ملاحظا، ونتيجة متوقعة يمكن تسميتها بالحكم بطبيعة الحال Ipso Facto [٨]، ليكون مجرد عكسها متمما

---

[١] الحازمي، البطل في الرواية السعودية، ص٣٦٣.
[٢] ومن النقاد الذين يعدون التعدد شرطا ونموذجا لفنية الرواية إضافة إلى باختين Bakhtin سيلي.أ.فيدلر Fiedler. ينظر هالبرين، مرجع سابق، ص٢٩٠.
[٣] المري، ملامح البيئة السعودية في روايات إبراهيم الناصر، ص٣٢٧.
[٤] الجمعان، مصدر سابق، ص٤٣.
[٥] محمد بن يحيى أ بو ملحة، السرد العالم الموازي؛ (جدة/بيروت: النادي الأدبي الثقافي/ مؤسسة الانتشار العربي، ٢٠١٥م)، ص٧٩.
[٦] ينظر باختين، الكلمة في الرواية، ص٢٠٢.
[٧] رغدة الإدريسي، صورة البطلة في الرواية السعودية بعد أحداث ١١ سبتمبر حتى عام ٢٠١١م، رسالة ماجستير، جامعة الملك عبد العزيز، ٢٠١٣م، ص٢٠٠.
[٨] وهو الحكم المتوقع على الشيء. ينظر إيرل، مرجع سابق، ص٣٦٦.

لوظيفة اللغة، واستجابة للبنية الخارجية وتمثيلا لها، تمثيلا يجعل من التعدد قيمة فنية، وهو في حقيقته قيمة إنسانية ممهدة لتطور الرواية من الانغلاق إلى الانفتاح، ومن الإقصاء إلى الاستيعاب، ومؤكدة تبعية النص الروائي للخطاب الخارجي وما يفرزه من مبادئ صالحة لأن تكون مجالا للاستدلال والتوظيف.

ولقد كان محمد العباس أكثر بعدا من السابقين، حيث رأى في سياق تحليله لرواية (نبع الرمان)[١] من أن البنية الحوارية المعتمدة على اللغة اليومية دون تعقيد عكست بشكل خفي المفارقات الطبقية، وهو يقصد الفروق التي مثل عليها بحوار مريم اللفتة مع بنات اللبناوي الأرستقراطيات[٢]، ليكون حكمه تطبيقا على وظيفة الحوار، لكنه لم يقف عند الكشف الطبقي وحسب، بل تجاوزه إلى ما خلفه من مفارقات قد تدل على نوع من العلاقة غير العادلة بين الطبقتين، ليكون الحوار دالا على اللغة أو اللهجة المتأثرة بطبقتها التي يبدو بهذا التحليل أنها سببية، وفي هذا دلالة على حرص المتأثرين بالمفهوم السببي في محاولة الكشف عما وراء الوصف من دلالات تظل محصورة في جانبها الاجتماعي.

رابعا: وظائف التقنيات الفنية والوظائف الدلالية

أما على مستوى التقنيات الفنية، فهناك التقابل بين حي راقٍ وحي فقير الذي يراه جمعان الغامدي مهما في تحديد الفضاء الروائي[٣]، وهو تحديد وظيفته البعيدة قد تصل إلى تحديد البؤر الدلالية للنص، وهذا ما لم يتوسع فيه الناقد، وحاول المجماج الإشارة إليه في سياق تحليل رواية (امرأة لابقايا)[٤]؛ وأن التقابل الذي حاولت أن تعيشه ميرفت مثّل المحور الرئيسي للرواية[٥]، في دلالة على تأكيد وظيفة التقابل في كشفها عن الثيمة

[١] أحمد الشويخات، نبع الرمان؛ (بيروت: دار الكنوز الأدبية، ١٩٩٩م).
[٢] العباس، نهاية الخطاب الشفوي، ص١٢٩.
[٣] جمعان الغامدي، ثنائية الأسطورة والواقع في روايات إبراهيم الناصر الحميدان، ضمن ملتقى الباحة الثالث، ص٢٩٣.
[٤] غالب حمزة أبو الفرج، امرأة لا بقايا؛ (بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٣م).
[٥] المجماج، مصدر سابق، ص٤٥.

الأساسية للرواية أو لعنصر من عناصرها، كشفا تكمن فنيته في عدم مباشرته، وفي أثره النفسي الحاصل بالمقارنة بين وضعين طبقيين قد تستدعي التعاطف مع الكادحة الفقيرة منهما.

ومن التقنيات، التشويق الذي يمكن أن يكون نتيجة لوظيفة التقابل الطبقي السابقة، أشار إليه الحازمي في رواية (سوف يأتي الحب)[١] لعصام خوقير، عندما وقف الفارق الاجتماعي الكبير بين شهاب وحبيبته- ابنة الرجل الذي يعمل شهاب لديه -حائلا دون قدرته على البوح بعواطفه معتبرا ذلك من عناصر التشويق[٢]، وهو ما يذكر بوظيفة الصراع الطبقي الفنية عند بعض النقاد العرب[٣]، لقيامها على عنصر المفارقة، الذي ألمحت إليه المري في وصف المكان بناء على السمة السابقة، وأن له دورا في إضفاء الصراع على رواية (عذراء المنفى)[٤]، وهي تعني بذلك الصراعين الطبقي والفني، المانح للنص أحيانا محفزا مسرعا للأحداث وتنامي البنية كما ترى حنان الغامدي[٥]، وإثارة درامية أشار إليها الحازمي في تحليله للرواية ذاتها (عذراء المنفى)، مؤكدا أن التقابل بين الأسرتين المختلفتين طبقيا أثرى الرواية وخلق مجتمعا ضاجا بالحركة والحياة[٦]، وهي سمة مسرحية قديمة منذ عهد أرسطو، كانت مرتبطة بالمحاكاة التي يمكن أن تفسر هنا بالانعكاس، وإثارة الشفقة التي قد تجاوزتها الرواية الواقعية الاشتراكية بإضافة نوع من الوعي الهادف إلى المقاومة[٧]، ومرجع الاختلاف هو تحول الدراما القديمة من الأرستقراطية إلى الطبقة الدنيا، ومن الصراع مع الطبيعة الإنسانية النبيلة، إلى الصراع مع الطبيعة السلبية المتمثلة بحسب المنظور الماركسي في الاستغلال والظلم، وهذا ما لم

---

[١] عصام خوقير، سوف يأتي الحب؛ (جدة: مطابع السحر، ١٩٩٠م).
[٢] الحازمي، البناء الفني في الرواية السعودية، ص١٦٤.
[٣] من النقاد العرب الذين ربطوا بين الصراع الطبقي والفنية محمد كامل الخطيب. ينظر الخطيب، مرجع سابق، ص ص ٣٥-٣٦.
[٤] المري، ملامح البيئة السعودية في روايات إبراهيم الناصر، ص٩٣.
[٥] الغامدي، مصدر سابق، ص٢٦١.
[٦] حسن حجاب الحازمي، بواكير التجديد في الرواية السعودية من خلال عذراء المنفى، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل، مج١٣، ع ١، ٢٠١٢م، ص ٢٨٧.
[٧] ينظر في مفاهيم الدراما عند أرسطو.Cuddon, p 926 .

يتوسع فيه النقاد السابقون، بسبب متابعتهم للأثر دون ربطه بمصدره الذي قد يُخشى فيه من التهمة الأيديولوجية.

ومن التقنيات كذلك، الوصف الذي تكون وظيفته كشف الوضع الاجتماعي، ومن ذلك ما وصلت إليه نورة المري في رواية (رعشة الظل) من أن وصف الطعام من جانب البطل شهد بعدا طبقيا، ينتصر فيه لطعام القرية الكادحة لما تمده بالحيوية والصحة[١]، كما ترى مها الشايع أن وصف محيسن في رواية (سقيفة الصفا) لمنزله كشف عن طبقته الاجتماعية[٢]، وهذه الوظيفة مشابهة لوظيفة المكان في انحسار دورها على الوصف المحض الذي لا تُبنى عليه نتائج أو تفسيرات، كما أنه مرتبط بالجانب الدلالي الاجتماعي دون بحث عن علاقته بالعناصر الروائية، أو أثره في بنائها فنيا.

ومن الأمثلة على ذلك -أيضا -ما تراه سميرة الحارثي من أن اعتناء المحيميد بالبعد الاجتماعي لشخصية منيرة الساهي في رواية (القارورة) كان وظيفته الكشف عن طبقتها الراقية[٣]، وهي أوصاف متوقعة بناء على وضع الشخصية، تحدد نمطا لطريقتها في العيش، إلا أنها تقف كما وقفت الأمثلة السابقة، عند التحديد والوصف الخارجي، الذي كثيرا ما يكون على حساب السبر النفسي للشخصيات، وهذا ما انتبهت إليه المري في نقدها للناصر، وأنه استخدم الوصف للحي والسوق والبيت لإبراز التفاوت الاجتماعي، لكن ذلك على حساب الأبعاد النفسية[٤].

ومما يدخل في تقنيات الوصف أيضا، العرض والإخبار الذي تعرض لهما حسن الحازمي في حديثه عن طرق عرض الشخصيات وأبعادها، فهو قسمها إلى قسمين: قسم مباشر سماه الإخبار وقسم غير مباشر

---

[١] المري، ملامح البيئة السعودية في روايات إبراهيم الناصر، ص٢٣٥

[٢] الشايع، مصدر سابق، ص٢٢٤.

[٣] الحارثي، مصدر سابق، ص ص١١٤- ١١٥. شملت هذه الأوصاف: الصور الكثيرة لها في الغرفة، والصور المحفورة في السيراميك في حمامها الخاص، ووصف الزينة التي تتحلى بها، إضافة إلى سكنها في فيلا، وتمتعها بغرفة خاصة وخادمة وسيارة وحديقة.

[٤] المري، ملامح البيئة السعودية في روايات إبراهيم الناصر، ص٢٩٧.

سماه العرض، ليرى أن الكشف عن الطبقة يكون من نصيب القسم الأول، ويمثل لذلك بشخصية البطل في (ليلة عرس نادية)[١]، وأنه رجل أعمال منتم إلى طبقة التجار[٢]، ليدل ذلك على وظيفة الوصف المحدودة في علاقتها مع الطبقة الاجتماعية والنص الروائي.

ومن التقنيات المتصلة بالطبقة الاجتماعية الحوار، الذي لا يكون جديا وفاعلا إلا إذا ارتبط بالطبقة الدنيا والتعبير عن مأساتها كما ترى سميرة الحارثي[٣]، وهي بذلك تضع وظيفة للحوار متابعة للمنظور الماركسي في تحيزه للطبقة الدنيا، وهو تحيز لم تصرح به الناقدة أو تبني عليه موقفا أيديولوجيا، كما لم توضح كيفية تحقيق وظيفة الحوار السابقة ولم تدعمها بالأمثلة، فكانت غير واضحة وقابلة للتأويل المتعدد.

ومن وظائف الحوار الكشف عن طبقة الشخصيات، ومنها شخصية البطل الذي يرى الحازمي في سياق تحليله لـ(ثمن التضحية) أنه كان كاشفا عن طبقته[٤]، وهي وظيفة تؤكدها المري في سياق تحليلها لـ(عذراء المنفى)، إلا أنها تربطها بالشخصيات كلها[٥]، وهو كشف مشابه لوظيفتي المكان والوصف، محصور في تأكيد بعض القيم الخارجية، مثل: قيمة انتماء الكاتب لطبقته، وقيمة التعدد، وهما قيمتان خارجيتان قائمتان إلى حد كبير على نظرية الانعكاس ومبدأ القراءة الحرفية الظاهرية، ووجودهما قد يساعد في استنتاج دلالة النص أو فنيته، إلا أن الناقدة لا تربط بين القيمتين وعلاقتهما، لتتحول الوظيفة إلى استنتاج عام مقترن بالتطبيق لا التنظير[٦]، والانتصار للخطاب الخارجي وقيمه المتحولة إلى معيار فني.

---

[١] عبد الله الزهراني، ليلة عرس نادية؛ (الطائف: النادي الأدبي، ١٩٩٠م).
[٢] الحازمي، البطل في الرواية السعودية، ص٤٦٤، ص٤٩٢.
[٣] الحارثي، مصدر سابق، ص٢٨٤.
[٤] الحازمي، البطل في الرواية السعودية، ص٣٣٤.
[٥] المري، ملامح البيئة السعودية في روايات إبراهيم الناصر، ص٢٢٣.
[٦] تؤكد هذه الفكرة ما وصلت إليه لمياء باعشن من أن الناقد السعودي لا يشتغل بالتنظير، بل ينقله عن ناقل، وهي تقصد هنا أن نقله متأثر بالنقد العربي الذي ينقل أيضا عن النظرية الغربية، فهو متحرك عن أصله مرتين. ينظر لمياء باعشن، في بواكير النقد الأدبي السعودي ضمن ملتقى النقد الأدبي الدورة الأولى (الخطاب النقدي في مراحله المبكرة)؛ (الرياض: النادي الأدبي، ٢٠٠٨م)، ص١٦١.

ومن التقنيات المتصلة في وظيفتها بالطبقة، التناص الذي ألمحت إليه المري في رواية (ثقب في رداء الليل) لما استدعت قوله تعالى: "المال والبنون زينة الحياة الدنيا"[١]، بغرض إبراز التفاوت الاجتماعي بين عيسى النجدي التاجر وأهالي البصرة الفقراء، والاستدلال بقوله تعالى: "والله فضل بعضكم على بعض في الرزق"[٢] في رواية (رعشة الظل) لتأكيد التفاوت الاجتماعي[٣]، ليكون التناص إستراتيجية لدى الكاتب وظيفته الإشارة والتأكيد على الدلالة الكلية للنص، التي كانت الطبقية المكون الرئيس لها، إلا أن الناقدة لم توضح إذا كانت تلك الآيات لها وظيفة بث روح الصبر والقناعة عند الطبقة الكادحة، أم التعريض بمنطق الطبقات العليا العامل على توظيفها وسيلة لإخفاء استغلالهم لمبدأ التفاضل والعمل على توسيعه، فالتفاوت والتفضيل قد يكونان سمة من سمات أي مجتمع بشري، إلا أن توسيعها عن طريق الاستغلال قد لا يحتمله معنى الآية، كما أن ارتباط الطبقة بوظيفة التناص كان عرضيا لارتباطها بالدلالة التي يكون الكشف عنها هو المقصود بوظيفة التناص الأساسية عند الناقدة.

أما بالنسبة لوظيفة بعض المواضيع الدلالية المتصلة بالطبقة، فيمكن الاستدلال بما أشار إليه المهوس في سياق تحليله لـ(وجهة البوصلة) من أن مشاهد الجنس كان وظيفتها تأكيد الازدواجية في تركيبة المجتمع بين أسياد وعبيد، مستشهدا في ذلك بالمشاهد التي جمعت فضة مع ابن السيد[٤]، وأن الهدف منها لم يكن بدافع الإثارة وإنما التأكيد على حرص فضة في سرقة ما يرقيها طبقيا، وهي وظيفة متأثرة بمفهوم الطبقة المتداخل مع العنصرية من جانب، كما قد تكون خاصة بذلك المشهد من الرواية من جانب آخر، إلا أنها تحمل بعدا تأويليا يعمق مأساة تلك الطبقة، يرتقي فيه الناقد عن القراءة الحرفية.

---

[١] سورة الكهف، آية ٤٦.
[٢] سورة النحل، آية ٧١.
[٣] المري، ملامح البيئة السعودية في روايات إبراهيم الناصر، ص٣٥٩.
[٤] المهوس، صورة الرجل في الرواية النسوية السعودية، ص٦٩.

ويلحظ مما سبق أن وظيفة الرواية قد خلت من ربطها بطبقة اجتماعية محددة، إلا أنها عوضت ذلك بالحديث عن العناصر والتقنيات، وعلاقتها بالطبقة الاجتماعية، حيث يلحظ في العناصر أن الشخصيات كان لها النصيب الأكبر، خصوصا في وظيفتها الرمزية والنموذجية التي لم تكن دقيقة وكافية خصوصا في تحول الشخصية إلى رمز دال.

أما التقنيات فكان أغلبها موجها للكشف عن الطبقة والتفاوت المعيشي، إلا أنها جاءت في سياق التحليل لا التنظير، محدودة بالوصف الخارجي والقيم الإنسانية العليا مثل الانتماء والتعدد، مؤكدة تبعية النص الروائي لها، وغلبة الجانب التطبيقي على النقد السعودي، الذي جاءت أحكامه متابعة للنظرية الغربية، واقفة عند آثارها، منقطعة عن أصولها، ومبتعدة عن تمثل أيديولوجياتها.

استنتاجات

بناء على ما سبق؛ يمكن استنتاج الآتي:

-متابعة النقاد السعوديين للتنظير الغربي، متابعة اختلفت بين التصريح والتضمين والرواية الغربية والسعودية، إلا أنها سايرتها في الربط بين الرواية والطبقتين الوسطى والدنيا في تفسير نشوء الرواية وماهيتها، ثم في تطورها الحاصل بين الرواية والطبقات كلها، وأخيرا في ربط الرواية بالجانب الإنساني، كما تأثرت بها في نقد الارتباط بين الرواية وطبقة بعينها، خصوصا برؤية باختين Bakhtine المشتملة على قيمة التعدد، وبالتأرجح بين التصورين السببي والبراغماتي للطبقة الاجتماعية، وهو تأثر لم يتعد مستوى التعريف بالنظريات ومفاهيمها، أو الاستعانة بها في نقد غيرها، استعانة لم تكن دقيقة في معاييرها، كما كانت موظفة لقضايا أخرى.

-متابعة النقاد السعوديين للنقد العربي، بالقفز أولا على فرضية التفاوت الطبقي وعدم التأكد من صحتها بدراسات اجتماعية، وباستبدالهم الوسطى بالبرجوازية، التي فسرت بطبقة المثقفين والتجار، وبتوظيفهم للقضايا النظرية في مسائل التأكيد على الفردية والاستقلال والحرية بوصفها قيما بورجوازية، لتكون البرجوازية وسيطا اجتماعيا أكثر من كونها طبقة، كما تابعتها في تمييز الشعر عن الرواية تمييزا قائما على الطبقية، وعلى الربط بين الصراع الطبقي والدراما الفنية.

-اختلاف النقاد السعوديين عن التنظير الغربي والنقد العربي في التأثر بمفهوم الطبقة الواسع المتداخل مع العنصرية، وبالتصور الإسلامي للأدب والرواية الذي عمل على نفي الطبقة دون وضع بديل لها، وتوسيع النظر إلى قضايا عمومية تتعلق بالمعتقد والأخلاق بعيدا عن الجوانب النظرية والفنية، كما توسعوا في التطبيق الذي غلب عليه الاستعانة بالجوانب النفسية في بعض المسائل، استعانة كانت أقل حدة من الجوانب السياسية، ما ساهمت في منح الطبقة دورا مهما في مفهومي اللاشعور والهوية، كما لم يمنحوا للطبقة العليا سببا في رفض الرواية.

-كان للمتابعات السابقة أثرها في غلبة التطبيق على التنظير، وخصوصا في جانبي التصنيف والوظيفة، حيث كانا توصيفات ودلائل عامة أو عرضية، وتمثيلات خاصة بمادة الدراسة التي أحيانا لا تتجاوز الرواية الواحدة، كما لم تبن على مفاهيم وآليات واضحة، مثل شروط تحول الشخصية إلى رموز، ولم تصل إلى حدود استخلاص قوانين منها صالحة للتعميم.

-مُنحت الطبقة الاجتماعية إسهام أكبر من إسهام التنظير، حيث أصبحت مرجعا ومعيارا ومثالا لكثير من تحليلات النقاد السعوديين، غّلب الجانب الموضوعي فيها على الجانب الفني، إلا أن ذلك الإسهام كان مختلفا باختلاف التصورين السببي والبراغماتي، فالأول كثيرا ما كان يوجه النقاد السعوديين إلى التفسير والتعليل، على عكس البراغماتي الذي كان له أثر كبير في الوصف والتصنيف.

-كشف النقد السعودي بعضا من سمات الطبقات الاجتماعية، التي كشفت عنها وظائف بعض العناصر البنائية للنص الروائي، إلا أنها سمات مختلفة ومتنوعة، لتنوع النصوص الروائية، واختلاف منظورها بحسب كاتبها وتكوينه الثقافي، وخضوع النقاد للقراءة الحرفية الظاهرية، الملتزمة بالسمات كما جاءت في النص دون التوسع في قراءة مدلولاتها؛ ما جعل رؤية النقاد للرواية ملتبسة بالتاريخ وخطابه التوثيقي.

-أعطى النقد السعودي للثقافة رأس مال لا يقل أهمية عن معياري الدخل والوظيفة، وهذا ما يلحظ في تفسير الطبقة الوسطى بالمثقفين.

تلك أهم النتائج المستخلصة من علاقة النقد السعودي الروائي بالجوانب النظرية المتصلة بالطبقة الاجتماعية، التي ستتحول إلى معايير يقاس عليها تأثر النقاد السعوديين بها في الجوانب التطبيقية في الفصل القادم.

الفصل الخامس

النقد السعودي الروائي والطبقة الاجتماعية: الجوانب التطبيقية

الفصل الخامس: النقد السعودي الروائي والطبقة الاجتماعية: الجوانب التطبيقية

سيكون هذا الفصل استقصاء للجوانب التطبيقية في النقد السعودي المتأثرة بعلاقة التنظير الروائي بالطبقة الاجتماعية، وستشمل الأحكام التحليلية بما فيها من وصف وتفسير، إضافة إلى الأحكام التقييمية، وما أكدته من تأثيرات تلك العلاقة على مستوى العناصر البنائية، أو دلالاتها الممتدة إلى الطبقة الاجتماعية ذاتها ومحاولة توضيح سماتها المستنتجة من رؤية الكاتب أو بنية النص الروائي.

كما سيكون الجانب التطبيقي ممثلا في الأحكام النقدية التي تعد نتائج لرؤية الناقد المختلفة في مستوى وضوحها وعمقها وغايتها، ابتداء بالوصف الذي يتداخل معه التعليق والشرح أحيانا، ويكون عادة شبيها

بالمقدمة التي يستعين بها الناقد للوصول إلى النتائج، التي تمثل هي الأخرى مستوى آخر من الأحكام النقدية تكون فيه أكثر سبرا للنص؛ إذ تنتهي إلى استنتاجات أو تصورات أو مستخلصات نهائية.

كما قد يكون الحكم عاما أو خاصا بنص أو عنصر أو كاتب محدد، أو قد يكون موضوعيا متعلقا بمضمون النص، أو فنيا متصلا بأدوات تحقيق شكله، وهي أحكام؛ لأنها تمثل في نهاية الأمر موقف الناقد الذي عادة ما يكون متعلقا بنظرية عامة، أو آلية تحليلية، حاول بتطبيقها إثباتها وتعميمها، أو دحضها والتقليل من صحتها.

الأحكام التحليلية التقييمية وتأثرها بالجوانب النظرية

أولا: أحكام متأثرة بعلاقة الرواية بالطبقة والطبقات

سيتضمن هذا المحور مناقشة الأحكام التحليلية والتقييمية للنقاد السعوديين حول الرواية؛ مفهومها وتصنيفها ووظيفتها، ومدى تأثرها بالجوانب النظرية السابقة، وتوزعها بين المسألتين الفنية والموضوعية.

ففي علاقة الرواية بالطبقة تظهر أحكام وصفية وتفسيرية موحية بذلك، ومنها ما يراه منصور الحازمي من أن دمنهوري صور البيئة المحلية في مرحلة انتقالية بدأت بالتعليم وظهور الطبقة الوسطى المستنيرة[١]، وهو حكم يمكن عده بشكل تأويلي مقدمة يسعى بها الناقد تفسير ريادة دمنهوري الفنية في الرواية السعودية[٢]، التي جاءت بناء على الوصف السابق استجابة لتغير البنى الاجتماعية المفرزة للطبقة الوسطى الذي كان

[١] الحازمي، فن القصة في الأدب السعودي الحديث، ص٤٣.

[٢] ومنها وصفه لرواية دمنهوري بأنها النموذج الفني للرواية السعودية، المصورة للطبقة المتوسطة في مرحلة نموها. ينظر منصور إبراهيم الحازمي، موسوعة الأدب العربي السعودي الحديث نصوص مختارة ودراسات؛ (الرياض: دار المفردات، ٢٠٠١م)، مج ٥ الرواية، ص٢١. ولقد تابعت ريم الرويثي الحازمي في ذلك؛ حيث وصفت ثمن التضحية بالرواية السعودية الأولى الناضجة فنيا، كما ترى أنها اشتملت على تصوير للبيئة المحلية في مرحلة انتقالية بدأت بالتعليم ونمو الطبقة المتوسطة. ينظر ريم نايف الرويثي، الرواية عند قماشة العليان: دراسة نقدية تحليلية، رسالة ماجستير، جامعة طيبة، ٢٠١٤م، ص٩.

التعبير عنها نشوءا لفنية الرواية، وهو بهذا يعمل على تطبيق نظرية الربط بين الرواية والطبقة الوسطى، متابعا في ذلك محاولات بعض النقاد العرب الذين ربطوا بينهما، مبتعدين عن معظم التنظير الغربي باستبدالهم الطبقة الوسطى بالبرجوازية، وحصر دورها في التثقيف لا التثوير[١]، كما يحمل الحكم السابق تطبيقا على نظرية الانعكاس بين البنية الاجتماعية والبنية الفنية.

ولقد جارت عائشة الحكمي التطبيق السابق، فربطت بين الفئة الجديدة- وهي تقصد بها الطبقة الوسطى- التي كانت نتيجة للأوضاع الاقتصادية وفن الرواية[٢]، إلا أن حكمها كان عاما ومدخلا للرواية الغربية، وتمهيدا لربط الرواية العربية والسعودية بالطبقة السابقة، وتطبيقا لم تنتبه الحكمي إلى تاريخيته التي تتطلب عددا من الشروط الاقتصادية والاجتماعية التي لم تثبتها، بل حاولت تأكيده لما عللت انقطاع القصة العربية عن الموروث الشعبي بسبب عدم تلبيته حاجات البرجوازية الصاعدة[٣]، وهي تقصد بذلك انقطاع الأشكال القديمة من مقامات وسير وأحاجٍ، وقيام الرواية مقامها بعد ربطها بالبرجوازية المفسرة بالوسطى، لتطبق بحكمها ما مهدت له في استنتاجها السابق من الربط بين الطرفين ربطا آليا ومتابعا للنظرية الغربية.

ولقد حاولت غفران قسام أن تربط بين زيادة الوعي النسائي بسبب ارتفاع شأن الطبقة الوسطى بعد اكتشاف النفط، وتطور خطابهن الروائي[٤]، وهو ربط انعكاسي مباشر لم توضح الناقدة دلائله في رؤية الكاتبات أو طريقة تشكيلهن للخطاب، فكان حكمها بالمصادفة Per accidens[٥]؛ غير أنه تطبيق لنظرية الربط بين الرواية والطبقة الوسطى التي فسرتها بالمثقفين، فكانت بذلك متابعة لفيصل دراج وربطه بين الرواية والطبقة

---

[١] ينظر الشنطي، مرجع سابق، ص١٩. الموسوي، مرجع سابق، ص١٠.
[٢] الحكمي، مصدر سابق، ص ص ١٨٤-١٨٥.
[٣] الحكمي، مصدر سابق، ص١٥٨.
[٤] قسام، مصدر سابق، ص ص ٤٣-٤٤.
[٥] الحكم بالمصادفة: هي المعلومة العارضة للشيء، فالأعزب رجل غير متزوج أما كونه قصيرا فهي معلومة جاءت بالمصادفة. ينظر إيرل، مرجع سابق، ص٣٦٧.

المثقفة في الفصل الثاني[١]، إلا أنها اختلفت عنه في رؤية المثقفين طبقة وسطى، أما دراج فلقد اعتبر اهتمامهم بالرواية اهتماما ذاتيا وفرديا.

وإذا كانت الأحكام السابقة خالية من الامتثال لبعض المواقف الأيديولوجية التي توظف الرواية في تأكيد تحيزها لطبقة ما، فإن إبراهيم الشتوي يكشف عنها في قراءته لرواية (يحدث في مصر الآن)، وأنها كانت تعبيرا عن أيديولوجيا محرضة ضد الإقطاع[٢]، وهو بهذا يحلل رؤية القعيد ويحيلها إلى المنظور الماركسي الذي يحصر الرواية في معاداتها للطبقات المهيمنة[٣]، ويصدر حكمه الذي كان تطبيقا لوظيفة الرواية الواقعية الاشتراكية.

كما يرى الشتوي -أيضا -أن رواية (حكاية المواطن والضابط) صورت المناضل المثالي الذي يكون ولاؤه للعمال ضد الفكر الرأسمالي المهيمن[٤]، وهو وصف توضيحي لرؤية الروائي التي يبدو أنها ماركسية من دون تسمية لها أو حكم عليها، إلا أنه منطوٍ على تأثر بنظرية الربط بين الرواية والطبقة الدنيا، سعى الناقد بصورة ضمنية إلى التطبيق عليها، فكان صمته عن تسميتها تأييدا لصحة الفكرة، أكده في محاولات نقدية أخرى ربط فيها بين الرواية وتحيزها للطبقة العمالية الفقيرة، كما في حكمه السابق على هذا.

وترد نورة المري تغلغل الناصر في نفوس الفقراء إلى سببين: الأول لأن الروائيين العرب أرادوا الوقوف ضد الرأسمالية وإسقاطها، والثاني لانتماء معظم الروائيين- ومنهم الناصر- إلى الطبقة البرجوازية الصغيرة[٥]، وهي بهذا تفسر رؤية الكاتب بواسطة قيمة الانتماء كما هو واضح في السبب الثاني، وتؤكد على نظرية الانعكاس التي يكون فيها الروائي ممتثلا لرؤية طبقته التي تكون هي رؤية العالم كما يرى غولدمان

---

[١] ينظر دراج، نظرية الرواية والرواية العربية، ص ص ٥٩-٦٠.
[٢] الشتوي، مصدر سابق، ص ص٢٤٠-٢٤١.
[٣] ينظر بيتروف، مرجع سابق، ص٢٦، ص١٤٠.
[٤] الشتوي، مصدر سابق، ص ٣٨٧.
[٥] المري، ملامح البيئة السعودية في روايات إبراهيم الناصر، ص٥٨.

Goldman، إلا أن السبب الأول يتضح فيه البعد الأيديولوجي الماركسي الذي يرى في الرواية وسيلة للمقاومة ونضالا ضد الطبقات العليا التي يُنظر إليها على أنها مهيمنة ومستغلة، وهو ما أرادت المري توضيحه من دون الانخراط فيه، فقدمت أمثلة على ذلك، منها أن سلمان في رواية (غيوم الغريف) كان برجوازيا – وهي تقصد برجوازيا صغيرا -ناقدا لما يشاهده من تصرفات بعض الأثرياء[١]؛ لتستنتج بذلك الرؤية التي ترى في الرواية خطابا تقويضيا لخطاب السلطة الذي يمثله الأغنياء، وتطبق عليها[٢].

ولقد حاول الحسون أن يستنتج حكما عاما للرواية في علاقتها مع كل الطبقات، لما جعل من تمثيل الشرائح المختلفة دلالة على تطور الرواية السعودية[٣]، إلا أن حكمه كان مقدمة غير أساسية، فهو لم يعد إلى تأكيدها والتمثيل عليها.

ثانيا: الأحكام النقدية للرواية الواقعية الاشتراكية

أما الأحكام الناقدة لعلاقة نوع من أنواع الرواية بطبقة محددة، فمنها: انتقاد حسن الحازمي للواقعية الاشتراكية؛ لتركيزها الاهتمام على الطبقة العاملة ومشكلاتها وكأنها الشريحة الوحيدة للمجتمع، وإغفالها للمشكلات الأخرى[٤]، وفي هذا حكم تقييمي عام للمنظور الاشتراكي الذي حاول الشتوي والمري توضيحه في الفقرات السابقة من دون تبنٍ له، حيث كان الحازمي أبعد منهما، فلم يكتف بالتوضيح، بل وجه نقده باسم الشمولية التي ترى بضرورة أن تكون الرواية خطابا لكل الطبقات.

---

[١] المري، ملامح البيئة السعودية في روايات إبراهيم الناصر، ص٢٧٧.

[٢] وهو تطبيق مارسه عالي القرشي في قراءته لرواية (سماء فوق إفريقيا) لعلي الشدوي، التي أظهرت-بناء على وصفه-طرفين متقابلين؛ وهو يقصد طبقتين متقابلتين كانت الغلبة فيها للطبقة المهمشة، فكان حكمه وصفيا، ومتابعا للأحكام السابقة في عدم احتفائه أو نقده لنظرية الربط بين الرواية والطبقة الدنيا بلغة انفعالية، بل كان بيانا للرواية دون نسبة كاتبها أو روايته لموقف أيديولوجي محدد. ينظر القرشي، مصدر سابق، ص ص ١٩٣-١٩٤.

[٣] الحسون، مصدر سابق، ص٧٠.

[٤] الحازمي، البطل في الرواية السعودية، ص٧٨.

ولقد كان من الممكن أن يكون الحكم السابق تمهيدا للملمح التطوري لنقد الرواية في علاقتها بالطبقة، إلا أنه جاء في سياق مقابلة الواقعية الأيديولوجية بالإسلامية، فهو يشيد بالأخيرة لأنها لا تحبذ الصراع بين الطبقات، إشادة ينقلها من حلمي القاعود في دراسته (الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني)، ويحصرها في ثنائية الخير والشر، وأنهما ليسا قاصرين على طبقة بعينها، كما أنه يرى الطبقة ليست العنصر الحاسم في النص الروائي وإنما الإرادة الفنية ومكوناتها[1]، وهو يجمع بهذا النقد بين الحكمين العقدي والفني، فالقاعود حاول استبدال القيمتين بالطبقتين إلا أنه وسع المسألة، وفتح السؤال على ما يؤول إليه الصراع الطبقي، فهو ليس تمثيلا للقيمتين السابقتين بقدر ما هو تمثيل للصراع السياسي وما يترتب عليه من قيم قد تشوه المجتمع أو تحسنه، كما أن الاحتكام إلى القيمة الفنية قد يضعف من وصف الإسلامية الذي كثيرا ما يكون متصلا بالمضمون وقيمه المطلقة[2]، ولعل تأثر الحازمي بنظرة الإسلاميين فوّت عليه مسألة إمكان تطور الحكم النقدي وفتحه على جوانب إنسانية، تكون فيه الرواية أكثر استيعابا للظواهر الاجتماعية والفنية[3].

ثالثا: أحكام نقدية متأثرة بالتصنيف والوظائف

ومن الأحكام التفسيرية المتوسلة بالتصنيف، تصنيف منصور ضباب المكان في رواية (العالم الجديد) لنقولا حداد إلى أليف ومضاد، فالأليف؛ لأنه شهد لقاءات المتطلعين إلى مستقبل يسوده العدالة والمساواة من عمال كانوا أجراء في مصانع الأرستقراطيين، أما المضاد؛ فهو المكان المشتمل على الظلم الواقع على الفقراء

---

[1] الحازمي، البطل في الرواية السعودية، ص٨٠.

[2] لقد أشار البازعي والرويلي إلى أن اقتصار نقد الإسلاميين على المضمون يعد من أكثر الملاحظات الموجهة إلى دراساتهم. ينظر البازعي، الرويلي، مصدر سابق، ص٢٦.

[3] وهو تأثر يشاركه فيه محمد بن مريسي الحارثي لما وجد في الافتتان بالتجربة الشيوعية، والإحساس بالتكوين الطبقي، والزعم بالصراع ابتعادا عن أصول الانتماء، التي يُستنتج من نقده أنها ممثلة في الدين، وأنها سبب في اهتزاز القيم في الرواية العربية والخطابات الأخرى غير الأدبية ، وهو حكم تقييمي يطلقه بناء على رواية واحدة، وقراءة حرفية أخلاقية لمظاهرها غير المألوفة، ينتقد فيه ارتباط الرواية بالطبقة، إلا أنه لم يمده إلى الجانب الإنساني بل حصره في رؤية مماثلة لرؤية الطبقة المحدودة في الانغلاق على فئة محددة وإقصاء غيرها. ينظر محمد مريسي الحارثي، اهتزاز القيم في الخطاب الروائي العربي وليمة أعشاب البحر أنموذجا، من ضمن كتاب الرواية بوصفها الأكثر حضورا، ص ص ١٨١-١٨٢.

والعمال والبسطاء من الناس[1]. وهو تصنيف يظهر فيه الناقد تعاطفه مع الطبقة الفقيرة دون ارتباط بأيديولوجيا معينة؛ حيث وصف مكان أحلامهم بالأليف وهو في حقيقته حكم للعلاقة التي تسود مجتمعيه والأمل الذي يودون تحقيقه، وعلى عكسه كان المضاد الذي يمكن تفسيره بالموحش والمعيق لتطلعاتهم.

كما يقتضي التصنيف أحيانا التمييز بين رؤيتين وتفضيل إحداهما على الأخرى، ليكون حكما تقييميا قد يكون مبنيا على رؤية مسبقة أحيانا، فغفران قسام في سياق حديثها عن علاقة النص بالواقع الذي تسميه (حقيقة)، تقارن بين سارة الزامل ورجاء الصانع؛ حيث ترى أن الأولى تحدثت عن واقع أما الصانع فترى النص من وجهة نظر برجوازية مختلفة عن حقيقة واقعها[2]، ولعل الناقدة قصدت بالواقع: المحيط الاجتماعي الشامل، وفضلت الزامل؛ لأنها نقلته بصورة مباشرة وشاملة، وكأنها بذلك تنتقد نظرية الربط بين الرواية وطبقة محددة، لتطبق في حكمها السابق نظرية ربط الرواية بالطبقات كلها، إلا أنه ربط آلي مباشر، يخلو من التفاعل مع المجتمع وطبقاته، فالروائي ليس مؤرخا أو مصورا فوتوغرافيا، بل يحاول صنع مجتمع موازٍ يعبر فيه عن موقفه وحلمه، وهذا ما لم تنتبه إليه قسام، فكان حكمها مبنيا على مبدأ الشمولية، وهو غير كاف لتفسير فنية الرواية في علاقتها مع طبقات المجتمع كافة.

كما تتضمن بعض الأحكام تأثرا بوظيفة الرواية المرتبطة بموقفها من طبقة محددة، ومن ذلك رؤية خالد الرفاعي للشخصية ذات المرجعية الاجتماعية، وأنها أكثر الأنواع تعرية للمجتمع ونقدا له وكشفا لتناقضاته؛ حيث بدت له تلك الشخصية أكثر إحالة إلى الطبقة المتوسطة[3]، وهو حكم وصفي في ظاهره، إلا أنه تفسيري إذا أخذت علاقة الرواية بالطبقة من حيث وظيفتها التي حاولت النظرية الماركسية والمتأثرين بها

---

[1] ضباب، مصدر سابق، ص١٠١-١٠٢.
[2] قسام، مصدر سابق، ص٦٨.
[3] الرفاعي، مصدر سابق، ص٢٥٨.

من النقاد العرب إلصاقها بالطبقة الدنيا في هذا السياق[1]، فقصد الرفاعي بالكشف هنا؛ كشف الكاتب لطبقته التي ينتمي إليها والطبقات الأخرى، فالنقاد العرب ينطلقون من المفهوم السببي، أما الرفاعي فينطلق من المفهوم البراغماتي، وكلاهما يتفق في وظيفة الكشف لكنهما يختلفان في غايته ومقصده.

ويلحظ مما سبق أن تلك الأحكام الممثلة للجانب التطبيقي كانت متابعة للتنظير الغربي والنقد العربي في التطبيق على فكرة الربط بين فنية الرواية وتطورها بالطبقة الاجتماعية الوسطى، أو ربط وظيفة نوع منها بطبقة معينة، وهي متابعة في جعل الرواية انعكاسا للبنية الاجتماعية، إلا أنها كانت محصورة في التوضيح دون إشادة أو انتقاد أو انخراط في أيديولوجية تحاول توظيف ذلك، كما أن محاولة انتقاد ذلك الربط الآلي أو المؤدلج لم يكن منفتحا على خطاب الرواية الإنساني، بل كان حكما عاما مفتقرا إلى سياق تحليلي وتاريخي يسنده، أو كان متأثرا بالنظرة الإسلامية للأدب التي- هي الأخرى- لم تفتح الخطاب الروائي بل أغلقته بمنظور آخر مختلف، كما كان مبنيا على مبدأ الشمولية لا الفنية.

الأحكام التحليلية وعناصر الرواية

أولا: عنصرا المكان والزمن

تشمل بعض الأحكام النقدية توصيفا أو تفسيرا لبعض العناصر البنائية للنص الروائي، ومن ذلك عنصر المكان الذي حاولت نورة المري الاعتماد على طبقيته في تقديمها لرواية (عذراء المنفى) التي ترى أنها كانت موزعة بين الحي الشعبي والراقي[2]، ورواية (رعشة الظل) التي كان المكان فيها- خصوصا الأسواق

[1] يرى ماركس Marx أن الرواية الواقعية كشف للوجه الاجتماعي والأخلاقي القبيح للطبقات المسيطرة، وكشف للحقائق السياسية والاجتماعية أكثر من كشف السياسيين والقادة الاجتماعيين. ينظر بيتروف، مرجع سابق، ص١٢٢. ومن النقاد العرب، ينظر شمس الدين موسى، مرجع سابق، ص٩٠.

[2] المري، ملامح البيئة السعودية في روايات إبراهيم الناصر، ص١٢٦.

والأحياء- محصورا بين الطبقتين؛ العليا والدنيا[1]، وهما حكمان وصفيان يصلحان لأن يكونا مقدمة لنتيجة وصلت الناقدة إليها سابقا متمثلة في تحيز الناصر للفئة الفقيرة[2]؛ حيث كان من الممكن أن يسندها الوصف السابق المثبت لثنائية قد يروم الكاتب من تكرارها إلى تسجيل موقفه من الطبقة العليا، إلا أن المري لم تستغل ذلك ومالت إلى الاكتفاء بالوصف.

كما رأت المري في حكم نقدي آخر، أن نوافذ القصر المتوهجة دالة على الثراء والحياة الأرستقراطية[3]، وهي دلالة قد تشير إلى ما هو متصل برؤية الناصر الطامحة إلى إثبات الفارق الطبقي، الناتج عن استغلال حاجات الفقراء والعمال، والمكون لتراتبية مجحفة، سماها سعد الدوسري في روايته (الرياض نوفمبر ٩٠) بالمنافسة غير المحمودة من قبل الطبقات الثرية[4]، إلا أن المري لم تطور وصفها، فكان حكمها تقريريا.

وتستخلص عائشة الحكمي أن المنزل من أكثر فضاءات الإقامة حضورا في الرواية السعودية مقارنة بالفلل والقصور، رادة ذلك إلى عدم وجود أسرة غنية[5]، وهو تفسير تستعين فيه بنظرية الانعكاس المعبرة عن مجتمع الكاتب أو الرواية، وتقدمه على تفسير محتمل آخر، يكمن في قصدية تغييب كل ما هو دال على الطبقة العالية؛ ليكون التغييب إستراتيجية أخرى تضاف إلى إستراتيجية التقابل عند الناصر في التعبير عن رفض الطبقية الممثلة في الاستغلال والظلم، إلا أن الناقدة اكتفت بالإشارة إلى الوضع الاقتصادي دون أن تحمل حكمها بعدا أيديولوجيا، يمنح الطبقة سببا في تشكيل أدوات الكاتب الوصفية، لتشترك بذلك مع المري في تأثرهما بالتصور البراغماتي الذي يجعل من الوصف غاية في حد ذاته.

---

[1] المصدر السابق، ص١٣٢، ص ١٣٤.
[2] المصدر السابق، ص٥٨، ص ٢٠٠.
[3] المصدر السابق، ص١٠٧.
[4] الحكمي، مصدر سابق، ص٢٦٦.
[5] المصدر السابق، ص ٤٨٠.

وقد يأتي الوصف المكاني متعلقا بغاية أخرى تتمثل في توقيع المتخيل وتأريخه، ومن ذلك رؤية إلهام الغامدي لوصف آل مرعي للمكان في روايته (الغيمة والوجه الحنطي)[١]، وأنه كان متضمنا لحال الأسرة من حيث الفقر أو الرفاهية[٢]، وهي تعني بالتضمين شمولية الوصف وتسجيليته دون أن يكون له تبعات دلالية أخرى، وهو ما قام به الحنيف أيضا في تحليله لأثاث البيت الذي جاء على لسان الشخصية (إسلام) في رواية (غدا أنسى)[٣] لأمل شطا، وأنه كان ذا دلالة على ترفه ورقيه[٤]، وهي دلالة محدودة تسجل بعدا اقتصاديا لا تتجاوزه، وتؤكد نقد النعمي لحضور المكان بهذه الكيفية لانعدام تأثيره في حبكة النص الروائي[٥].

ومن الأحكام ما توجه إلى عنصر الزمن، ومن ذلك تفسير يتعلق باحتفاليته في الرواية الغربية، ينسبه الرفاعي إلى البرجوازية الذي ينشأ الوقت فيها صاخبا ومتنقلا[٦]، كون هذه الطبقة غير مستقرة ومضطربة في قيمها وتصوراتها، وهو ما عبر عنه لوكاتش Lukacs بالتناقض والاضطراب وانعدام الوحدة المنعكس على رواياتهم[٧]، وعكسه الرفاعي على الزمن، الذي يمكن الإشارة إلى فاعليته في تحليل العوين لرواية (لا ظل تحت الجبل)[٨]، وتحديدا في تصويرها لمنزل منتم للطبقة الوسطى، وما اعتراه من تفكك وتعارض[٩]؛ حيث لم يكن حكم الناقد تصنيفا للمنزل، بل كان توضيحا لوضعه المأساوي نتيجة التغيرات التي صاحبت هذه الطبقة خصوصا، الدالة على الوقت الذي أصبح مختلفا عن سابقه، وأكثر تأثيرا عليها، كونها طبقة شديدة المحافظة على العادات والتقاليد كما يرى منصور الحازمي[١٠]، إلا أنها شدة قابلتها شدة أخرى في وسائل الإنتاج وما

---

[١] عبد الوهاب آل مرعي، الغيمة والوجه الحنطي رواية فلسفية إسلامية؛ (الرياض: دار العبيكان، ٢٠٠٦م).
[٢] الغامدي، مصدر سابق، ص١٥٢. وتقدم لذلك مثالا لوصف منزل ريم في رواية (الحب يلتهم الفيروس)، وأن وصفه دال على مستوى مادي وطبقي مترف. المصدر السابق، ص١٥٣.
[٣] أمل شطا، غدا أنسى؛ (جدة: مطابع تهامة، ١٩٨٠م).
[٤] عبد الله الحنيف، شخصية الزوج في روايات أمل شطا؛ (الرياض: مطابع دار جامعة الملك سعود للنشر، ٢٠١٧م)، ص٦٩.
[٥] النعمي، رجع البصر، ص٢٧.
[٦] الرفاعي، مصدر سابق، ص٣٦٧.
[٧] لوكاتش، نظرية الرواية، ص٣٧، ص ٤٢.
[٨] فؤاد عبد الحميد عنقاوي، لا ظل تحت الجبل؛ (مكة المكرمة، ١٩٧٩م).
[٩] العوين، مصدر سابق، ص٥٦٤.
[١٠] الحازمي، الرواية في الأدب السعودي الحديث، ص٢٤.

صاحبها من تغير في القيم، أصبح الصراع فيها بين المحافظة والتجديد صراعا زمنيا، ومن هنا كان حرص العوين على نسبة المنزل للطبقة الوسطى.[١]

ثانيا: عنصر الشخصيات

ومن أهم العناصر التي حظيت بأحكام النقاد من جهات مختلفة، عنصر الشخصيات، بداية من إغفال الكاتب للبعد الطبقي لها، الذي كان محل نقد الجعيدي لرواية (فكرة)[٢] وعدم مراعاة كاتبها للمستوى الاجتماعي والفكري للشخصيات[٣]، وهو جانب يجعل من الشخصية أكثر واقعية، ومن الحبكة الفنية للنص أكثر التحاما وتماسكا، وهو حكم تقييمي فني يرتفع بالطبقة عن الأيديولوجيا، ولهذا عبر عنها الناقد بالمستوى تأكيدا لذلك وابتعادا عن ظلالها الماركسية.

أما المري فلقد انتقدت الناصر ليس لإغفاله البعد الطبقي، وإنما لظاهرية وصفه للنساء الأرستقراطيات في رواية (سفينة الضياع) الذي لم يتعد الرائحة والقوام[٤]، وهي لم توصل ذلك بمنظور الناصر الذي سبق وأن أوضحت مدى تحيزه للفقراء، فقللت بذلك من إمكان تحويل حكمها إلى مقدمة قادرة لأن يُبني عليها موقف الكاتب، الذي يمكن استنتاجه في ظاهرية وصفه المتوجهة إلى التقليل من شأن تلك الطبقة نظرا لتحيزه ضدها.

---

[١] كما أشار الحسون في تحليله لرواية (ثمن التضحية) إلى ذلك، لما رأى أن دمنهوري حرص على تصوير حياة جيلين وما بينهما من فروق كانت نتيجة للتحولات التي وصفها بالقوة والسرعة، وهما وصفان للزمن الذي أصاب تلك الطبقة وجعله صاخبا، مؤكدا ما ذهب إليه الرفاعي في ربط الزمن الاحتفالي بالبرجوازية، ربطا قد يكون تطبيقا آخر لنظرية الربط بين الرواية والطبقة الوسطى. ينظر الحسون، مصدر سابق، ص٩٠.

[٢] أحمد السباعي، فكرة، ط٢؛ (الرياض: دار الصافي للثقافة والنشر، ١٩٨٨م).

[٣] سعيد علي أحمد الجعيدي، أحمد السباعي أديبا؛ (جدة/بيروت: النادي الأدبي/مؤسسة دار الانتشار العربي، ٢٠١٥م)، ص٣٢٧.

[٤] المري، ملامح البيئة السعودية في روايات إبراهيم الناصر، ص٢٤٩.

يقابل تلك الأحكام النقدة أحكام تقييمية تشيد بتنوع الشخصيات لتنوع طبقاتهم، إلا أنها تختلف في درجة وضوحها، فالمجماج يرى أن تنوع شخصيات أبو الفرج كان بسبب تنوع شرائحهم الاجتماعية والاقتصادية[١]، وهو حكم وصفي تقييمي محتفل بمبدأ الشمولية وحده، وهو ما مارسته الريم الفواز أيضا لما وجدت في رواية (خاتم) تمثيلا لشرائح المجتمع المختلفة على حد وصفها[٢]، ليكون حكمها مشابها للحكم السابق في اعتماد الشمولية معيارا فنيا، وهو ما لا يتفق والتشكيل الفني للشخصية الذي ينظر عادة في الكيف لا الكم، كما كررته نوير الدعجاني في تحليلها للشخصيات المغتربة في الروايات السعودية التي استنتجت أنها متفاوتة في همومها بين كونها برجوازية أو مثقفة أو كادحة مسحوقة[٣]، استنتاجا قد يجعل من ذلك التنوع حكما فنيا مميزا لهذه الشخصية، ومن الاغتراب صفة عامة تشترك فيها كل الشخصيات وليس حكرا على شخصيات طبقة بعينها، وهي صفة تخالف ما حاول ماركس Marx تأكيده في ربط تلك الصفة بالطبقة العمالية[٤]، وهو اختلاف نبه إليه صالح زياد أيضا في الفصل السابق[٥]، إلا أنه يبقى حكما عاما، وقريبا من صفة الأحكام التقييمية، إضافة إلى ارتهانه للمبدأ الكمي.

وقد تكون التسمية جزءا من بناء الشخصية الذي يكون الحكم عليها مقترنا بالتفسير والتأويل، فرغدة الإدريسي ترى أن الاسم العلم "دال على المستوى الاقتصادي والطبقة الاجتماعية والمستوى التعليمي"[٦]، ليكون من وظائف الاسم الدلالة الطبقية.

---

[١] المجماج، مصدر سابق، ص ٢٤٣.
[٢] الفواز، مصدر سابق، ص٥٥.
[٣] نوير محمد الدعجاني العتيبي، الشخصية المغتربة في الرواية السعودية (١٤١٤- ١٤٣٠هـ)، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٤-١٤٣٥هـ، ص١٢٢.
[٤] إيرل، مرجع سابق، ص٣٤٠.
[٥] زياد، الرواية وسؤال الحضور الأقوى تراتب الأنواع الأدبية وتداخلها، ص٤٨.
[٦] الإدريسي، مصدر سابق، ص٨٦.

كما تتضمن التسمية تفسيرا لبعض ما يتصف بها، مثل اللقب، فالحنيف يرى أن لقب السيد لازم شخصية عبد المجيد في رواية (غدا أنسى) للدلالة على منزلته الرفيعة[١]، ليكون حكمه على اللقب تفسيرا لمدلوله الاجتماعي، مقصورا عليه، لا يتجاوزه إلى تحديد علاقة ذلك بموقف الكاتب أو سياق أحداث الرواية وما قد تحمله من دلالات فنية.

ولقد فسرت نورة المري مدلول اسم زاهر في رواية (عذراء المنفى) برغبته في التطلع إلى مكانة عالية[٢]، وهو ما أُخذ على أنه دليل للمفهوم البراغماتي للطبقة في الفصل الثالث، بدليل التطلع الذي يحمل معاني الترقي والانفتاح الطبقي المكون لمضمونه، وأما تفسيرها؛ فمشابه للتفسير السابق في محدوديته، التي تحولت هنا من البعد الاجتماعي إلى البعد النفسي للشخصية.

ثالثا: عنصر الأحداث

وقد تتضمن الأحكام النقدية وصفا لحدث بعينه أو تفسيرا له، فالحازمي في تحليله لرواية (ثقب في رداء الليل) يرى أن (عيسى) اكتشف أن عصا الفقيه لا تطال جميع الأطفال وإنما تطال فئة الفقراء[٣]، وهو اكتشاف وصفي ممهد لنقد التمييز القائم على الفرز الطبقي بين التلاميذ الصغار، إلا أن الحازمي لم يبن على وصفه تفسيرا لذلك، واكتفى بالإشارة إليه.

كما يرى المهوس في تحليله لرواية (خاتم) أن رضاعة أخت الشيخ نصيب لـ(سند) كان هدفها أن يكون ابنا للأسياد[٤]، وأن الرجوع إلى مكة في الرواية نفسها شهد استقبالا مهيبا لا يفرق بين سيد وعبد، وهو

---

[١] الحنيف، مصدر سابق، ص٧١.
[٢] المري، ملامح البيئة السعودية في روايات إبراهيم الناصر، ص١٩٧.
[٣] الحازمي، البطل في الرواية السعودية، ص٣٢٣.
[٤] المهوس، صورة الرجل في الرواية النسوة السعودية رؤية ثقافية جمالية، ص٢٣٤.

ما كان مختلفا عما هو كائن في القصر من تمييز طبقي[١]، لتؤكد الأحكام السابقة طبقية العلاقة بين الشخصيات التي كانت سببا للحدث وكيفيته، وصورة القصر الطبقية السلبية لتمييزها، وهو ما لم يشر إليه الناقد، ليكون حكمه وصفا محملا بفائض دلالي إلا أنه غير موظف.

وإذا غلب على الأحكام السابقة للأحداث الوصف الثابت، فإن الشتوي حاول تجاوز ذلك بتفسيره حرب المصريين في اليمن التي صورتها رواية (قالت ضحى)[٢] لبهاء طاهر على أنها وسيلة للإقطاعيين في كلا الفريقين لزيادة ثرواتهم ونفوذهم[٣]، وكأن الناقد في حكمه السابق يحاول التطبيق على الرؤية الماركسية التي تجعل من الطبقة سببا للصراع.

وترد في السياق التفسيري ذاته نجلاء مطري تحول (عروب) إلى كلب في رواية (محاكمة كلب)[٤] لعبدالجبار العش إلى الرغبة في إعلان الانتماء إلى طبقة المسلوبين المهمشين[٥]، إلا أنها لم تفسر ذلك التحول الذي كان معبرا عن مرحلة اليأس من مقاومة الطبقة العليا؛ لأن تركيزها كان منصبا على عجائبية ذلك الحدث لا مدلوله الاجتماعي والسياسي، ليكون حكمها إشارة إلى الطبقية التي قد تكون سببا في تكوين عجائبية الحدث وفنيته، وهذا ما لم تنتبه إليه الناقدة ولم تشر إليه، ليكون حكمها امتدادا للأحكام السابقة في تركيزها على مضمون العناصر وبعدها عن مناقشة أثرها في التشكيل الفني.

أما المجماج فلقد حاول تجاوز الملاحظة السابقة، وربط الحدث بالبناء الفني بصورة غير مباشرة في تحليله لقيادة ميرفت للتاكسي في رواية (امرأة لا بقايا)، الذي كان مقابلا لمركزها الاجتماعي المرموق، إلا

---

[١] المصدر السابق، ص٢٣٦.
[٢] بهاء طاهر، قالت ضحى؛ (بيروت: دار الآداب، ١٩٨٥م).
[٣] الشتوي، مصدر سابق، ص١٠٩.
[٤] عبد الجبار العش، محاكمة كلب؛ (تونس: دار الجنوب للنشر، ٢٠٠٧م).
[٥] مطري، مصدر سابق، ص٣٧٩.

أن الناقد يرى الهدف منه هو: الاطلاع على طبقات المجتمع المختلفة[1]، وهو تفسير يمكن أن يحمل إشادة بوظيفة الحدث القائمة على المبدأ الكمي الشمولي، وهو كما قيل هدف مفتقر إلى توضيح الكيفية.

ويرى زهير العمري أن الأحداث في رواية (بنات الرياض) كانت متناسبة والطبقة الثرية التي صورتها الكاتبة في روايتها[2]، وفي هذا حكم تقييمي قائم على تطبيق نظرية الانعكاس المساوية بين العنصر وطبقة الكاتب، ليكون النص متسقا مع نظامه الاجتماعي الخارجي، وفي هذا افتقار آخر مرده الارتباك في مفهوم الرواية التي لا يجب أن تكون تعبيرا صادقا عن نظامها الخارجي إذا ما أرادت أن تكون فنية، فالانعكاس قد يجعل منها نقلا فوتوغرافيا م،فرغا من القدرة الاستدلالية، وبناء الرؤية الذاتية للنص التي عادة ما تكون الفنية منبثقة منها.

رابعا: عنصر الرؤية

ومن العناصر البنائية المهمة للرواية: عنصر الرؤية الذي حاولت بعض الأحكام النقدية استجلاءه بربطه بالطبقة الاجتماعية، ربطا قد يكون شاهدا على التأثر بنظرية معينة، ومن ذلك المري التي ترى أن المثقفين في روايات الناصر يرون أن التغيير ليس بيدهم وإنما بيد العمال[3]، وهو حكم متأثر بالماركسية لكنها لم توضح ذلك أو تحيل إلى مرجعه، وكأنها تؤثر السكوت كي لا تقع في التناقض الصريح بين ما تقوله وتمارسه، فهي سبق وأن أنكرت وجود طبقية في المجتمع السعودي مستعينة في ذلك بـ(لحميداني) كما مر[4]،

---

[1] المجماج، مصدر سابق، ص٣٥.
[2] زهير حسن العمري، الرواية السعودية وتحولاتها الموضوعية والفنية من عام ١٩٩٠ إلى عام ٢٠٠٨ م دراسة تحليلية فنية، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، ٢٠١١م، ص٢٤٢.
[3] المري، ملامح البيئة السعودية في روايات إبراهيم الناصر، ص٤٨.
[4] المصدر السابق، ص٤٢.

إلا أنها هنا تقدم تفسيرا واضحا في تطبيق مفهوم الطبقة السببي، الذي لا يرى في العلاقة بين الطبقتين العليا والدنيا غير الصراع والمواجهة والتغيير الذي تكون الطبقة المسحوقة مسؤولا عنه.

ويذهب سحمي الهاجري على العكس من الرؤية السابقة في سياق تحليله لرواية ليلى الجهني (الفردوس اليباب)[١] إلى تبني فكرة أن الصراع في المجتمع السعودي المحلي ليس طبقيا بقدر ما هو صراع فكري[٢]، وهو وهو تبنٍ يعبر فيه عن اختلافه مع رؤية الكاتبة التي دلت على ذلك، قاصدا بالصراع الطبقي التمييز العنصري الذي بنت عليه الجهني روايتها، ليدل هذا على أن الناقد اعتمد على المفهوم الواسع للطبقة المتداخل مع العنصرية، اعتمادا غير قائم على الاستدلال الكافي، ليكون اختلافه ملاحظة أولية، وليس فرضية أساسية، وحكما تفسيريا ذاتيا.

يتشابه مع الهاجري في ذلك علي الحمود، الذي يرى أن الصراع في رواية (مهما غلا الثمن)[٣] لعبد الله العريني ناهض بين الحق والباطل وليس بين الطبقات[٤]، على الرغم من أن إحراق (سودرمان) لعش الفقراء لإجبارهم على مغادرة بيوتهم وبيعها للأغنياء بثمن بخس، يصلح لأن يكون دليلا على الطبقية التي تستغل فيها الطبقة العالية الدنيا[٥]، كما أن الصراع بين الحق والباطل قد يكون سببا للصراع الطبقي أو مثالا عليه، وهذا ما يعني أن المقابلة بين الصراعين منتفية، فالعلاقة بينهما قد تكون تكاملية أو سببية، وهذا ما لم ينتبه إليه الحمود بسبب غلبة المنظور الإسلامي على رؤيته، ما قد يجعل من حكمه تحيزا وليس استنتاجا.

وترى الحكمي أن سعد الدوسري في رواية (الرياض نوفمبر ٩٠) كان منزعجا من اتساع الفرق بين الطبقات الاجتماعية بسبب المنافسة غير المحمودة التي تستغلها بعض الطبقات الثرية، إلا أنها تختلف مع هذه

---

[١] ليلى الجهني، الفردوس اليباب؛ (الشارقة: دائرة الثقافة والإعلام، ١٩٩٨م).
[٢] الهاجري، حوار النصوص، ص١٤٣.
[٣] عبد الله العريني، مهما غلا الثمن؛ (الرياض: المؤلف، ٢٠٠١م).
[٤] الحمود، مصدر سابق، ص١٤٩.
[٥] المصدر السابق، ص١٤٨.

الرؤية وتعتبره "نشاطا اقتصاديا دؤوبا"[1]، ولعل مرد الاختلاف يعود إلى اختلاف منظوريهما إلى الطبقة؛ فالدوسري اعتبرها سببية والحكمي براغماتية، فأنتجت الأولى استغلالا والثانية استغناما، وفي هذا تأكيد على أن الأحكام مرتهنة دائما لتصورات منتجيها.

ولقد حاول المجماج أن يعيد الرؤية إلى الجانب الانفعالي والعاطفي للكاتب، فهو يجعل من الطبقية مرجعا في الموازنة بين موقفين لـ(أبو الفرج) في رؤيته للمدينة بناء على ثنائية المحبة والكراهية لها، فهو يرى أن وصفه للمدينة المنورة خلا من وصف الفارق الطبقي بسبب محبته لها، بينما في المقابل كان وصفه لأمريكا متضمنا عددا من الجوانب السلبية ومنها الطبقية[2]، نتيجة كرهه لها، غير أن المجماج فاته أن الشعور غير كاف لتبرير ذلك، فالتصور المبدئي للشيء قد يؤثر في طريقة تقبله، فالطبقية هنا كانت فكرة لا شعورا، ومعيارا لا يقل سلبية عن الغرب، ما يدل على أن تلك المثالية التي أراد أبو الفرج إثباتها للمدينة على حساب أمريكا تنخرط في ثنائية الشرق والغرب التي كانت من المرتكزات الأساسية والفكرية في خطاب أبي الفرج الروائي، وتؤكد أن الموقف السابق لم يكن انفعاليا بقدر ما كان فكريا.

أحكام تفسيرية وتطبيقات أخرى

أولا: أحكام تفسيرية نفسية

[1] الحكمي، مصدر سابق، ص ص ٢٦٦-٢٦٧.
[2] المجماج، مصدر سابق، ص١٦٧.

كما تتضمن الأحكام تعليلا وتفسيرا لبعض دوافع الأفعال الصادرة عن بعض الشخصيات، حيث تكون الطبقة مرجعا في ذلك، ومنها: ما يراه منصور الحازمي من أن (زينب) في رواية هيكل لم تتمكن من أن تهب قلبها لحامد لأنه من طبقة أخرى[١]، ولا يفسر الحكم الحدث وحسب، بل يشرح دوافعه النفسية عند الشخصية، وهو الدافع نفسه الذي منع السيد زهير من خطبة ابنة صاحب المحلج في رواية أبو فريد (أنا الشعب)؛ لشعوره بالفوارق الطبقية[٢]، والتفسيران السابقان تطبيق لما ذهب إليه بعض المنظرين الغربيين من أن الطبقة مركب نفسي ولاشعوري أحيانا[٣].

ومن التفسيرات النفسية –أيضا -ما ذهبت إليه الحكمي في تعليل حرص فؤاد في رواية (شقة الحرية) لإظهار انتمائه إلى الطبقات العليا، على أنه تعويض لما افتقده من امتيازاتها في مصر[٤]، وهو استنتاج جعلت منه الناقدة أداة للتحليل والحكم، قائما على جعل الطبقة مكونا نفسيا له أثره في سلوك الشخصية، كما ترى أيضا في الرواية ذاتها أن مرافقة فؤاد لعبد الرؤوف مكنته من إدراك التفاوت بين طبقات المجتمع[٥]؛ وهو إدراك نفسي انعكس على سلوكه المتمثل في التعاطف.

كما حاولت المري تحليل الوضع النفسي لزاهر الذي لخصته في حسده للطبقة العليا، والشعور بالظلم منها والسخط بسبب الفروقات الطبقية، وهو ما جعله متطلعا إلى الزواج من بثينة، تطلعا غير مشروع، ومستندا إلى دافع نفسي مشوه، كان له أثره في عدم رضاه عن حياته[٦]، لتربط المري بين شعوره الطبقي ومصيره ربطا يمنح المفهوم السببي دورا في تفسيرها.

---

[١] الحازمي، فن القصة في الأدب السعودي الحديث، ص٥٤.
[٢] الحازمي، محمد فريد أبو حديد كاتب الرواية، ص٤٠٠.
[٣] Michael argyle, The Psychology of Social Class, p293. وهو مركب شعوري عند كونت Comte إذا ارتبط بالتعاون. ينظر نيقولا تيماشيف، مرجع سابق، ص٥٦.
[٤] الحكمي، مصدر سابق، ص٤٢٠.
[٥] المصدر السابق، ص٤٢١.
[٦] المري، ملامح البيئة السعودية في روايات إبراهيم الناصر، ص٤٩، ص ٥١، ص ٥٢.

ويتفق المهوس مع المري في جعل الترقي الطبقي دافعا للشخصية في تحليله لزواج الشاب من نشوى في رواية زينب حفني (لم أعد أبكي)[١]، إذ كان رغبة في الانتقال من طبقته المتوسطة إلى العليا[٢]، إلا أنها رغبة غير مبررة من وجهة نظر الناقد، وهي ما قد تكون تطبيقا لفكرة الانتهازية التي وظفها بعض النقاد لتشويه الطبقة البرجوازية[٣]، وهو ما لم يصرح به المهوس والمري، ليكون حكمهما توضيحا للدافع النفسي دون محاكمة له.

وإذا كان الوضع الطبقي سببا في تكون الرغبات غير الصادقة في التحليلات السابقة، فإنه أحيانا يتحول إلى دافع إيجابي مهم في تغير الوضع الاجتماعي للشخصية، فالمري ترى في (عذراء المنفى) أن الوضع الطبقي المتدني لجراح كان سببا في إكمال تعليمه[٤]، وهو دافع نفسي طبقي، يكوّن مع التحليلات السابقة اهتمام النقاد بالجوانب الجوانية التي حاولوا الكشف عنها، مستعينين بالطبقة بوصفها مرجعا تكوينيا ودلاليا للشخصية، لتكون استنتاجاتهم أحكاما موضوعية تفسيرية، إلا أنها غير فنية.

وقد تمتد التحليلات المتعلقة بطبقة الشخصية وأثرها في بعض المواقف إلى ما هو أبعد من موضوع الترقي، فالشتوي يعلل دافع الحارس عثمان في رواية (حديقة زهران)[٥] للانضمام إلى معسكر العمال ومناهضة الأغنياء بشعوره العميق بالصراع الطبقي[٦]؛ فاستنتاج الشعور السابق تطبيق لمفهوم الوعي الطبقي المفضي

---

[١] زينب حفني، لم أعد أبكي؛ (بيروت/لندن: دار الساقي، ٢٠٠٤م).

[٢] المهوس، صورة الرجل في الرواية النسوية السعودية رؤية ثقافية جمالية، ص ص٢٠١-٢٠٢.

[٣] ينظر الخطيب، مرجع سابق، ص٨٠. عزام، مرجع سابق، ص٨٩. عثمان، الرواية العربية الجزائرية، ص٩١. ولقد طبقت مها الشايع هذه الفكرة أيضا لما اعتبرت زاهر في رواية (عذراء المنفى) انتهازيا؛ بسبب رغبته في الانتقال من طبقة إلى طبقة أخرى عن طريق استغلال الزواج في تحقيق ذلك. ينظر الشايع، مصدر سابق، ص ٣٨٨. وقد يكون زاهر عوقب بالطلاق وهجران زوجته له انتقاما ومصيرا لتلك الانتهازية.

[٤] المري، ملامح البيئة السعودية في روايات إبراهيم الناصر، ص٢٧٦.

[٥] عبد الفتاح رزق، حديقة زهران؛ (مصر: الهيئة العامة للكتب، ١٩٧٥م).

[٦] الشتوي، مصدر سابق، ص٢٢٢.

إلى المواجهة[1]، ولمفهوم الطبقة السببي الداعي إلى التصادم أكثر من دعوته إلى التنافس أو التعاون، وهو ما يؤكد متابعة الشتوي للرؤية الماركسية في تحليل دافع الشخصية وفعلها.

حاولت نجلاء مطري –في المقابل -الابتعاد عن التطبيق لمفهوم الصراع وإبداله بمفهوم التعويض، بالإشارة إلى بعض العادات الخاصة بالطبقات الدنيا الشعبية، مثل عادة الإيمان بكرامة الأولياء؛ حيث عدت ذلك متنفسا لهم للخروج من هامشية المجتمع إلى مركز أساسي[2]، وهو تفسير سيكولوجي قائم على مبدأ التعويض لا المواجهة، ومتفق مع التفسيرات السابقة في أنه حكم عام موضوعي وتفسيري، مبتعد عن تحليل علاقة تلك الدوافع بشكل النص الروائي وبنيته.

ويلاحظ على التطبيقات السابقة، اختلاف الأحكام النقدية للعناصر في علاقتها بالطبقة بين الوصف والتفسير والتقييم، إلا أن الجانب الوصفي كان غالبا عليها، ما جعل أكثرها يميل إلى التوضيح وليس التوظيف، وتمثل المفهوم البراغماتي الملائم لذلك، كما اشتملت على توسع التطبيق على بعض المفاهيم والتصورات، مثل مفهوم اللاشعور والانتهازية والتعويض، كما تنوعت بين الأحكام الموضوعية والفنية، إلا أن الأولى كانت أكثر انتشارا.

ثانيا: تطبيقات على المفاهيم والتقنيات

لقد ارتبطت بعض الأحكام النقدية في المحورين السابقين بمحاولة التطبيق على بعض المفاهيم الأساسية المتصلة بالطبقة الاجتماعية، ومنها مفهوم اللاشعور الجمعي، والانتهازية، ومفهوم الانعكاس الذي أخذ حيزا كبيرا يمكن ملاحظته في التطبيقات الآتية، ومنها: تحليل الفوزان لشخصيات خاشقجي، وأنهم في

[1] يرى بيير زيما أن الوعي الطبقي عند الطبقة السائدة يعني مزيدا من السيطرة. ينظر بيير زيما، مرجع سابق، ص٢٩. وفي المقابل يمكن القول إنه يعني عند الطبقة المقابلة مزيدا من المقاومة والمواجهة.
[2] مطري، مصدر سابق، ص٥٦٠.

معظم رواياتها ما يكونون من الطبقة الأرستقراطية[١]، حيث ربط حكمه بانتماء الكاتبة إلى تلك الفئة؛ لتكون شخصياتها وأبطالها انعكاسا لذلك.

كما تجلى مفهوم الانعكاس في اعتراض معجب الزهراني لربط بعض الأحكام الفنية بالروايات السعودية المبكرة، نظرا لحداثة تجربتها، ليفسر الانعكاس بالصدق القيمي غير الفني في نقل التجربة، تفسيرا يجعل من الرواية تاريخا شاهدا على التحول وأثره في موضوع الرواية، ويمثل لذلك بسميرة خاشقجي التي على الرغم من انتمائها للوسط البرجوازي الغني "إلا أن هذا لم يجعلها منغمسة في متع الحياة كما تريد، بل مالت إلى تسجيل تجربتها بعفوية مباشرة وجراءة صادمة للوعي المحافظ لكنها صادقة"[٢]. وكأن معجب بهذا الحكم يقلل من تصنيف خاشقجي إلى الرومانسية، ويحاول لفت الانتباه إلى ما يمكن أن تقوله الرواية من خلال علاقتها بطبقة كاتبها، فجاء حكمه بضرورة اعتماد الصدق وتقديمه على الأحكام الأخرى، غير أنه حكم تقييمي قيمي، يخلط فيه بين الرواية والسيرة الذاتية التي يكون الصدق فيها مقدما على الجانب الفني[٣]، كما أن حكمه يعد تبريرا للموضوع والتجربة وظروف المرحلة، لكن لا يمكن قبوله تبريرا للضعف الفني، الذي يكون طبيعيا في ملازمته للبدايات.

ولقد حاول الزهراني في مقام آخر التطبيق على مفهوم الانعكاس بتفسير جرأة بعض الكاتبات مثل فوزية الشويش، واقتحامهن مواضيع حساسة دون خوف من سلطة ثقافية أو اجتماعية سائدة بسبب انتمائهن إلى طبقة وصفها بـ(المريحة)[٤]، وهو يقصد بذلك المواضيع المتعلقة بالمرأة وعلاقتها بالرجل وما يترتب على

---

[١] الفوزان، مصدر سابق، ج٣، ص ص١٠٩١-١٠٩٢.
[٢] الزهراني، مقاربات حوارية، ص٧١.
[٣] وللناقد رأي يؤكد من خلاله أن السيرة الذاتية من أقل الكتابات ارتباطا بالإبداع؛ لارتباطها أولا بالصدق والواقعية. ينظر معجب الزهراني، السيرة الذاتية في الأدب السعودي، ضمن كتاب السيرة الذاتية في الأدب السعودي دراسات نقدية؛ (الرياض: مطابع دار جامعة الملك سعود، ٢٠١٣م)، ص٢.
[٤] الزهراني، مقاربات حوارية، ص٨٣.

ذلك من مطالبات أو إشكالات، إلا أن هذا التطبيق جعل من النص الممثل هنا في الموضوع الخاص نظيرا للحالة الاجتماعية، ومن التفسير محاولة للتبرير[١].

ولقد سعت علياء العمري إلى تحويل وجهة الموضوعات الحساسة من المرأة إلى الرجل، فهي ترى أن منزلة الكاتب الاجتماعية لها دور في مجاوزة الرقيب الاجتماعي، وتمثل لذلك بغازي القصيبي[٢]، وهي بهذا تجعل من الطبقة الممثلة هنا بالمنزلة معيارا عاما لهذه الموضوعات، وتؤكد ما أكده الحازمي والزهراني من ارتباطها بالطبقة العليا، وهو ما يجعل من قراءتها مشابهة للقراءات السابقة في التطبيق على مفهوم الانعكاس دون النظر فيما قد تثيره تلك الموضوعات من دلالات أخرى.

ولقد انتقد حسن النعمي هذه الطريقة في الاستنتاج والحكم، بواسطة تذكيره بطبيعة السرد التي يراها "إعادة تمثيل رمزي للواقع وليس انعكاسا له"[٣]، لتكون الإعادة محاولة للتجرد من الكاتب والانفصال عن عالمه الكائن، ليعبر عنه بالممكن الذي يظل مطمح الفن عموما وغايته[٤].

ومن المفاهيم التي يمكن أن تكون امتدادا لنظرية الانعكاس، مفهوم رؤية العالم، الذي مثله الشتوي في تحليله لرواية (الرحلة)[٥]، وأن رؤيتها مرتبطة بالطبقة الاجتماعية الفقيرة ومحاولتهم للمقاومة[٦]، ارتباطا يجعل من الطبقة سببا في تشكيل الرواية لأحداثها ودلالاتها التي تكون محصورة في الصراع وإبراز مأساة الطبقة

---

[١] وهو ما سبق أن مارسه منصور الحازمي الذي رأى في كتابات سميرة خاشقجي تشابها رده إلى حرصها على تصوير الأجواء الأرستقراطية، المتحررة غالبا من تحفظات الطبقتين الفقيرة والمتوسطة، فالناقد يرد التشابه إلى حرص الكاتبة على نقل عالمها نقلا حرفيا، وهو ما قد يفسر بالصدق عند الزهراني، إلا أن الحازمي كان ناقدا لها، بدلالة استعماله لمفردة (تحفظ) بدلا من هروب أو خوف، ما يعني أنه يقف موقفا أخلاقيا من هذه المواضيع، وهذا على عكس ما ذهب إليه معجب الزهراني الذي كان أكثر تفهما واحتفاء بتلك الجرأة. ينظر الحازمي، موسوعة الأدب العربي السعودي الحديث، ص٣٩.

[٢] علياء عبد الله العمري، الرواية السعودية بين التنوير والتكفير، قراءة اجتماعية تاريخية، لبنان: المستقبل العربي، مج٤٠، ع٤٦٣، سبتمبر ٢٠١٧م، ص ص ١٠١-١٠٢.

[٣] النعمي، رجع البصر، ص٣٦.

[٤] كما أكد على ذلك الدغيري الذي عارض كثيرا نظرية الانعكاس، واعتبر الرواية تعبيرا عن رؤية الكاتب لواقعه؛ تلك الرؤية التي لن تكون استنساخا له بقدر ما تكون محاولة لفهمه وإعادة تشكيله. الدغيري، صورة المجتمع في الرواية السعودية، ص٢٧.

[٥] رضوى عاشور، الرحلة؛ (بيروت: دار الآداب، ١٩٨٣م).

[٦] الشتوي، مصدر سابق، ص٢٥٨.

الدنيا، وهو ما يكون دليلا على تأثير المنظور الماركسي المقدم أحيانا على النص، ما يجعل القراءة على حد وصف دراج قراءة جاهزة[١].

ومن الأمثلة على التطبيق على ذلك المفهوم لكنه غير صريح في إحالته، ما وصل إليه محمد الدوسري من أن فلسفة خال وموقفه من الموت قائمة على أن "أصحاب السلطة يعيشون على حساب الفقراء الميتين من أجل أصحاب النفوذ"[٢]، وهي في حقيقتها رؤية جمعية حاول الدوسري استخلاصها اعتمادا على رؤية العالم التي عبرت عن المصير البائس للطبقات المقهورة.

ولقد حاولت عائشة العتيق التطبيق على مفهوم رؤية العالم بواسطة نقدها لتوظيفه عند الشنطي الذي تراه اهتم بالقيم الفردية لا الجمعية[٣]، لتؤكد ضرورة التصاق المفهوم بالطبقة الاجتماعية، مع أنها لم تقدم دليلا واضحا للجمعية وكيفية التمييز بينها وبين الطرف الآخر، واكتفت بالتحذير من القراءة الحرفية التي قد تكون تحذيرا من نظرية الانعكاس، فيُحمل الفرد على أنه رمز لمجموع وهو قد لا يحتمل ذلك.

ومن المفاهيم التي حاولت بعض الأحكام التطبيق عليها مفهوم النمطية[٤]، الذي أشار إليه الحازمي في رؤيته لـ(ثمن التضحية)، وأنها قدمت صورة حية للأسرة، تشمل طبقة التجار التي تنتمي إليها، إلا أنه يرى أن في هذه الصورة نمطية[٥]، ممثلة في محاولة وضع صورة واحدة معممة لهذه الطبقة بواسطة إثبات بعض السمات والمواصفات العامة التي سيأتي الحديث عنها في المحور القادم، وهو يربط بين الطبقية والنمطية، وأن الأولى سبب في الثانية، كون الطبقة عادة ما تكون نموذجا للشيء، وصيغة جمعية أو عالمية له كما يذهب

---

[١] دراج، نظرية الرواية والرواية العربية، ص ص ٥٤- ٥٦.
[٢] محمد بتال هذال الدوسري، عبده خال روائيا، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٩م، ص٣٣.
[٣] العتيق، مصدر سابق، ص٩١.
[٤] تعني النمطية في السرد النماذج النمطية Topos؛ وهي مجموعة من الصفات الموزعة بطريقة مكررة ومتواترة، ومنها العاقل المغفل مثلا، وقد ينطبق هذا على التاجر البرجوازي في المجتمع السعودي، وما اتسم به من صفات مكررة قد تجعل من الشخصية جامدة غير فاعلة. ينظر جيرالد برنس، المصطلح السردي، ترجمة: عابد خزندار؛ (مصر: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٣م)، ص٢٣٤، ص٢٤١.
[٥] الحازمي، البطل في الرواية السعودية، ص٣٩٥.

إلى ذلك دوركايم Durkheim[1]، ويحاول الحازمي التطبيق عليها بواسطة حكم فني نقدي، يجعل من الفن مقاوما للنمذجة والتكرار.

ومن الأحكام النقدية التي حاولت التطبيق على المفهوم من ناحية تصحيح نشوئه، وربطه بالسياق التاريخي الصحيح، محاولة الشتوي في توضيحه للماركسية، واستنتاجه أن الروايات المصرية وضحت أن الماركسية لم تكن نتيجة لتطور البنية المجتمعية في مصر، بل كانت من استغلال أصحاب النفوذ في السياسة لشعاراتها[2]، وهو توضيح قد يعيد مسألة نشوء الطبقية في المجتمع العربي وما أفرزته من قضايا قد لا تتشابه وما كانت عليه في المجتمع الغربي، ومنها الشك في الطبقة البرجوازية وظروف نشأتها المختلفة وأثرها في المجتمع العربي[3]، وهو شك تجاهله كثير من النقاد العرب، ما كان لذلك أثر في ضعف البناء النظري لكثير من تحليلاتهم واستنتاجاتهم، ليكون حكم الشتوي السابق مجاراة للشك ومحاولة التذكير به بواسطة تصحيح تلقي الماركسية في المجتمع المصري المستنتج من مادته الروائية.

أما على مستوى التطبيق على التقنيات الفنية، فإن غفران قسام تحاول الاستفادة مما قيل عن الموضوعات الحساسة ووضع المرأة وإشكالية كتابتها في مجتمع ذكوري، لتربط الكتابة الملغزة بالطبقة المثقفة، وتعدها عنصرا أساسيا لتمرير الرؤية البرجوازية مستشهدة في ذلك بزينب حفني[4]. وهي تجعل بهذا الربط من طبقة الكاتب مسؤولة عن أسلوبه، مسؤولية تتفق ومضمون المفهوم السببي، إلا أن وقوفها عند شاهد واحد قد يقلل من قيمة الربط السابق، ويجعل منه حالة خاصة بالموضوع أو جنس الكاتب لا بطبقته، ليكون حكمها فنيا غير أنه مفتقر إلى التوضيح والاستقراء.

---

[1] دوركايم، مرجع سابق، ص٩٥.

[2] الشتوي، مصدر سابق، ص ص٩٩-١٠٠..وهو ينقله عن رفعت السيد من كتابه (اليسار المصري تاريخ الحركة الاشتراكية في مصر).

[3] من أولئك النقاد المشككين في مدى صحة تطابق مفهوم الطبقة وبنية المجتمع العربي عبد الله العروي. ينظر العروي، مرجع سابق، ص١٦٣، ويوسف عز الدين، مرجع سابق، ص٧٩، الفيصل، مرجع سابق، ص٢٢٧.

[4] قسام، مصدر سابق، ص٧٣.

ثالثا: تطبيقات على القضايا

ومن الأحكام النقدية أيضا ما حاول التطبيق على قضايا أصبحت شائعة في الدرسين الاجتماعي والنقدي، ومنها قضية التفاوت وارتباط ظهورها بالمدن، فهناك من الدارسين الاجتماعين كما مر في الفصل الثالث من أكدها عن طريق مقابلتها بمجتمعات القرية التي يسود بين أفرادها التعاون، القاضي على وضوح ظاهرة التفاوت والصراع خصوصا في مرحلة ما قبل النفط[١]، ومن الأمثلة على تطبيق تلك القضية، ما وصلت إليه نورة المري في تحليلها لرواية (رعشة الظل) من أن التفاوت لا يبرز كثيرا إلا في المدن[٢]، وما يعني الناقدة هو استخلاص صورة المدينة غير الحميمية المضادة من وجه آخر لصورة القرية، وما يترتب على ذلك من أحداث ومصائر مأساوية خصوصا للقرويين، وهذا ما مثله عوض العنزي في قراءته لشخصيات (فخاخ الرائحة)، وفسر مصيرهم البائس باختلاف قيم الصحراء عن قيم المدينة[٣].

ومن القضايا الأخرى الشائعة في المجتمع السعودي وروايته، ارتباط المرأة بالتهميش والاحتقار سواء أكانت من طبقة راقية أو محتقرة، وهذا ما سعت نورة المري إلى تأكيده والتطبيق عليه في سياق تحليلها لرواية (عذراء المنفى)، وأن ظلم المرأة لا يميز بين طبقاتها[٤]، إلا أن العوين حاول أن يمنح المرأة الثرية المنتمية إلى طبقة عليا صفة الظلم للآخرين، بفعل سلطة المال وعلو الطبقة التي مثلتها شخصية الأب وما أورثه لابنته من التسلط وعدم الرغبة في الحوار[٥]. وقد تكون هذه الصورة مخالفة للحكم السابق، إلا أن مرد

---

[١] أكد ذلك في دراسة إحصائية محمد هاني أحمد عيسى، حيث وصل إلى أن التعاون بينهم يصل إلى ٨٠%. ، ينظر عيسى، مرجع سابق، ص٤٠.

[٢] المري، ملامح البيئة السعودية في روايات إبراهيم الناصر، ص٦٠.

[٣] العنزي، مصدر سابق، ص٦٦.

[٤] المري، ملامح البيئة السعودية في روايات إبراهيم الناصر، ص٧٥.

[٥] فهو يرى في تحليله لرواية (جزء من حلم) أن شخصية (ليلى) لا تمثل أزمة المرأة المثقفة كما ذهب إلى ذلك الشنطي في كتابه (فن الرواية في الأدب العربي السعودي المعاصر)، بل هي أزمة المرأة الثرية التي لم تستغل التعليم في إعادة صياغة شخصيتها، ووراثتها لسلطة أبيها التي لا تقبل النقاش. ينظر العوين، مصدر سابق، ص٧٠.

الخلاف عائد إلى اختلاف النصين، فالمري تنطلق من نص الناصر الممثل لمرحلة تاريخية كانت فيه المرأة تعاني الظلم في كل مستوياته، أما العوين فنصه منتم إلى مرحلة تاريخية شهدت تحولا في الاقتصاد والأحوال الاجتماعية التي مكنت المرأة من أخذ وضع يقربها من وضع الرجل وممارسة بعض من سماته التي كانت حكرا عليه مثل الظلم، غير أن الصورتين تحاولان استجلاء صورة للمرأة ممثلة في الرواية السعودية، كانت فيهما سلبيتين.

ومن القضايا الاجتماعية التي حاولت بعض الأحكام تفسيرها، قضية الصراع العاطفي التي لخصتها مها الشايع في تحليلها لبنية رواية (اليد السفلى)، وأنها كانت قائمة على وجود طرفين في الحب لكنهما من طبقتين مختلفتين: طبقة غنية ممثلة في أسرة (عزيزة)، وأخرى فقيرة ممثلة في أسرة (أحمد)، ليكون هذا الاختلاف الطبقي سببا في نشوء الصراع العاطفي في الرواية، الذي قُضي عليه لاحقا بواسطة العلم[1]، وفي هذا الحكم تأثر بالمفهوم السببي في تأكيده لدور الطبقة في إذكاء الخلاف، إلا أن ربط فكرة العلم بالقضاء على الطبقات تخالف ما يدعو إليه المفهوم من ضرورة المواجهة والمقاومة، ليصبح تابعا للتصور البراغماتي، الذي كان تمثيلا للوعي واغتنام الفرص والتفهم، وغيرها من المدلولات الصالحة لأن تكون مقابلة لفكرة الصدام.

ويلحظ في التطبيقات السابقة أنها اشتملت على مجالات عدة، مثل المفاهيم والتقنيات الفنية والقضايا، إلا أنها كانت على حساب الأحكام الفنية، كما اشتملت على تأثيرات عدة من أهمها، تأثير الروائي ونصه، والتصور الطبقي عند الناقد، ما جعل الأحكام نسبية غير قابلة للتعميم.

الأحكام النقدية والطبقة الاجتماعية

[1] الشايع، مصدر سابق، ص١٥٩.

أولا: سمات الطبقة العليا

ولقد جاءت بعض التحليلات النقدية معرفة بالطبقة وأنواعها، وما يتعلق بسماتها، مثل ما قدمته نورة المري في سياق تحليلها لرواية (رعشة الظل)، الذي حددت فيه أن الطبقة الأرستقراطية في السعودية حريصة على الزي السعودي بالإضافة إلى البشت، كما ترى في الرواية ذاتها أن الطبقة الراقية تفضل أن تُعامل بطريقة خاصة من خدمها، ومثلت على ذلك بالفتى الأسمر وطريقة استقباله لسيد القصر، وأن سيدات الطبقة الراقية حريصات على الاحتشام، كما أن رائحة العطور الفاخرة سمة مميزة لرجال الطبقة السابقة ونسائها[١].

وتضيف غفران قسام إلى السمات الشكلية السابقة، سمة السفر إلى الخارج بوصفه وجاهة لها، وهي سمة استنتجتها من تحليلها لرواية هدى الرشيد (عبث)[٢].

وتظهر في التوصيفات السابقة أحكام مرتبطة بالطبقة العليا متعلقة باللبس والتعامل؛ وهو ما يعكس ويؤكد الحالة الطبقية للمجتمع، إلا أنها تبقى محددة وواصفة لنمط حياتها الذي يضيف إليه العباس استخدام اللغة الإنجليزية في سياق تحليله لرواية (بنات الرياض)[٣]، والاعتماد على اللغة الشعرية الفصيحة المتأثرة بالثقافة الدينية والقرآنية التي أشارت إليها ثناء الشخص في تحليلها لرواية (ستر)[٤].

ويضيف الحكمان السابقان إلى الطبقة المترفة سمة أخرى متمثلة في اللغة، إلا أنها سمة ظاهرية خارجية مكملة للبس والتعامل، كما أنها غير قابلة للتعميم؛ لارتباطها برواية واحدة عند الناقدين.

---

[١] المري، ملامح البيئة السعودية في روايات إبراهيم الناصر، ص٣٣، ص ٣٤، ص ٣٨، ص ١٠٩.
[٢] قسام، مصدر سابق، ص٥٩. بالنسبة للرواية، هدى عبد المحسن الرشيد، عبث؛ (القاهرة: مطابع مؤسسة روز اليوسف، ١٩٧٦م).
[٣] العباس، نهاية التاريخ الشفوي، ص١٠٦.
[٤] الشخص، مصدر سابق، ص٣٦٣.

أما الصفات الداخلية، فإن المري تذكر منها الانتهازية، والاستغلال لحاجات الطبقة المقابلة التي استخلصتها من تحليلها لرواية (خاتم)، وأن الفتيات التي يعشن في سفح الجبل يبعن كرامتهن لأبناء الطبقات العليا[١].

ولقد أكدها محمد الدوسري في صورة حكم عام حاول أن يبين فيه أن الفقر كان السبب الرئيس لاستغلال حاجة الناس من أصحاب النفوذ[٢]، وهو حكم يبدو عليه تأثره بالتصور السببي، إلا أنه لم يشر إلى دور الطبقة العليا في حدوثه، ما يجعل تأثره ناقصا أو غير صريح.

وحاول الدغيري استخلاص سمات الطبقة العليا الداخلية من رواية الخضير (عودة إلى الأيام الأولى)[٣]، وتحديدا من شخصية (جعفر بن فاضل)، فعد منها: انقطاعه عن المجتمع، وانغماسه في المتعة، وإعجابه بحياة الأمريكان، واختراقه لكل الطبقات، واتخاذه لمشايخ الدين واجهة لإضفاء الشرعية الاجتماعية[٤].

وهي كما يبدو سمات سلبية تضيف إلى الانتهازية التي أكدها الدوسري والمري صفات الانعزال، وحب الملذات، والتماهي مع الآخر، وتوظيف الدين.

كما يضيف المهوس إلى الصفات السابقة، صفة القتل والقسوة البعيدة عن الإنسانية الممثلة في شخصية السوادي المتلبسة على حد وصفه بأخلاق الإقطاعين[٥]، وهي صفة تتفق مع الصفات السابقة في تشويه الطبقة العليا إلا أنها أكثر قتامة، ما يدل على أن تلك الصفات تطورت من السلوك القاسي المباشر مع من هم أدنى منهم إلى السلوك المصطنع، المتسم بالذكاء والحيلة في إخفاء الطابع الاستغلالي، وهو تطور عائد إلى اختلاف النصين واختلاف فضائهما المكاني والزماني، فالخضير فضاؤه مدني أما عبده خال ففضاؤه ريفي، إضافة

---

[١] الفريدي، صورة الشخصية الانهزامية، ص٢٨٣.
[٢] الدوسري، مصدر سابق، ص٣٩.
[٣] إبراهيم الخضير، عودة إلى الأيام الأولى؛ (بيروت: مؤسسة الانتشار العربي، ٢٠٠٤م).
[٤] الدغيري، علاقة الرواية بحركة المجتمع مدخل نظري ضمن ملتقى الباحة الثقافي الثاني ١٤٢٨هـ، ص٢٢١.
[٥] منصور عبد العزيز المهوس، المروي له في الرواية السعودية المعاصرة دراسة نقدية؛ (الرياض: دار جامعة الملك سعود للنشر، ٢٠١٧م)، ص١٣٩.

إلى اختلاف الزمنين؛ فعبده خال يسرد حقبة قديمة ترجع إلى ما قبل النفط، أما الخضير فحكايته تتخذ من حرب الخليج إطارا لها، وبين الحقبتين فترة تحول كبيرة في آثارها في فكر تلك الطبقة وسلوكها الذي تطور وفق ذلك من العنف إلى الحيلة.

كما يرى العباس أن شخصية المثقف بوصفه عضوا في الطبقة العليا شخصية لا تؤمن بالنضال، وتتراجع عنه كثيرا، وهو يستنتج ذلك من تحليله لشخصية (هشام العابر) في ثلاثية تركي الحمد[١]، وتتفق هذه الصفة مع صفات الخضير ويمكن أن تكون امتدادا لها، وتحديدا في صفة التماهي مع الآخر الذي يجد المثقف في التعاون معه تحقيقا لمصلحته مقدمة على مصالح الآخرين العادلة أحيانا.

كما ترى المري أن المثقفين الأرستقراطيين والبرجوازيين يعانون من التناقض بين الأثر الشرقي والغربي؛ نظرا لاحتكاكهم بالثقافة الغربية ودراستهم هناك[٢]، وهو تناقض قد يفسر الانعزال الذي أكد عليه العوين بسبب عدم قدرتهم على التكيف، كما يعلل الازدواجية السلوكية التي نبه إليها العباس، وما تفرضه من تظاهر وادعاء بسبب تأرجحهم بين فكر مستمد وواقع معيش.

ولقد أكد الشتوي على صفة التماهي في سياق تحليله لشخصيات رواية (يحدث في مصر الآن)، الذين كانوا واعين بسيادة البرجوازية المكتسبة عن طريق الوظائف وتحالفها مع الإقطاعيين[٣]، فيكون التحالف تماهيا مصلحيا يأتي على حساب الطبقة الفقيرة، والحكم السابق للبرجوازية التي يمكن تصنيفها من الطبقات العليا بناء على أهمية الوظائف ودخلها المرتفع، يجعل منها مختلفة عن البرجوازية الأوروبية التي جاءت لتحل محل الإقطاعيين لا للتحالف معهم، وقد يكون في هذا تمييز للطبقتين في المجتمعين الغربي والعربي، وتعليل

---

[١] محمد العباس، سقوط التابو الرواية السياسية في السعودية، ط١؛ (الكويت/بيروت: جداول للنشر والتوزيع، ٢٠١١م)، ص٥٠.
[٢] المري، ملامح البيئة السعودية في روايات إبراهيم الناصر، ص٢٧٩.
[٣] الشتوي، مصدر سابق، ص٢٣١.

لاستبدال النقاد الطبقة الوسطى بالبرجوازية؛ لأن سمة التماهي تكون أقرب للوسطى إذا أُخذ التصنيف الماركسي مرجعا في ذلك.

كما تضيف عائشة الحكمي صفة الاتكالية إلى أصحاب المراكز العالية في سياق تحليها لرواية محمد زارع عقيل (ليلة في الظلام)[١]، وهي صفة أقل حدة من الصفات السابقة، والتصاقها بهذه الطبقة قابل للفهم ومستوعب بالعقل لما يمتلكونه من وفرة مالية، توفر لهم خدما يُتكل عليهم في خدمتهم في كثير من الشؤون، وحكم الناقدة بذلك وصفي لا تبني عليه تفسيرا اجتماعيا أو فنيا.

وتضيف رغدة الإدريسي إلى تلك السمات المنتمية إلى المجالين السياسي والاقتصادي، سمات سلبية –من وجهة نظرها -أخرى منتمية إلى المجال الثقافي والأخلاقي، ومحصورة في المرأة المنتمية إلى الطبقة الأرستقراطية، وتحديدا في مدينة جدة، التي يغلب عليها التحرر، وسفور الوجه داخل البلد، وانحسار الرأس خارجه، واتصالها بعلاقة غرامية برجل متزوج، وهي سمات استنتجتها من رواية (ستر)[٢]، ما يجعل تعميمها غير ممكن، إلا أنها امتداد للصور السابقة في تشويه هذه الطبقة، تشويها ترى فيه الواقعية الاشتراكية ضرورة ووظيفة للرواية، بيد أن الأحكام السابقة وبناء على سياقها النصي؛ فإنها تبدو أحكاما وصفية لا يحملها النقاد بعدا أيديولوجيا.

ولقد دافعت مها الشايع عن صورة المثقف المحسوب على الطبقة العليا، وأكدت إحساسه بالمسؤولية تجاه الآخرين، ومحاولته إلغاء الفوارق الاجتماعية، وهو تأكيد مستنتج من رواية (اليد السفلى)[٣] لمحمد عبده يماني[٤]، وهي سمات مخالفة للسمات السابقة، وذلك بسبب ارتهان الأحكام للنصوص الروائية المختلفة في تصويرها للشخصيات وطبقاتهم، إضافة إلى اختلاف رؤى النقاد التي تميل إلى انتقاء ما يوافقها من نصوص

[١] الحكمي، مصدر سابق، ص٣٥١. بالنسبة للرواية، محمد زارع عقيل، ليلة في الظلام؛ (جازان: النادي الأدبي، ١٤٠٠هـ).
[٢] الإدريسي، مصدر سابق، ص٨٨.
[٣] محمد عبده يماني، اليد السفلى؛ (الرياض: المطابع الأهلية للأوفست، ١٩٧٩م).
[٤] الشايع، مصدر سابق، ص٧٦.

يكون أحيانا على حساب أبعاد أخرى للمسألة، ثم قراءة ذلك المنتقى قراءة توضيحية شارحة غير حوارية فاعلة، يظهر فيها إثر ذلك ذاتية الحكم وليس موضوعيته.

ثانيا: سمات الطبقة الوسطى

يتعلق ما سبق بالطبقة العليا أو الأرستقراطية على حد وصف بعض النقاد، أما الطبقة المتوسطة فحاول منصور الحازمي الإشارة إلى سماتها في تحليله لروايات أبو فريد، وتحديدا شخصية السيد زهير في روايته (أنا الشعب)، حيث يرى أنه من طبقة متوسطة تحافظ على سمعتها، وتحب أن تدعم مسيرتها بالشهادات الثانوية والجامعية، وتحلم بالأدب والصحافة والتطلع إلى الطبقة الأرستقراطية[١]، وهي صفات إيجابية باستثناء صفة التطلع التي يجدها بعض النقاد انتهازية كما مر، إلا أن الحازمي قد يكون مختلفا في ذلك؛ وهذا يعود بسبب تأثره بالمفهوم البراغماتي الذي يجعل من التطلع علامة على التعاون والتنافس، وإمكانية للترقي المعبر عن تداخل الطبقات وانفتاح الحدود فيما بينها، وهذا على عكس المفهوم السببي الذي يحكم بانغلاق الحدود الطبقية، ما يجعل من الترقي انتهازية، تُفسر على أنها خضوع للطبقة العليا وتنكر للطبقة الدنيا.

وهذا ما حاولت الإشارة إليه نورة المري في تحليلها لشخصية قنديل في رواية (رعشة الظل)، بالكشف عن انتمائه للبرجوازية الصغيرة التي يصنفها بعضهم من الطبقة المتوسطة[٢]، وتوضيح طبيعة عملها في مساعدة الشخصيات السلطوية التي تسعى دائما إلى مصلحتها[٣]، وتذكر هذه الصفة بسمة البرجوازي الصغير

[١] الحازمي، محمد فريد أبو حديد كاتب الرواية، ص٤٠٧.
[٢] ينظر وليامز، مرجع سابق، ص ص٥٦-٥٧. كما يصنفها ابن صنيتان بالفئة الدنيا من الطبقة الوسطى. ينظر ابن صنيتان، مرجع سابق، ص١٤.
[٣] المري، ملامح البيئة السعودية في روايات إبراهيم الناصر، ص٤٦.

في النقد العربي في المحور السابق، والتحذير من خطورتها؛ لأنها باحثة عن ترقية نفسها وزيادة الطبقة الأخرى انحدارا[١].

كما تؤكد المري صفة التناقض لهذه الطبقة بواسطة وصفها لشخصية عيسى في رواية (سفينة الضياع)، الثائر على الطبقة المسيطرة تارة، والمتعاطف معها تارة أخرى، لترى الناقدة في ذلك تمثيلا لحال المثقفين البرجوازيين الصغار وعجزهم عن التغيير[٢].

وما قيل عن الاختلاف في صورة الطبقة العليا يصلح لأن يقال عن الطبقة السابقة، للأسباب ذاتها: الارتهان إلى النص الروائي، والانتقاء، والقراءة الحرفية.

ثالثا: سمات الطبقة الدنيا

أما ما يخص الطبقات الفقيرة التي عادة ما تكون شعبية، فلقد نسبت إليهم المري سمة الكدح بناء على شخصية سالم في رواية (رعشة الظل)؛ إذ تبدت من خلال عمله سائقا عند الطبقة الغنية[٣]، وهي سمة متوقعة مثل سمة الاتكالية عند الطبقة العليا، مفروضة من الوضع الاقتصادي، ومؤكدة -من جانب آخر -مدى صبرها ومواجهتها للحياة لا الطبقة المقابلة، وفي هذا انعكاس للمفهوم البراغماتي القائم على ضرورة رضا هذه الطبقة عن حالها الممثل في الصبر، ومحاولة تطويره بما يتاح من فرص ممكنة.

---

[١] لقد أشار ابن صنيتان إلى هذه الطبقة المتحيزة للطبقة العليا، والعاملة على تأكيد أيديولوجيتها. ينظر ابن صنيتان، مرجع سابق، ص٩٨.

[٢] المري، ملامح البيئة السعودية في روايات إبراهيم الناصر، ص ص ٤٧-٤٨.

[٣] المصدر السابق، ص٢٨٩.

كما تضيف تأكيدا لمعاناة تلك الطبقة في سياق تحليلها لرواية (ثقب في رداء الليل) صفة عدم الاستقرار في المكان، وأنها صفة ملازمة للكادحين[١]، وهي امتداد للسمة السابقة وظلال لها، وتأكيد على صفات الصبر والقناعة ومواجهة الحياة.

حاولت-في المقابل -نجلاء مطري في سياق تحليلها لصفحة غلاف رواية (كيد النساء)[٢]، وتضمنها في النهاية حلقا تعلوه عين، وبعض الطلاسم والتهويمات التي يؤمن بها بعض فئات المجتمع المصري وخصوصا من يسكنون في الأحياء الشعبية[٣]، التأكيد على سمة الإيمان بالغيبيات والقوى الخارقة، كما تضيف إليها موضي الخلف ومن خلال تحليلها للمثل الذي ورد على لسان شخصية صفية (أحيني اليوم وأمتني غدا) في رواية (ثمن التضحية)، صفة قصر النظر التي تتميز بها هذه الطبقة، فهي تؤكد على أن العامل "لا ينظر إلى ما بعد الدائرة التي تعيش فيها"[٤].

وقد تكون السمات السابقة علامات على إشكالات أخرى، حاول المنتمون إلى هذه الطبقة مجاوزتها، أو التعويض عنها كما مر في تحليل مطري لإيمانهم بالموالي، وأنهم يقومون بذلك تعويضا عن شعورهم بالهامشية، فالقراءة النفسية السابقة صالحة للتطبيق هنا؛ كون الطبقة الشعبية طرفا مشتركا بين التطبيقين؛ ليكون الإيمان بالطلاسم وقصر النظر بناء عليها تعويضين عن قلة الحيلة والحاجة، وهو ما لم تنتبه إليه مطري والخلف، بسبب القراءة الظاهرية للنص.

وتضيف نورة المري إلى ما سبق سمة اللجوء إلى العلاج الشعبي في سياق تحليلها لرواية (رعشة الظل)، وهي سمة منتشرة في أوساط الطبقة الفقيرة على حد وصفها[٥]، وهي سلبية لم تحاول الناقدة الإشارة

---

[١] المري، ملامح البيئة السعودية في روايات إبراهيم الناصر، ص١٨٢.
[٢] عبد الجواد خيري، كيد النساء؛ (بيروت: دار الآداب، ٢٠٠٦م).
[٣] مطري، مصدر سابق، ص٤٩٦.
[٤] موضي عبد الله الخلف، حامد دمنهوري أديبا وروائيا؛ (الرياض: مطابع جامعة الملك سعود، ٢٠١٣م)، ص٢٣٨.
[٥] المري، ملامح البيئة السعودية في روايات إبراهيم الناصر، ص٤٠.

إلى أسبابها، ليكون حكمها وصفا مستنتجا من نص الرواية استنتاجا مباشرا غير مرتبط بما وراءه من دلالات اجتماعية أو فنية، وفي هذا تأكيد لإشكالات النقاد السابقة في قراءتهم للسمات الطبقية.

رابعا: نقد أساليب استنتاج السمات الطبقية

ولقد لقيت تلك الطريقة في استنتاج السمات الداخلية والخارجية للشخصيات الروائية نقدا واضحا، ومن ذلك أن عائشة العتيق ترى أن (العطوي) في نقده الثقافي لبنات الرياض اعتمد على ما هو مشاع بين الطبقة البرجوازية من استخدام الإنجليزية، والتباهي، والتفاعل مع العالم الخارجي[1]، وهي تعتمد في نقدها على مبدأ النمطية الذي ألمحت إليه في وصف (المشاع)، الذي قد يكون سببا في الحكم على القراءة السابقة بأنها جاهزة.

أما آلاء الهامل فلقد حاولت نقد تلك الطريقة المتعلقة باستنتاج السمات الطبقية للشخصية، واتهامها بالتنميط في سياق تحليلها لرواية (بنات الرياض)، فهي ترى أن الصانع حاولت تمثيل الفتيات اللاتي دون الطبقة الراقية، وهي تعني الطبقة الوسطى، على أنهن سلبيات، ومائلات إلى تملك الرجل، وأن تفكيرهن بذلك محدود، وهي ما ترى في ذلك جناية على التحليل في ربطه بالطبقة؛ إذ من المحتمل أن يكون هناك أسباب أخرى تلعب دورا في تمثيل تلك الصور[2]، وهي تلمح في ذلك بالمنهج القائم على التحليل المباشر، والتعميم السائل، لتذكر بأن الرواية تظل عملا رمزيا وفرديا ذاتيا قد لا يحتمل تعميمات غير دقيقة أو مشوهة لفئة من فئات المجتمع، ما يجعل من القراءة النقدية عملا تحريضيا.

خامسا: وظائف الطبقة الاجتماعية في الأحكام النقدية

[1] العتيق، مصدر سابق، ص١٢٢.
[2] الهامل، مصدر سابق، ص٨٨.

عملت الطبقة الاجتماعية على مد الرواية ببعض الوظائف، ومن ذلك وظيفة النمذجة المرتبطة بعنصر الشخصيات كما مر في محور الوظائف في الفصل السابق، التي تجعل للطبقة أيضا وظيفة مرجعية تحقق بها الشخصية صفة التمثيل الجمعي أو الرمزي لطبقتها، ومن ذلك يرى الشتوي أن ضحى في رواية (قالت ضحى) مثلت الطبقة الإقطاعية في مستواها الدلالي[١]، ما يعني أن الشخصية أصبحت نموذجا ودالا جمعيا، لم يمض الشتوي في تبيين تحولها إلى ذلك، إلا أن حكمه الوصفي السابق يجعل من الطبقة مرجعا للتمثيل، تكتسب فيه الشخصية بعدا أعمق من كونها ورقية.

ويرى نبيل المحيش أن شخصية (دبيش) في رواية يوسف القعيد (يحدث في مصر الآن) تحولت إلى رمز للطبقة الفقيرة المواجهة للطبقات السياسية[٢]، فيقع فيما وقع فيه الشتوي من الابتعاد عن توضيح الشروط والاعتبارات التي أصبحت بواسطتها تلك الشخصية رمزا، إلا أن ذلك الحكم أيضا يجعل من الطبقة مرجعا خارجيا يستعين به الناقد في توليد الدلالات، ومن ذلك دلالة المقاومة التي تشير هي الأخرى إلى دلالة التصور السببي للطبقة، وما يتضمنه من صراع وانغلاق ومواجهة.

كما ترى المري أن جمال المكان كما تبدى لزاهر سببه ليس جمال الطبيعة وإنما الحياة التي تحياها الطبقة الغنية[٣]، لتكون الطبقة مرجعا لمفهوم الجمال، غير أنه مرجع ذاتي قد يشير من جانب آخر إلى مدى معاناة الطبقات المقابلة، ومدى تسليمهم بوضعهم إلى الحد الذي تصبح فيه الطبقة العليا مرجعا لمفاهيمهم، وهذا ما لم تصل إليه المري لغلبة الحكم الوصفي على تطبيقها.

كما قد تكون الطبقة مرجعا للدلالة الاجتماعية التي تكشف عن عادات المجتمع ونظامه الطبقي كما ترى حنان الغامدي[٤]، فالتفاوت الطبقي من أهم ما يغذي الدلالة الاجتماعية في الروايات كما تقرر ذلك أيضا

---

[١] الشتوي، مصدر سابق، ص٣٥٣.
[٢] المحيش، مصدر سابق، ص٣٢٩.
[٣] المري، ملامح البيئة السعودية في روايات إبراهيم الناصر، ص١٩٧.
[٤] الغامدي، مصدر سابق، ص٢٥١.

هيفاء العجلان[1]، ومن الأمثلة التطبيقية على ذلك، تفسير سميرة الحارثي لدلالة الرائحة في رواية (فخاخ الرائحة)، وأنها كانت جزءا من الديكور الطبقي لسيدة القصر التي وصفتها بالنبيلة، لتكون الطبقة مرجعا للرائحة ومرجعا لعالم الحلم الذي كان يتمناه ناصر[2]، وفي هذه الدلالة تطوير لصورة الطبقة العليا، وجعل الوصول إليها غاية تدل على إمكان الترقي بين الطبقات.

ومن الوظائف المتصلة بالطبقة ما تمنحه للناقد من إمكان تقديم ملخص للنص أو أجزائه أو كاتبه، ومن ذلك أن الفوزان يرى أن قصة (أبو زامل)[3] صورت لنا تفرقة مشائخ الكتاب بين أولاد الأغنياء وأولاد الفقراء[4]، وقد يكون ذلك تلخيصا قائما على حدث بعينه حوله الناقد إلى مفتاح أساسي للنص، تحويلا كان للطبقة دور في إنجازه لما في ذلك الحدث من قيمة دلالية، عبّر عنها الروائي بالحدث لا التعليق، وهنا تكمن فنية السرد وأثرها التي لمسها الفوزان، وحاول التعبير عنها باعتمادها أساسا في التلخيص.

ولعل في الحدث السابق تأكيدا للفوارق الطبقية التي كانت محل انتباه الجعيدي في تلخيصه للرسالة العشرين من رواية (فلسفة الجن)[5] للسباعي، فهو يرى أن موضوعها تمحور حول الفوارق الطبقية في عالم الإنس، بينما الحادية والعشرون تتحدث عن انعدامها في عالم الجن[6]، وفي هذا دليل على أن الطبقية طبيعة في المجتمع الإنسي إلا أنها غير ذلك في عالم الجن؛ فحلم السباعي باختفائها، ودل بحلمه على مثالية مشابهة لمثالية ماركس Marx.

---

[1] العجلان، مصدر سابق، ص١٨٧.
[2] الحارثي، مصدر سابق، ص١١٠.
[3] أحمد السباعي، أبو زامل: قصة الجيل الماضي قصة وسيرة؛ (القاهرة: دار مصر للطباعة، ١٣٧٤هـ).
[4] الفوزان، مصدر سابق، ج٢، ٧٢٦.
[5] أحمد السباعي، فلسفة الجن؛ (القاهرة: مطبعة دار التأليف، ١٣٦٨هـ).
[6] الجعيدي، مصدر سابق، ص ص ٣٥٠-٣٥١.

ويلخص حسن الحازمي روايتي (ليلة عرس نادية) و(غيوم الخريف) بأنهما مثلتا الفئة الساعية إلى الثراء الفاقدة في سعيها أشياء كثيرة[١]، وهو تلخيص قائم على مقدمة ونتيجة يمثل كل منهما طبقة مختلفة للشخصية، فالساعية كانت ممثلة للشخصية في طبقتها الفقيرة، والفاقدة ممثلة للشخصية في تحولها إلى الطبقة الغنية، والفقد ليس تمثلا للمفهوم السببي الرافض للتحول الطبقي، بل هو نقد للوسيلة والحالة التي حصل بها ذلك الانتقال، من حيث سرعتها وعدم مبالاتها بالمصلحة العامة، وانعكاس ذلك على الشخصية وقيمها وسلوكها، وهو ما أشار إليه القحطاني في سياق سابق[٢].

وإذا كانت الوظيفة المرجعية السابقة للطبقة مستصحبة الطبقتين العليا والدنيا، وتقابلهما في تأكيد ملخص القراءة، فهناك قراءات موجزة كانت خاصة بطبقة بعينها، ومن ذلك القحطاني الذي يرى أن الناصر قد صور حالات الطبقة العاملة وكيفية ظهورها في المجتمع[٣]، وهو حكم عام على تجربة الناصر الروائية استعان فيه بالطبقة العاملة، لتكون العنصر الثابت الذي اتكأ عليه في تلخيصه، وهو ما فسرته المري بالوقوف والتحيز مع الطبقة العاملة انتصارا لها ووقوفا ضد الرأسمالية[٤].

أما الشتوي فلقد كان أكثر بعدا من القحطاني في ملخصه لرواية (قالت ضحى) التي يرى أنها أكدت هيمنة الطبقة الإقطاعية الممثلة في ضحى هانم وسلطان بك، وتحكمهم بالبلد حتى بعد الثورة والحكم الاشتراكي[٥]، وهو تلخيص منطوٍ على حكم قد يكون متأثرا بعقيدة الروائي الماركسية، مكتفيا برؤية الكاتب في ذلك.

---

[١] الحازمي، البطل في الرواية السعودية، ص١٠٨. ويلخص رواية (ومرت الأيام) بأنها اهتمت برصد الفترة التي اضمحلت فيها طبقة التجار، وبرزت فيها طبقة الموظفين، وولادة فئة جديدة. ينظر المصدر السابق، ص١١٩.
[٢] ولقد أشار إليها لما أكد على تأثير البترول والثراء السريع على طبقات المجتمع السعودي في تحليله لروايته (زائر المساء). ينظر القحطاني، الرواية في المملكة، ص١٨٦.
[٣] المصدر السابق، ص١٣١.
[٤] المري، ملاح البيئة السعودية في روايات إبراهيم الناصر، ص٤٩.
[٥] الشتوي، مصدر سابق، ص٣٥٧.

ولقد حاول العباس الاتكاء على طبقة الشخصية في إنجازه لملخص رواية فهد العتيق (كائن مؤجل)[١]؛ إذ يرى أنها عبرت عن روح برجوازي صغير، ناقم بسبب التحولات الاجتماعية[٢]، وهو ما يؤكد في ذلك على سمة المحافظة التي تتميز بها تلك الطبقة وتحاول مقاومتها.

كما ساعدت الطبقة النقاد على تحديد البعد الاجتماعي للشخصيات الروائية، فحسن الحازمي في سياق تحليله لـ(ثمن التضحية) وعلامات واقعيتها، يذكر أن الكاتب اعتنى بشخصية البطل من خلال أبعاده الجسمية والنفسية والاجتماعية، ومنها اهتمامه بطبقته؛ طبقة التجار[٣]، واهتمام الناصر بشخصية بثينة في رواية (عذراء المنفى) وإبراز بعدها الاجتماعي المتمثل في الثراء والرفاهية والدراسة في الخارج، لتكون تلك الأبعاد أوصافا منمطة للطبقة الاجتماعية الثرية[٤]، ورهينة لموقف الروائي من الطبقة المتصفة بها.

ويرى زهير العمري أن البعد الاجتماعي للشخصية يشمل مكانتها وعملها وأهميتها في الوسط الاجتماعي وكل ما يتعلق بالحالة المادية والأسرية[٥]، وتؤكد إلهام الغامدي ذلك لما جعلت البعد الاجتماعي للشخصية يشمل مركزها الاجتماعي ومستواها الثقافي والمادي، وتضيف إليها لاحقا الفقر والغنى والوظيفة والتعليم والحالة[٦]، وهي سمات تؤكد ارتباط الطبقة بالمعايير الاقتصادية، وارتباط الشخصية بطبقتها، ارتباطا ممهدا للقراءة الوصفية المباشرة، الجاعلة من الشخصيات رموزا وتمثيلات جمعية، وهو ما يجب التعامل معه بحذر لكي لا تسقط الأحكام النقدية في الذاتية المتمثلة في تضخيم الصورة وتعميمها.

وإذا كانت الطبقة في الأمثلة السابقة، تلعب دورا مرجعيا في تفسيرات النقاد وتلخيصاتهم، فإن لها حضورا يجعل منها محل التفسير لا مرجعه، حضورا يتمثل في كونها موضوعا من موضوعات الرواية

---

[١] فهد العتيق، كائن مؤجل؛ (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٤م).
[٢] العباس، نهاية التاريخ الشفوي، ص ص ٥٩-٦٠.
[٣] الحازمي، البطل في الرواية السعودية، ص٩٠.
[٤] الحازمي، بواكير التجديد في الرواية السعودية من خلال عذراء المنفى، ص٢٨٧.
[٥] العمري، مصدر سابق، ص٢٤٠.
[٦] الغامدي، مصدر سابق، ص٢٤، ص ٥٥.

السعودية، ومن ذلك ما يذهب إليه جمعان الغامدي من أن موضوع الفروقات الاجتماعية والصراع الطبقي يعد من مضامين الأعمال الروائية السعودية[١]، وهو حكم وصفي تعميمي بحسب مادته التي كانت ممثلة في روايات الناصر، يهدف منه إلى إثبات: أن الطبقية تبقى موضوعا لا يقل أهمية عن المواضيع الأخرى، ليخالف بذلك ما ذهب إليه أبو ملحة وآلاء الهامل من أنه موضوع هامشي، إلا أن حكم الغامدي يبقى رهينا لمادته المحدودة، إضافة إلى أن الموضوع الطبقي عند الناصر يبقى هو الآخر من المواضيع الأساسية للروائي نتيجة لاهتمامه بإبراز هموم الطبقتين الأرستقراطية والعاملة والتحيز للثانية كما ترى المري وناصر الجاسم من قبل[٢]، وهذا قد يعود لتأثره بالمنظور الماركسي ما يجعل منه حالة استثنائية قد لا تصلح للتعميم.

ولقد ساير يونس البدر الغامدي في التأكيد على أن الصراع الطبقي من قضايا الرواية الواقعية السعودية إضافة إلى هموم الطبقة الوسطى والإنسان العادي[٣]، وهو ما يمكن تفسيره كذلك بتأثير الواقعية الاشتراكية في منظور الناقد، كون الطبقة والصراع الطبقي من قضاياها الأساسية[٤]، وما توصل إليه البدر قد يكون نتيجة لتأثره بالمذهب الواقعي أو بتأثير النصوص الممثلة له، وهو ما قد لا يتفق ومفاهيم أخرى للواقعية تراه في التصوير الصادق للمجتمع وإبراز طبقاته المختلفة كما نص على ذلك العباس والفوزان في الفصل السابق[٥]، ويرجع هذا الاختلاف حول الواقعية إلى تأثر البدر بالمفهوم السببي الذي يقضي بالصراع وتأكيده بوصفه ثيمة أساسية، وتأثر الناقدين بالمفهوم البراغماتي الذي لا يرى في التفاوت الطبقي سوى صورة طبيعية من تفاعلات لأسباب أخرى في المجتمع.

---

[١] الغامدي، ثنائية الأسطورة والواقع في روايات إبراهيم الناصر الحميدان ضمن ملتقى الباحة الثالث ١٤٢٩، ص٢٨٧.

[٢] المري، ملامح البيئة السعودية في روايات إبراهيم الناصر، ص٤٩. كما يذكر ناصر الجاسم أن البطل في روايات الناصر اشتمل على جملة قضايا، منها: حرية المرأة، وصراع الأجيال، والطبقية التي حددها في رواية (ثقب في رداء الليل). ناصر سالم الجاسم، صورة البطل في روايات إبراهيم الناصر الحميدان؛ (الرياض: مطابع دار جامعة الملك سعود، ٢٠١٥م)، ص١٩١.

[٣] البدر، مصدر سابق، ص١٢٥، ص ١٢٦.

[٤] ينظر بيتروف، مرجع سابق، ص١٤٠.

[٥] ينظر الفوزان، مصدر سابق، ج٢، ص٧٤٥. والعباس، نهاية التاريخ الشفوي، ص٦٩.

وما يهم في المثالين السابقين أنهما جعلا من الطبقة موضوعا دالا على تجربة كاتب بعينه مثل الناصر، أو دالا على نوع من الكتابة الروائية مثل الواقعية، وفي هذا تحول للطبقة من المرجع للشيء إلى أن يكون الشيء ذاته.

ويلحظ مما سبق أن الأحكام النقدية والتقييمية عكست تفاعلا جدليا مع الطبقة، فهي استفادت منها في تكوين مرجع دلالي لكثير من أحكامها المتعلقة بالرموز أو الدلالة الاجتماعية، واستخلاص الموضوع الرئيس للنصوص الروائية، كما استفادت الطبقة الاجتماعية من الأحكام في توضيح أنواعها، وسماتها المتأثرة بمواقف الروائيين، أو بمحدودية النصوص الروائية واختلاف فضاءاتها الزمانية والمكانية، أو بذاتية الناقد ومنهجه القرائي الذي عادة ما كان انتقائيا ومباشرا، أو باختلاف تأثره بالتصورين السببي والبراغماتي للطبقة، ما جعلها سمات نسبية غير قابلة للتعميم.

استنتاجات

ويستنتج من التطبيقات السابقة الآتي:

-كان تطبيق النقاد السعوديين موازيا لآرائهم في متابعته للتنظير الغربي والنقد العربي في كثير من أحكامه وتصوراته، ولم يضف إليها أبعادا أخرى.

-غلب على الأحكام التطبيق على عدد من المفاهيم والنظريات، وخصوصا نظرية الانعكاس التي فهمت على أنها بحث عن التناظر الصريح بين البنيتين النصية والاجتماعية، فكانت القراءة النقدية حرفية وظاهرية وتوثيقية، مركزة على الجوانب الموضوعية الاجتماعية أكثر من الفنية.

-تأثر التطبيق بعدد من المبادئ، كان أهمها مبدأ الشمولية الذي عكس اهتمام النقاد بالكم على حساب الكيفية التي يقاس بها الدرجة الفنية للنص.

-استجابة كثير من التطبيقات للتصور البراغماتي للطبقة، ما جعل أكثر الأحكام وصفية شارحة لا ُيبنى عليها نتائج أو مواقف أو دلالات فنية.

-محاولة أكثر النقاد الابتعاد في تطبيقاتهم عن تبني مواقف أيديولوجية محددة، أو الإشارة إليها، باستثناء الشتوي وإحالته إلى الماركسية وتصحيح مفهومها، وعلي الحمود وتأثره بالإسلامية.

-إثارة عدد من التطبيقات المحدودة للمسائل النفسية والثقافية، في دلالة على قدرة العلاقة بين التنظير والطبقة الاجتماعية في الانفتاح على ما هو غير اجتماعي.

-جدلية العلاقة بين التطبيق والطبقة الاجتماعية، فالأول مكن الآخر من الوجود الفعلي من خلال الاعتماد عليه بوصفه مرجعا في الاستدلال والاستنتاج والتفسير، ومحاولة التعريف به مجتمعيا من خلال تحديد بعض من سمات كل طبقة، وهي سمات مختلفة من حيث كونها داخلية أو خارجية، سلوكية أو فكرية، إيجابية أو سلبية، غير قابلة للتعميم، وهذا بسبب ارتباطها المباشر بالنص وكاتبه وذاتية الناقد، والآخر منح الأول فرصة للتطبيق على عدد من المفاهيم والنظريات والتقنيات والقضايا، تطبيقا كان معظمه منحصرا في الدلائل الاجتماعية المتوقعة والمنمطة.

خـاتمة

خـاتمة

ولقد وصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

١-أن لجوء التنظير الروائي إلى الطبقة الاجتماعية لجوء قديم، استمده من التصور الكلاسيكي المتحيز للطبقة العليا والمفهوم البراغماتي، حاول الماركسيون تغييره بالتحيز للطبقات الدنيا والمفهوم السببي، وتصنيف الواقعية الاشتراكية؛ وهو لجوء في حالتيه يمثل أسبقية التصور الاجتماعي وأثره في التنظير الذي أصبح مرتهنا إليه، وضعيفا في قدرته للوصول إلى غاياته الموضوعية، فكانت تفسيراته لنشوء الرواية وتطورها

تابعة لقيم الطبقة ومواقف النقاد منها، وتصنيفاته لها ولأشكالها غير حاسمة، ووظائفه مؤقتة ومقيدة بالوعي الطبقي، وأحكامه تقييمية مبررة بالغايات المنفعية، ومتأثرة بمبدأ الانعكاس الذي حصر القيمة الفنية في المطابقة والتماسك.

٢-أن مجاوزة التنظير الروائي الغربي للحالة السابقة، لم تنجز إلا بالاستعانة بمفهوم التطور الاجتماعي، والمفهوم البراغماتي الذي منحته الرواية بعدا إنسانيا وفنيا، فخففت من حدة المفهوم السببي بفتح الرواية على الطبقات كلها، وجعلها بعد ذلك خطابا إنسانيا لا جنسا أدبيا، ترتقي به عن التحيزات السياسية، وتحويل ذلك إلى قيمة فنية تجعل من الحرية والتعدد أساسين لها، ومن الكيفية إمكانا لتحقيق الموضوعية والكلية؛ شرطي النظرية وغايتها.

٣-أن تأثر مفهوم الطبقة الاجتماعية بالتنظير كان ممثلا في الاعتماد عليها وتوظيفها، ما جعل منها حقيقة تتجاوز المفهوم الاسمي لها، ووسيطا لتشكل القيم التي يمكن للرواية تمثيلها، كما حاول ترقية المفهوم البراغماتي بالتركيز على المعيارين الثقافي والفني، ليصبح غير مقابل للسببي بل مجاوزا له، وقادرا على استيعابه، كما أعاد المفهومين إلى الإنسانية التي تمثل البنية الأكثر تطورا في النظرية الاجتماعية الحديثة.

٤-أن النقد العربي كان في كثير من حالاته متابعا للتنظير الغربي في علاقته بالطبقة الاجتماعية، فاستعان به للتعريف بالرواية تاريخا ومفهوما، ووظفه في عرض القضايا واستنتاجها، وتأثر بماركسيته في تصورها السببي وتصنيفها الواقعي ومفاهيمها التحليلية، ومنهجها القائم على مبدأ الانعكاس وقيم المطابقة والدقة والتماسك، وهي تأثيرات تؤكد انحسار النقاد العرب في التطبيق، وضعف الاستفادة من مفهوم الطبقة في تقديم جوانب نظرية جديدة أو مختلفة؛ حيث غلب على حضوره التمثيل للمفاهيم والتصنيفات، وتقديم الجوانب الموضوعية على الفنية، ومنح بعض الوظائف والأحكام مرجعية اجتماعية أو أيديولوجية، وفسح المجال لذاتية الناقد للتمثل والتقييم.

٥-أن علاقة النقد العربي بالطبقة الاجتماعية لم تكن فاعلة إلا على مستوى تحول الفردية من مقابل للطبقة إلى وسيط لانفتاح الرواية على الإنسانية، وتوظيف مراحل الارتباط المتدرجة والمنجزة من التنظير الغربي في إنتاج تصنيفات تاريخية مشابهة للرواية العربية وعناصرها، صالحة لأن تكون مدخلا للتعريف بها وقضاياها الاجتماعية والسياسية، والتأكيد على دور الطبقة الوسطى الممثلة للمثقفين والتجار في نشوء الرواية وتطورها؛ تلك الطبقة التي فُسرت بالبرجوازية تفسيرا ملائما للمجتمع العربي وطبقاته المختلفة عن الغربية في علاقتها مع السلطة السياسية ووسائل الإنتاج.

٦-أن النقاد السعوديين عبروا عن مفهوم الطبقة الاجتماعية بواسطة تصوراتهم المستنتجة من تحليلاتهم للروايات العربية والسعودية والغربية، وتفسيراتهم لنصوصها وعناصرها، وهي تصورات قائمة على خبرة اجتماعية مبنية على الملاحظة والمعايشة، تداخلت مع المفهومين السببي والبراغماتي؛ حيث كان الأول متصلا بالتفسير والتأويل، والآخر بالوصف والتصنيف، وتطابقت مع الدراسات الاجتماعية السعودية في تبنيها للمفهوم الواسع المتداخل مع العنصرية، كما كان استعمالهم للمفهوم صريحا لكنه منقطع عن التوظيف الأيديولوجي، وموازيا عبر مفاهيم تترادف ومفهوم الطبقة، كان مفهوم الفئة أكثرها استيعابا للمضامين السابقة، والتصور البراغماتي أكثرها تمثيلا.

٧-أن الجوانب النظرية في النقد السعودي المتأثرة بعلاقة التنظير بالطبقة كانت في معظمها متابعة للتنظير الغربي، بالاعتماد على البرجوازية في التعريف بالرواية الغربية وتصنيفها، وعلى الطبقة الدنيا في تعليل الرواية وأهميتها، وتحديد وظيفتها، والتركيز على الجوانب النفسية التي عوض بها النقاد السعوديون الجوانب السياسية والتاريخية، ونقد الربط بين الرواية والطبقة اعتمادا على باختين Bakhtin وقيمه الاجتماعية والإنسانية، واللجوء إلى قيم الدقة والتماسك والتعدد بوصفها قيما فنية.

٨-أن النقد العربي كان حاضرا في تشكيل الجوانب النظرية في النقد السعودي، باستبدال الوسطى بالبرجوازية، وتفسيرها بالمثقفين، لتشابه البيئتين وتقاربهما في علاقة تلك الطبقة بالمجتمع، والسياسة، والآخر الغربي سواء بترجمته أو النقل عنه، وفي توظيف علاقة الرواية بالطبقة في الدعوة إلى قضايا أخرى اجتماعية وثقافية، أو تعليلها فنيا وإنسانيا، وفي تمييز الرواية عن الشعر طبقيا، وفي جعل الطبقة مثالا للتصنيف والوظيفة وليس معيارا حاسما، وتحويل الشخصيات إلى نماذج ورموز دون تحديد واضح لشروط ذلك، والربط بين الصراع الطبقي والدراما الفنية، والوقوف عند مجال التطبيق، وعدم القدرة على استغلال العلاقة في استنتاج الكليات والقواعد وتعميمها وتحقيق الشروط النظرية.

٩-أن النقد السعودي نتيجة للمتابعة لم يكن صريحا في اعتماده على الطبقة خصوصا في التعريف والتصنيف، وكان مفتقدا إلى الدقة في تحديد بعض الأجناس أو العناصر، بل متداخلا مع المعايير العامة للرواية، ومتأثرا بالتصور البراغماتي أكثر من تأثره بالسببي، ما جعله ملتزما بالوصف والتصنيف دون بلوغ الجوانب الإنسانية، التي كانت قضية موظفة أكثر من كونها نهاية متطورة لعلاقة الرواية بالطبقة الاجتماعية.

١٠-أن النقد السعودي اختلف في جوانب نظرية فرعية من علاقة الرواية بالطبقة، فهو لم يربط بين الطبقة العليا ورفض الرواية، كما فسّر البرجوازية بالفردية والمدنية، ليستنتج منها قيمها المتمثلة في التسامح والانفتاح والتعايش والقبول بالمختلف، والعمل على تأكيدها، والتعريض بحاجة المجتمع السعودي إليها، كما استغل نقاد سعوديون العلاقة بين الرواية والطبقات ثم الإنسانية في تحديد السمات الأجناسية للرواية عموما في علاقتها مع خطابات أخرى مثل التاريخ، أو تحديد السمات الفنية لها، أو تعليل تقدم الرواية على غيرها من الأشكال الفنية، والاعتماد على المفهوم الواسع المتداخل مع العنصرية في تحديد بعض الأمثلة المرتبطة بتحليل عنصر بنائي أو ثيمة أساسية للنص الروائي، وعلى الإسلامية بوصفها اتجاها نقديا في رفض الارتباط ونفي الطبقية دون تقديم بديل لها.

١١-أن النقد السعودي في الجوانب التطبيقية كان متأثرا بالجوانب النظرية في متابعتها للتنظير الغربي في ربط وظيفة الرواية بالطبقة الدنيا، وللنقد العربي في ربط فنية الرواية بالطبقة الوسطى، وتأثر الحكم بعقيدة الروائي أو موقف الناقد وما يفرضه من انتقاء وتوظيف، وتحديد سمات كل طبقة تحديدا نسبيا خاضعا للنص ونوع القراءة، ومنح الطبقة بعضا من الوظائف المرجعية والموجزة للنص الروائي؛ حيث انعكس ذلك التأثير في جعل التطبيقات مقيدة بالأحكام الفنية السابقة.

١٢-أن أحكام النقاد السعوديين رغم متابعتها، إلا أنها لم تنخرط في تبني أيدلوجية ماركسية أو قومية، باستثناء الإسلامية، بل أضافت مبدأ الشمولية إلى الأحكام الفنية، وهو مبدأ كمي غير كاف في تبرير الجانب الجمالي، وتوسعت في التطبيق على عدد من المفاهيم الاجتماعية والنفسية والثقافية، إلا أن مفهوم الانعكاس كان أبرزها، ما انعكس ذلك على استنتاجاتهم التي غلب عليها المباشرة، وتغليب الجوانب الموضوعية على الفنية.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر

أولا: الكتب المنشورة

-باعشن، لمياء، البصمة الشبحية قراءات تفكيكية في السرد السعودي؛ (مكة المكرمة/بيروت: النادي الأدبي/مؤسسة الانتشار العربي، ٢٠١٤م).

-الجاسم، ناصر سالم، صورة البطل في روايات إبراهيم الناصر الحميدان؛ (الرياض: مطابع دار جامعة الملك سعود، ٢٠١٥م).

-الجعيدي، سعيد علي أحمد، أحمد السباعي أديبا؛ (جدة/بيروت: النادي الأدبي/مؤسسة دار الانتشار العربي، ٢٠١٥م).

-الجمعان، سامي، خطاب الرواية النسائية السعودية وتحولاته؛ (الرياض: النادي الأدبي، ٢٠١٣م).

-الحارثي، سميرة ردة، صورة البطل في روايات يوسف المحيميد دراسة نقدية تطبيقية؛ (الرياض: مطابع دار جامعة الملك سعود للنشر، ٢٠١٧م).

-الحارثي، هلالة، التراث السردي العربي في الرواية السعودية ١٤١٠-١٤٣٢هـ؛ (الرياض: دار جامعة الملك سعود للنشر، ٢٠١٤م).

-الحازمي، حسن حجاب:

البطل في الرواية السعودة دراسة نقدية؛ (جازان: النادي الأدبي، ٢٠٠٠م).

البناء الفني في الرواية السعودية (١٤٠٠-١٤١٨هـ) دراسة نقدية تطبيقية؛ (الرياض: دار الجنادرية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩م).

-الحازمي، منصور إبراهيم:

فن القصة في الأدب السعودي الحديث، ط٣؛ (الرياض: دار ابن سينا للنشر، ٢٠٠١م).

موسوعة الأدب العربي السعودي الحديث نصوص مختارة ودراسات؛ (الرياض: دار المفردات، ٢٠٠١م).

-الحسون، محمد علي، تضاريس اللحظة الحرجة قراءة في المشهد الروائي السعودي بعد حرب الخليج؛ (أبها/بيروت: النادي الأدبي/مؤسسة الانتشار العربي، ٢٠١٦م).

-الحكمي، عائشة يحيى، تعالق الرواية مع السيرة الذاتية الإبداع السردي السعودي أنموذجا؛ (القاهرة: الدار الثقافية للنشر، ٢٠٠٦م).

-الحنيف، عبد الله، شخصية الزوج في روايات أمل شطا؛ (الرياض: مطابع دار جامعة الملك سعود للنشر، ٢٠١٧م).

-الخلف، موضي عبد الله، حامد دمنهوري أديبا وروائيا؛ (الرياض: مطابع دار جامعة الملك سعود للنشر، ٢٠١٣م).

-الرفاعي، خالد، الرواية النسائية السعودية قراءة في التاريخ والموضوع والقضية والفن؛ (الرياض: النادي الأدبي، ٢٠٠٩م).

-بن زعلة، علي، الخطاب السردي في روايات عبد الله الجفري؛ (جدة/بيروت: النادي الأدبي الثقافي/مؤسسة الانتشار العربي، ٢٠١٥م).

-الزهراني، معجب، مقاربات حوارية؛ (مكة المكرمة/بيروت: نادي مكة الثقافي الأدبي/ مؤسسة الانتشار العربي، ٢٠١٢م).

-السعيد، بدرية إبراهيم، تطور فن الرواية العربية السعودية (١٣٤٩-١٤١٠هـ - ١٩٣٠-١٩٩٠م) دراسة موضوعية فنية، ط١؛ (القصيم: نادي القصيم الأدبي في بريدة، ٢٠١٧م).

-الشايع، مها، شخصية المثقف في الرواية السعودية؛ (الرياض: دار المفردات، ٢٠٠٩م).

-الشتوي، إبراهيم محمد، الصراع الحضاري في الرواية المصرية (١٩٧٣-١٩٩٠م)، ط١، (المؤلف، ٢٠٠٢م).

العباس، محمد:

نهاية التاريخ الشفوي؛ (بيروت/حائل: النادي الأدبي/مؤسسة الانتشار العربي، ٢٠٠٨م).

سقوط التابو الرواية السياسية في السعودية، ط١؛ (الكويت/بيروت: جداول للنشر والتوزيع، ٢٠١١م).

-العتيبي، فاطمة فيصل، السرديات النسوية في الرواية السعودية رجاء عالم أنموذجا؛ (الرياض: دار المفردات، ٢٠٠٩م).

-العدواني، أحمد، بداية النص الروائي مقاربة لآليات تشكل الدلالة؛ (الرياض/ بيروت/ الدار البيضاء: النادي الأدبي/المركز الثقافي العربي، ٢٠١١م).

-العجلان، هيفاء، بناء الشخصية في نماذج من الرواية السعودية؛ (الرياض: دار جامعة الملك سعود للنشر، ٢٠١٦م).

- عسيري، أحمد حسين، الرواية البوليسية السعودية المنطلق والمحددات في تشكيل المفهوم والتأصيل؛ (الرياض: دار المفردات، ٢٠١٧م).

-العوين، محمد عبد الله، قضايا المرأة السعودية من خلال السرد؛ (الرياض: مطابع الشرق الأوسط، ٢٠٠٩م).

-الغذامي، عبد الله:

تأنيث القصيدة والقارئ المختلف، ط٢؛ (بيروت/الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٥م).

القبيلة والقبائلية أو هويات ما بعد الحداثة، ط١؛ (بيروت/الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٩م).

-الفريدي، بدرية:

بناء الزمن وتشكيل الخطاب في الرواية السعودية، ٢٠٠١-٢٠١١م؛ (الرياض: دار جامعة الملك سعود للنشر، ٢٠١٦م).

صورة الشخصية الانهزامية في الرواية العربية السعودية دراسة نقدية (١٩٩١-٢٠٠٥م)؛ (الرياض: دار جامعة الملك سعود للنشر، ٢٠١٧م).

-الفواز، الريم مفوز، سيمياء الشخصية في الرواية السعودية ١٤١٠-١٤٣٠هـ (دراسة سيميائية)، (جدة/بيروت: النادي الأدبي الثقافي/مؤسسة الانتشار العربي، ٢٠١٥م).

-الفوزان، إبراهيم بن فوزان، الأدب الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد؛ (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨١م).

- القحطاني، سلطان بن سعد، الرواية في المملكة نشأتها وتطورها ١٩٣٠-١٩٨٩ دراسة تاريخية نقدية، ط١؛ (الرياض: مطابع شركة الصفحات الذهبية المحدودة، ١٩٩٨م).

-القرشي، عالي، تحولات الرواية في المملكة العربية السعودية؛ (الباحة/بيروت: النادي الأدبي/ مؤسسة الانتشار العربي، ٢٠١٣م).

-المري، نورة محمد، ملامح البيئة السعودية في روايات إبراهيم الناصر، ط١؛ (تبوك: النادي الأدبي، ٢٠٠٦م).

- مطري، نجلاء علي، الواقعية السحرية في الرواية العربية من ١٤٢٠-٢٠٠٠م حتى ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م)؛ (جدة/بيروت: النادي الأدبي الثقافي بجدة/ مؤسسة الانتشار العربي، ٢٠١٦م).

-أبو ملحة، محمد بن يحيى:

صورة المجتمع في الرواية السعودية؛ (أبها: النادي الأدبي، ٢٠٠٩م).

السرد العالم الموازي، (جدة/بيروت: النادي الأدبي الثقافي/ مؤسسة الانتشار العربي، ٢٠١٥م).

-المهوس، منصور:

صورة الرجل في الرواية النسوية السعودية رؤية ثقافية جمالية؛ (الرياض: مؤسسة اليمامة الصحفية، ٢٠٠٨م).

المروي له في الرواية السعودية المعاصرة دراسة نقدية؛ (الرياض: دار جامعة الملك سعود للنشر، ٢٠١٧م).

-النعمي، حسن:

رجع البصر، قراءات في الرواية السعودية، ط١؛ (جدة: النادي الأدبي الثقافي، ٢٠٠٤م).

بعض التأويل مقاربات في خطابات السرد؛ (الرياض/بيروت: النادي الأدبي/ المركز الثقافي العربي، ٢٠١٣م).

-الهاجري، سحمي، حوار النصوص دراسات تحليلية في السرد التاريخي والروائي؛ (جدة: النادي الأدبي الثقافي، ٢٠١٤م).

ثانيا: الأوراق والمقالات العلمية

-باعشن، لمياء:

في بواكير النقد الأدبي السعودي ضمن ملتقى النقد الأدبي الدورة الأولى (الخطاب النقدي في مراحله المبكرة)؛ (الرياض: النادي الأدبي، ٢٠٠٨م،).

الرسم على النسيج السردي، ضمن مؤتمر الأدباء السعوديين الرابع/ محور الأدب السعودي والفنون، ج٣؛ (الرياض: دار المفردات للنشر والتوزيع، ٢٠١٣م).

-تونسي، إيمان، بوح الأنثى في رواية قطرات من الدموع ضمن كتاب خطاب السرد الرواية النسائية السعودية؛ (جدة: النادي الأدبي الثقافي، ١٤٢٧هـ).

-الحارثي، محمد مريسي، اهتزاز القيم في الخطاب الروائي العربي وليمة أعشاب البحر أنموذجا، ضمن ندوة الرواية بوصفها الأكثر حضورا؛ (بريدة: نادي القصيم الأدبي، ١٤٢٤هـ).

-الحازمي، حسن حجاب:

المدينة في الرواية السعودية من ضمن ندوة الرواية بوصفها الأكثر حضورا؛ (بريدة: نادي القصيم الأدبي، ٢٠٠٤م).

بواكير التجديد في الرواية السعودية من خلال عذراء المنفى، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل، مج١٣، ع ١، ٢٠١٢م.

-الحازمي، منصور:

محمد فريد أبو حديد: كاتب الرواية، مجلة كلية الآداب جامعة الرياض، مج١، ١٩٧٠م.

الرواية في الأدب السعودي الحديث، مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض، مج٣، ١٩٧٤م.

مشكلة الأقلية في الرواية التاريخية اللبنانية، الدارة، مج٢، ع٢، يوليو ١٩٧٦م.

-الحمود، علي محمد، التوظيف الإسلامي للرواية مهما غلا الثمن لعبد الله العريني أنموذجا، مجلة العلوم العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ع ١٩٤، ربيع الآخر ٢٠١١م.

-الدغيري، إبراهيم علي، علاقة الرواية بحركة المجتمع مدخل نظري ضمن ملتقى الباحة الثقافي الثاني ١٤٢٨هـ؛ (الباحة: النادي الأدبي، ٢٠٠٨م).

-الزهراني، معجب:

الرواية المحلية وإشكالية الخطاب الحواري مقاربة أولية لعلاقة الكتابة الروائية بشروط إنتاجها، قوافل، مج٤، ع٧، ١٩٩٦م.

آثار نظرية الرواية الغربية في النقد الروائي العربي، مجلة جامعة الملك سعود –الآداب-، مج٩، ع١، ١٩٩٧م.

جماليات الكتابة ودلالاتها الحوارية في رواية السير الذاتية، ملتقى الباحة الثقافي الثالث ١٤٢٩هـ الرواية السعودية مقاربات في الشكل، ط١؛ (الباحة: النادي الأدبي، ٢٠٠٩م).

السيرة الذاتية في الأدب السعودي، ضمن كتاب السيرة الذاتية في الأدب السعودي دراسات نقدية؛ (الرياض: مطابع دار جامعة الملك سعود للنشر، ٢٠١٣م).

-زياد، صالح:

الرواية وسؤال الحضور الأقوى تراتب الأنواع الأدبية وتداخلها عرض نقدي، ضمن ندوة الرواية بوصفها الأكثر حضورا؛ (بريدة: نادي القصيم الأدبي، ٢٠٠٤م).

زمن القرية، من ملتقى الباحة الأول ١٤٢٧ دراسات في التاريخ والآداب؛ (الباحة: النادي الأدبي، ٢٠٠٩م).

- السريحي، سعيد مصلح، سلطة الرواية اقتناص الهوية في لحظة السيرورة، ضمن ملتقى الباحة الثاني ١٤٢٨هـ الرواية وتحولات الحياة في المملكة العربية السعودية؛ (الباحة: النادي الأدبي، ٢٠٠٨م).

-الشخص، ثناء محمد رضا، القارئ السلطة الآخر المسرود له في الرواية رواية ستر لرجاء عالم أنموذجا، ضمن أبحاث ملتقى الباحة الأدبي الرابع ٢٠١٠/٩/٢٦م؛ (الباحة بيروت: النادي الأدبي، مؤسسة الانتشار العربي، ٢٠١١م).

-الشريف، سمير أحمد، قراءة في نظرية الرواية، مجلة أفنان، النادي الأدبي بتبوك، ع ١٨، ٢٠١٠م.

-ضباب، منصور محسن، صورة الثقافة الأمريكية من منظور نقولا حداد في روايته العالم الجديد، مجلة جامعة الملك عبد العزيز-الآداب والعلوم الإنسانية، مج٢٠، ع١، ٢٠١٢م.

-العباس، محمد، انفجار التناقضات: الفضاء الثقافي للرواية في السعودية، علامات، المغرب، ع٣٢، ٢٠٠٩م.

-العدواني، معجب، الشخصية بوصفها معيارا للتجنيس الروائي، علامات، عدد٨٣، مايو ٢٠١٥م.

- العمري، علياء عبد الله، الرواية السعودية بين التنوير والتكفير، قراءة اجتماعية تاريخية، لبنان: المستقبل العربي، مج٤٠، ع٤٦٣، سبتمبر ٢٠١٧م.

-العنزي، عوض بن إبراهيم، آفاق التوقع ومسارات التحول: قراءة بنيوية تكوينية في فخاخ الرائحة ليوسف المحيميد، قوافل، ع٣٤، ٢٠١٦م.

-الغامدي، جمعان بن أحمد:

السجن السياسي في الرواية العربية حز القيد العمانية أنموذجا، علامات، النادي الأدبي الثقافي بجدة، مج١٨، ج٦٨/٦٩، مايو ٢٠٠٩م.

ثنائية الأسطورة والواقع في روايات إبراهيم الناصر الحميدان، ملتقى الباحة الثقافي الثالث ١٤٢٩هـ الرواية السعودية مقاربات في الشكل، ط١؛ (الباحة: النادي الأدبي، ٢٠٠٩م).

الآخر ناظرا إلى الأنا السعودية (مجتمعا ورواية وروائيا)، ضمن أبحاث الملتقى الرابع لملتقى الباحة الأدبي الرابع، ٢٠١٠/٩/٢٦م؛ (الباحة/ بيروت: النادي الأدبي/ مؤسسة الانتشار العربي، ٢٠١١م).

-القحطاني، سلطان سعد:

الرواية السعودية ومنهجية الخطاب النقدي ضمن ندوة الرواية بوصفها الأكثر حضورا؛ (بريدة: نادي القصيم الأدبي، ١٤٢٤هـ).

الرواية وتغيرات المجتمع في المملكة، علامات، مج١٨، ج٦٨/٦٩، مايو ٢٠٠٩.

العلاقة الجدلية بين الرواية والتاريخ ضمن أبحاث ملتقى الباحة الأدبي الخامس ١٤٣٣هـ الرواية العربية الذاكرة والتاريخ؛ (الباحة/بيروت: النادي الأدبي/مؤسسة الانتشار العربي، ٢٠١٣م).

-آل مبارك، محمد بن عبد الله منور، توظيف اللهجات المحلية في الرواية السعودية رواية ساق الغراب أنموذجا، حقول، العدد ١٣، ذو القعدة ١٤٣٨ -يوليو ٢٠١٧م.

-المحيش، نبيل عبد الرحمن، استشراف التحولات التاريخية والاجتماعية في الرواية العربية (الانتقال إلى عصر الهيمنة الأمريكية) رواية (يحدث في مصر الآن) نموذجا، ضمن ملتقى الباحة الأدبي الخامس ١٤٣٣؛ (الباحة/بيروت: النادي الأدبي/ مؤسسة الانتشار العربي، ٢٠١٣م).

-المري، نورة، قراءة في رواية اللعنة ضمن كتاب خطاب السرد-الرواية النسائية السعودية؛ (جدة: النادي الأدبي الثقافي، ٢٠٠٧م).

-النعمي، حسن بن محمد:

خطاب العنصرية في الرواية السعودية مقاربة أولية، ضمن أبحاث الملتقى الرابع لملتقى الباحة الأدبي الرابع، ٢٠١٠/٩/٢٦م؛ (الباحة/ بيروت: النادي الأدبي/ مؤسسة الانتشار العربي، ٢٠١١م).

جدل العلاقة بين الثقافة العالمة والثقافة الشعبية مقاربة في روايتي العصفورية وأبو شلاخ البرمائي، من ضمن أبحاث ندوة غازي القصيبي: الشخصية والإنجازات (محور الرواية)؛ (الرياض: دار جامعة الملك سعود للنشر، ٢٠١٥م).

-الهاجري، سحمي، التعبير عن تنوع الهويات الصغرى نماذج من الرواية السعودية، الراوي، عدد٢٧، يونيه ٢٠١٤م.

ثالثا: الرسائل العلمية

-الأحمدي، أسماء مقبل، إشكاليات الذات الساردة في الرواية النسائية السعودية (١٩٩٩-٢٠١٢م)، رسالة دكتوراه، جامعة الملك عبد العزيز، ٢٠١٧م.

-الإدريسي، رغدة، صورة البطلة في الرواية السعودية بعد أحداث ١١ سبتمبر حتى عام ٢٠١١م، رسالة ماجستير، جامعة الملك عبد العزيز، ٢٠١٣م.

-البدر، يونس حبيب، الواقعية الاجتماعية في الرواية السعودية خلال الفترة ١٤٠٠-١٤٢٨هـ دراسة موضوعية وفنية، رسالة ماجستير، جامعة الملك فيصل، ٢٠١٢م.

-الدغيري، إبراهيم علي، صورة المجتمع في الرواية السعودية المعاصرة ١٤٠٠-١٤٢٤هـ دراسة تحليلية وفنية، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٦-١٤٢٧هـ، ٢٠٠٧م.

-الدوسري، محمد بتال هذال، عبده خال روائيا، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٩م.

-الرويثي، ريم نايف، الرواية عند قماشة العليان: دراسة نقدية تحليلية، رسالة ماجستير، جامعة طيبة، ٢٠١٤م.

-الزهراني، ساري محمد، الرؤية والتشكيل الفني في روايات عبد العزيز الصقعبي، رسالة دكتوراه، جامعة الملك عبد العزيز، ٢٠١٥م.

-العتيبي، نوير محمد الدعجاني، الشخصية المغتربة في الرواية السعودية (١٤١٤- ١٤٣٠هـ)، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٤-١٤٣٥هـ، ٢٠١٤م.

-العتيق، عائشة سالم، مناهج الدراسة في الرواية العربية في المملكة العربية السعودية، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، ٢٠١٠م.

-العمري، زهير حسن، الرواية السعودية وتحولاتها الموضوعية والفنية من عام ١٩٩٠ إلى عام ٢٠٠٨ م دراسة تحليلية فنية، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، ٢٠١١م.

-الغامدي، إلهام أحمد، بناء الشخصية في روايات عبد الوهاب آل مرعي وتعالقاتها بالعناصر السردية الأخرى، رسالة ماجستير، جامعة الملك خالد، ٢٠١٤م.

-الغامدي، حنان، آليات تشكيل الحلم في الرواية النسائية السعودية المعاصرة (١٩٩١-٢٠٠٣)، رسالة دكتوراه، جامعة الملك عبد العزيز، ٢٠١٢م.

-القحطاني، نورة سعيد، صورة الرجل في الرواية النسائية السعودية ١٤١٠-١٤٢٤هـ/ ١٩٩٠-٢٠٠٣م، رسالة ماجستير، جامعة الملك عبد العزيز، ٢٠٠٦م.

-القرشي، عيضة محمد خضر، الرواية عند غازي القصيبي دراسة نصية، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

-قسام، غفران عبد الله، الرواية النسائية في السعودية: الهجرة وتحولات الرؤية، رسالة ماجستير، جامعة الملك عبد العزيز، ٢٠١٣م.

-المجماج، ناصر فهد سليمان، بناء الشخصية الروائية في روايات غالب حمزة أبو الفرج، رسالة ماجستير، جامعة القصيم، ٢٠١٣م.

-الهامل، آلاء منذر، تمثيلات الإقصاء في الرواية السعودية دراسة نقدية، رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود، ١٤٣٧-١٤٣٨هـ، ٢٠١٦م.

قائمة المراجع العربية والمترجمة

-أحمد، فاطمة خليفة، نشأة الرواية وتطورها في دولة الإمارات العربية المتحدة في الفترة من ١٩٧٢-حتى ٢٠٠٠م؛ (أبو ظبي: المجمع الثقافي، ٢٠٠٣م).

-إدريس، سهيل، محاضرات عن القصة في لبنان؛ (القاهرة: معهد الدراسات العالية، ١٩٥٧م).

-الأعرج، واسيني، الطاهر وطار وتجربة الكتابة الواقعية؛ (الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٨م).

-ألبيريس، ر. م.، تاريخ الرواية الحديثة، ترجمة: جورج سالم، ط٢؛ (بيروت/باريس: منشورات بحر المتوسط/ منشورات عويدات، ١٩٨٢م).

-إيجلتون، تيري:

النقد والأيديولوجيا، ترجمة: فخري صالح؛ (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٢م).

نظرية الأدب، ترجمة: ثائر ذيب؛ (دمشق: منشورات وزارة الثقافة، ١٩٩٥م).

ما بعد النظرية، ترجمة: باسل المسالمة؛ (دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١٥م).

-إيرل، وليم جيمس، مدخل إلى الفلسفة مزود بمعجم فلسفي معاصر، ترجمة: عادل مصطفى، مراجعة: يمنى طريف الخولي؛ (القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع، ٢٠١١م).

-إيكو، إمبرتو، تأملات في السرد الروائي، ترجمة: سعيد بنكراد؛ (بيروت/الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠١٥م).

-باختين، ميخائيل:

شعرية دوستويفسكي، ترجمة: جميل نصيف التكريتي؛ (الدار البيضاء: دار توبقال، ١٩٨٦م).

الخطاب الروائي، ترجمة: محمد برادة، ط١؛ (القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٧م).

الكلمة في الرواية، ترجمة: يوسف حلاق؛ (دمشق: منشورات وزارة الثقافة، ١٩٨٨م).

-البازعي، سعد، الرويلي، ميجان، دليل الناقد الأدبي، ط٥؛ (بيروت/الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٧م)، ص٢٧٥.

-بحراوي، حسن، بنية الشكل الروائي الفضاء-الزمن-الشخصية؛ (بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٠م).

-بدوي، أحمد زكي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية إنجليزي-فرنسي-عربي؛ (بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٢م).

-بدوي، أحمد موسى، تحولات الطبقة الوسطى في الوطن العربي؛ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٣م).

-برادة، محمد، الرواية العربية ورهان التجديد، كتاب دبي الثقافية الإصدار ٤٩؛ (دبي: دار الصدى، ٢٠١١م).

-برنس، جيرالد، المصطلح السردي، ترجمة: عابد خزندار؛ (مصر: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٣م).

-البشر، بدرية، نجد قبل النفط دراسة سوسيولوجية تحليلية للحكايات الشعبية؛ (بيروت: جداول للنشر والتوزيع، ٢٠١٣م).

-بليخانوف، جورج، الفن والتصور المادي للتاريخ، ترجمة: جورج طرابيشي؛ (بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٧م).

-بوتور، ميشال، بحوث في الرواية الجديدة، ترجمة: فريدة أنطونيوس، ط٣؛ (بيروت/باريس: منشورات عويدات، ١٩٨٦م).

-بيتروف، س ى، الواقعية النقدية في الأدب، ترجمة: شوكت يوسف؛ (دمشق: وزارة الثقافة منشورات الهيئة العامة، ٢٠١٢م).

-بينيت، طوني، غروسبيرغ، لورانس، موريس، ميغان، مفاتيح اصطلاحية جديدة؛ معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، ترجمة: سعيد الغانمي؛ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٠م).

-تليمة، عبد المنعم، مقدمة في نظرية الأدب، ط٣؛ (بيروت: دار العودة، ١٩٨٣م).

-تودوروف، تزفيتان، نظريات في الرمز، ترجمة: محمد الزكراوي؛ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٢م).

-تيماشيف، نيقولا، نظرية علم الاجتماع طبيعتها وتطورها، ترجمة: محمود عودة ومحمد الجوهري ومحمد علي محمد والسيد محمد حسيني، ط٥؛ (مصر: دار المعارف، ١٩٧٨م).

-الجابري، محمد صالح، القصة التونسية نشأتها وروادها؛ (تونس: مؤسسة عبد الكريم بن عبدالله، ١٩٧٥م).

-الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق: درويش جويدي؛ (بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠١٦م).

-جارودي، روجيه، واقعية بلا ضفاف بيكاسو-سان جحون بيرس-كافكا، ترجمة: حليم طوسون، مراجعة، فؤاد حداد؛ (القاهرة: دار الكاتب العربي، ب.ت).

-الجرجاني، عبدالقاهر، الخطابي، الرماني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله، أحمد زغلول سلام، ط٣؛ (مصر: دار المعارف، ب.ت).

-جرييه، آلان روب، نحو رواية جديدة، ترجمة: مصطفى إبراهيم مصطفى؛ (مصر: دار المعارف، ب.ت).

-بن جمعة، بوشوشة، اتجاهات الرواية في المغرب العربي؛ (المغرب: المغاربية للطباعة والنشر، ١٩٩٩م).

-جوسان، أندريه، طبقات المجتمع، ترجمة: السيد محمد بدوي، ط٢؛ (القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠١١م).

-حسان، علا السيد، نظرية الرواية العربية في النصف الثاني من القرن العشرين؛ (عمان، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، ٢٠١٤م).

-حمداوي، جميل، مستجدات النقد الروائي؛ (دار الألوكة www.alukah.net، 2011م).

-الحمصي، أحمد سليم، ضناوي، سعدي عبداللطيف، الرافد معجم الناشئة اللغوي عربي-عربي،(بيروت: المؤسسة الحديثة للكتاب، ٢٠١٥م).

-حميد، لحميداني:

الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي؛ (الدار البيضاء: دار الثقافة، ١٩٨٥م).

النقد الروائي والأيديولوجيا من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي؛ (بيروت/الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٠م).

-الخطيب، محمد كامل، الرواية والواقع؛ (بيروت: دار الحداثة للطباعة والنشر، ١٩٨١م).

-ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: درويش الجويدي؛ (بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠٠٩م).

-خليل، أحمد، المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع؛ (بيروت: دار الحداثة، ١٩٨٤م).

-خورشيد، فاروق، الرواية العربية عصر التجميع، ط٢؛ (القاهرة: دار الشروق، ١٩٧٥م).

-دراج، فيصل، نظرية الرواية والرواية العربية؛ (بيروت/الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٣م).

-دروش، فضيلة، سوسيولوجيا الأدب والرواية؛ (عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع، ٢٠١٣م).

-دوركايم، إميل، في تقسيم العمل الاجتماعي، ترجمة: حافظ الحمالي؛ (بيروت: اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، ١٩٨٢م).

-الراعي، علي، دراسات في الرواية المصرية؛ (مصر: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، ١٩٦٤م).

-رينيه، جيرار، الكذبة الرومانسية والحقيقة الروائية، ترجمة: رضوان ظاظا؛ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٨م).

-الزهراني، حصة بنت جمعان، الحياة الاجتماعية الاقتصادية في الدولة السعودية الثانية؛ (الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ٢٠٠٤م).

-زيما، بيير، النقد الاجتماعي نحو علم اجتماع للنص الأدبي، ترجمة: عايدة لطفي، مراجعة: أمينة راشد، سيد البحراوي؛ (القاهرة/باريس: دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩١م).

-سارتر، جول بول، الأدب الملتزم، ترجمة: جورج طرابيشي، سلسلة مواقف ، ط٢١؛ (بيروت: منشورات دار الآداب، ١٩٦٧م).

-السعافين، إبراهيم، تطور الرواية العربية الحديثة في بلاد الشام (١٨٧٠-١٩٦٧)؛ (العراق: منشورات وزارة الثقافة والإعلام/ دار الرشيد للنشر، ١٩٨٠م).

-سكوت، جون، علم الاجتماع المفاهيم الأساسية، ترجمة: محمد عثمان؛ (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث، ٢٠٠٩م).

-السيف، محمد بن إبراهيم:

التغير الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية دراسة سوسيو إنثروبولوجية في مجتمع عنيزة؛ (الرياض: المهرجان الوطني للتراث والثقافة/ مطابع الخالد،١٩٩٠م).

المدخل إلى دراسة المجتمع السعودي؛ (الرياض: دار الخريجي للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م).

-شارتيه، بيير: مدخل إلى نظريات الرواية، ترجمة: عبد الكبير الشرقاوي؛ (الدار البيضاء: دار توبقال، ٢٠٠١م).

-شلش، علي، نشأة النقد الروائي في الأدب العربي الحديث؛ (مصر: مكتبة غريب، ب.ت).

-الشنطي، محمد، فن الرواية في الأدب العربي السعودي المعاصر؛ (جازان: نادي جازان الأدبي، ١٩٩١م).

-صالح، فخري وآخرون، آفاق النظرية الأدبية المعاصرة بنيوية أم بنيويات؛ (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٧م).

-صبحي، محي الدين، دراسات ضد الواقعية في الأدب العربي؛ (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٠م).

-صليبا، جميل، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية؛ (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢م).

-صنيتان، محمد، الدولة والمجتمع؛ محددات تكون الكيان السعودي؛ (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ٢٠٠٨م).

-طاليس، أرسطو، فن الشعر، ترجمة وتعليق: إبراهيم حمادة؛ (مصر: مكتبة الأنجلو مصرية، ب.ت).

-الطبري، ابن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: بشار عواد معروف، عصام فارس الحرساني، مج٦؛ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٤م).

-العالم، محمود أمين:

تأملات في عالم نجيب محفوظ؛ (مصر: الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٧٠م).

ملاحظات حول نظرية الأدب وعلاقتها بالثورة الاجتماعية؛ (الجزائر، وزارة التعليم العالي والبحث، ب.ت).

أربعون عاما من النقد التطبيقي البنية والدلالة في القصة والرواية العربية المعاصرة؛ (بيروت/القاهرة: دار المستقبل العربي، ١٩٩٤م).

-عبد العظيم، صالح سليمان، سوسيولوجيا الرواية السياسية يوسف القعيد أنموذجا؛ (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م).

-عبد الله، محمد حسن، الواقعية في الرواية العربية؛ (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩١م).

-عثمان، عبد الفتاح:

بناء الرواية؛ (القاهرة: مكتبة الشباب، ١٩٨٢م).

الرواية العربية الجزائرية ورؤية الواقع دراسة تحليلية فنية؛ (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣م).

-العروي، عبد الله، الأيديولوجيا العربية المعاصرة؛ (بيروت/الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٤م).

-عز الدين، يوسف، الرواية في العراق؛ (العراق: معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٣م).

- عصفور، جابر، زمن الرواية؛ (دمشق: دار المدى للثقافة والنشر، ١٩٩٩م).

-علوش، سعيد، الرواية والأيديولوجيا في المغرب العربي (١٩٦٠-١٩٧٥م)؛ (بيروت: دار الكلمة، ١٩٨١م).

-عمر، أحمد مختار وفريق عمل: معجم اللغة العربية المعاصرة، (القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٨م).

-عوض، لويس، دراسات في النقد والأدب؛ (مصر: مكتبة الأنجلو المصرية، ب.ت).

-عيسى، محمد هاني أحمد، الآثار الاجتماعية للتنمية الريفية في المملكة العربية السعودية إحصاءات حول العينة والمجتمع الريفي السعودي؛ (الرياض: مطابع جامعة الملك سعود، ١٩٩٣م).

- الغامدي، سعيد بن فالح، البناء القبلي والتحضر في المملكة العربية السعودية، ط١؛ (جدة: دار الشروق، ١٩٨١م).

-غولدمان، لوسيان:

البنيوية التكوينية والنقد الأدبي، ترجمة: محمد برادة، راجع الترجمة: محمد سبيلا، ط٢؛ (بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٦م).

في سوسيولوجيا الرواية، ترجمة: بدر الدين عرودكي، ط١؛ (سورية: دار الحوار للنشر والتوزيع، ١٩٩٣م).

العلوم الإنسانية والفلسفة، ترجمة: يوسف الأنطكي؛ (مصر: المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٦م).

-الفالح، متروك، المجتمع والديمقراطية والدولة في البلدان العربية: دراسة مقارنة لإشكالية المجتمع السعودي في ضوء تريف المدن؛ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٢م).

-فراي، نوثروب، تشريح النقد، ترجمة: محي الدين صبحي؛ (طرابلس: الدار العربية للكتاب، ١٩٩١م).

-فضل، صلاح، منهج الواقعية في الإبداع الأدبي؛ (القاهرة: مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، ١٩٩٢م).

-فيبر، ماكس، مفاهيم أساسية في علم الاجتماع، ترجمة: صلاح هلال، مراجعة وتقديم: محمد الجوهري، ط١، (القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠١١م).

-الفيصل، سمر روحي، التطور الفني للاتجاه الواقعي في الرواية العربية السورية (دراسة نقدية)، ط١؛ (بيروت: دار النفائس، ١٩٩٦م).

-الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، المصباح المنير معجم عربي-عربي، عناية: يوسف الشيخ محمد، (بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠١٤م).

-القاعود، حلمي محمد، الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني؛ (الرياض: مطابع العبيكان، ٢٠٠٩م).

-القلماوي، سهير، مختصر حول نظرية الرواية؛ (القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٣م).

-كريب، إيان، النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس، ترجمة: محمد حسين غلوم؛(الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون/عالم المعرفة، ١٩٩٩م).

-كونديرا، ميلان، الستارة، ترجمة: معن عاقل؛ (بيروت/الدار البيضاء، ٢٠٠٥م).

-كيبيدي فارغا وآخرون، النظرية والنص، ترجمة: منذر عياشي؛ (إربد: عالم الكتب الحديث، ٢٠١٣م).

-لودج، ديفيد، الفن الروائي، ترجمة: ماهر البطوطي؛ (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٢م).

-لوكاتش، جورج:

نظرية الرواية وتطورها، ترجمة: نزيه الشوقي؛ (دمشق: المترجم، ١٩٨٧م)،

التاريخ والوعي الطبقي، ترجمة: حنا الشاعر، ط٢؛ (بيروت: دار الأندلس، ١٩٨٢م).

الرواية التاريخية، ترجمة: صالح جواد كاظم، ط٢؛ (العراق: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٦م).

دراسات في الواقعية، ترجمة: نايف بلوز، ط٤؛ (بيروت: مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ٢٠٠٦م).

-لومونيل، يونيل، الطبقات الاجتماعية، ترجمة: جورجيت الحداد؛ (بيروت: دار الكتب الجديدة، ٢٠٠٨م).

-ماتز، جيسي، تطور الرواية الحديثة، ترجمة وتقديم: لطيفة الدليمي؛ (بغداد: دار المدى، ٢٠١٦م).

-ماركس، كارل، رأس المال نقد الاقتصاد السياسي، المجلد الثالث عملية إنتاج رأس المال ككل، ترجمة: فالح عبدالجبار؛(بيروت: دار الفارابي، ٢٠١٣م).

-ماركس، كارل، أنجلز، فريديريك ، بيان الحزب الشيوعي، ترجمة: عصام أمين، نسخ إلكتروني؛ (جريدة المناضل، وجدي صبري، ٢٠٠٠م).

-ماضي، شكري عزيز:

انعكاس هزيمة حزيران على الرواية العربية، ط١؛ (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٨م).

في نظرية الأدب، ط١؛ (بيروت: دار المنتخب العربي، ١٩٩٣م).

الرواية العربية في فلسطين والأردن في القرن العشرين مع ببليوجرافيا؛ (عمان: دار الشروق، ٢٠٠٣م).

-المجالي، جهاد، مفهوم الطبقات في النقد الأدبي عند العرب، ط١؛ (عمان: دار يافا، ٢٠٠٩م).

-مجموعة من الكتاب الروس، مدخل إلى علم الأدب، ترجمة: أحمد علي الهمداني، ط٢؛ (عمان: دار المسيرة، ٢٠١٠م).

-مروة، حسين، دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي؛ (بيروت: مكتبة المعارف، ١٩٨٨م).

-مصايف، محمد، الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والالتزام؛ (بيروت: الدار العربية للكتاب، ١٩٨٣م).

-مصطفى، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط؛ (القاهرة: المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، ب.ت).

-معتوق، محبة حاج، أثر الرواية الواقعية الغربية في الرواية العربية؛ (بيروت: دار الفكر اللبناني، ١٩٩٤م).

-معلوف، أمين، الهويات القاتلة، ترجمة: نهلة بيضون، ط٢؛ (بيروت: دار الفارابي، ٢٠١١م).

-ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، ط٣؛ (بيروت: دار صادر، ١٩٩٤م).

-منيف، عبد الرحمن، الكاتب والمنفى؛ (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٧م).

-موثورن، جيريمي، مدخل إلى دراسة الرواية، ترجمة: غازي درويش عطية، مراجعة، سلمان داود الواسطي؛ (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٦م).

-موسى، سلامة، الأدب للشعب؛ (مصر: مؤسسة هنداوي للنشر، ٢٠١٢م).

-موسى، شمس الدين، كلمات على ضفاف الواقعية دراسات نقدية في الرواية والقصة؛ (مصر: منشورات وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨٠م).

-الموسوي، محسن، الرواية العربية النشأة والتحول؛ (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتب، ١٩٨٨م).

-لوو، إيان، العنصرية والتعصب العرقي من التمييز إلى الإبادة الجماعية، ترجمة: عاطف معتمد، كرم عباس، عادل عبد الحميد، ط١؛ (مصر: المركز القومي للترجمة، ٢٠١٥م).

-الناقوري، إدريس، المصطلح المشترك؛ (الدار البيضاء: دار النشر المغربية، ١٩٨٥م).

-النساج، سيد حامد، بانوراما الرواية العربية؛ (بيروت: المركز العربي للثقافة والعلوم، ١٩٨٢م).

-أبو نضال، نزيه، التحولات في الرواية العربية، ط١؛ (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٦م).

-هالبرين، جون، نظرية الرواية (مقالات جديدة)، ترجمة: محي الدين صبحي؛ (دمشق: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٨١م).

-هاينزمس، الفكر الاجتماعي نظرة تاريخية عالمية، ترجمة وتقديم: السيد الحسيني، جهينة سلطان العيسى، ط١؛ (مصر: مطابع سجل العرب، ١٩٨٠م).

-الهواري، أحمد:

نقد الرواية في الأدب العربي الحديث؛ (القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٣م).

البطل المعاصر في الرواية المصرية، ط٤؛ (مصر: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٢م).

-هيجل:

موسوعة العلوم الفلسفية، ترجمة: إمام عبدالفتاح إمام؛ (بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر، ١٩٨٣م).

المدخل إلى علم الجمال، ترجمة: جورج طرابيشي، ط٣؛ (بيروت: دار الطليعة، ١٩٨٨م).

-هيكل، أحمد، الأدب القصصي والمسرحي في مصر من أعقاب ثورة ١٩١٩ إلى قيام الحرب الكبرى الثانية؛ (مصر: دار المعارف، ١٩٧٩م).

-وادي، طه، دراسات في نقد الرواية؛ (مصر: دار المعارف، ١٩٩٤م).

-وايت، إيان، نشوء الرواية، ترجمة: ثائر ذيب، ط٢؛ (سورية: دار الفرقد، ٢٠٠٨م).

-ولسون، كولن، فن الرواية، ترجمة: محمد درويش؛ (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠٠٨م).

-وليك، رنيه، وآرن، آوستن، نظرية الأدب، ترجمة: عادل سلامة؛ (الرياض: دار المريخ، ١٩٩٢م).

-وليمز، ريموند، الكلمات المفاتيح، ترجمة: نعيمان عثمان؛ (بيروت/الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٧م).

-يقطين، سعيد، انفتاح النص الروائي النص-السياق؛ (بيروت: المركز العربي الثقافي، ١٩٨٩م).

-يوسف، شوقي بدر، غواية الرواية دراسات في الرواية العربية، ط١؛ (الإسكندرية: مؤسسة حورس الدولية، ٢٠٠٨م).

قائمة المراجع المكتوبة باللغة الإنجليزية

-Argyle, Michael, the Psychology of Social Class; (London/New York: Routledge, 1994).

-Arnold, Kettlr, Introduction to the English Novel, 2ed; (London, Hutchinson University Library, 1967).

-Baldick, Chris, Literary Theory the basics, 3ed; (oxford: oxford university press, 2008).

-Barry, Peter, Beginning Theory an Introduction to Literary and Cultural Theory, 3ed; (Manchester: Manchester university press, 2009).

-Bate, Jonathan, English Literature A Very Short Introduction; (Oxford, Oxford University Press, 2010).

-Bendix, Reinhard, Max Weber An Intellectual Portrait; (London, lowe and brydone, 1973).

-Best, Shaun, A Beginner's Guide to Social Theory; (London: Sage Publications, 2003).

-Bettens, Hans Literary Theory the Basics, 3ed; (London/New York: Routledge, 2014).

-Cuddon, J. A, The Penguin Dictionary of Literary Terms and Literary Theory; (London: Penguin Books, 1999).

-Dahrendorf, Ralf, Class and Class Conflict in Industrial Society; (Stanford/ California: Stanford University Press, 1959).

-Eriksson, T. H, Ethnicity and Nationalism; (London: Pluto Press, 2002).

-Gouldner, Alvin. W, The future of intellectuals and the rise of the new class; (new York: Seabury Press, 1979).

-Mc Evoy, Sean, Tragedy the Basics; (London/ new York, Routledge,2017).

-Stevenson, Angus. Waite, Maurice, Concise Oxford English Dictionary, 12 ed; (Oxford: Oxford university press, 2011).

المقالات العلمية

-إدريس، سهيل، البطل في الرواية العربية الحديثة، مجلة كلية الآداب، السنة السابعة، يناير، ١٩٥٩م.

-الخطيب، إبراهيم، المرأة والوردة، الواقع والأيديولوجيا، مجلة أقلام المغرب نوفمبر، ١٩٧٢م.

-المصري، إبراهيم، شخصية القصصي، البلاغ اليومي، ٢١أكتوبر، ١٩٣٣م.

قائمة الروايات العربية والسعودية

-الأنصاري، عبد القدوس، التوأمان؛ (دمشق: مطبعة الترقي، ١٩٣٠م).

-أنطون، فرح، أورشليم الجديدة؛ (مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٣م).

-بركات، حليم، عودة الطائر إلى البحر؛ (بيروت: دار النهار، ١٩٦٩م).

-تراوري، محمود إبراهيم، ميمونة؛ (الشارقة: دائرة الثقافة والإعلام، ٢٠٠٢م).

-الجابري، شكيب، وداعا يا أفاميا؛ (مصر: دار الهلال، ١٩٦٠م).

-جبرا، إبراهيم جبرا، السفينة؛ (مصر: الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٢م).

-الجفري، عبد الله:

جزء من حلم، ط١؛ (جدة: مطابع تهامة، ١٩٨٤م).

أيام معها؛ (لندن/بيروت: دار الساقي، ٢٠٠١م).

-بن جلون، عبد المجيد، في الطفولة؛ (المغرب: مطبعة الأطلس، ١٩٥٧م).

-الجهني، ليلي:

الفردوس اليباب؛ (بيروت: منشورات الجمل، ٢٠٠٦م).

جاهلية؛ (بيروت: دار الآداب، ٢٠٠٧م).

-الحبابي، محمد عزيز، إكسير الحياة؛ (مصر: دار الهلال، ١٩٧٤م).

-حبيبي، إميل، الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشائل؛ (مصر: دار الهلال، ١٩٩٨م).

-حداد، نقولا، العالم الجديد؛ (لبنان، ١٩٢٤م).
-أبو حديد، محمد فريد، أنا الشعب؛ (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتب، ٢٠٠١م).
-حسين، طه، دعاء الكروان؛ (مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٣م).
-الحسيني، حمال، على سكة الحجاز؛ (فلسطين: وزارة الثقافة الفلسطينية، ٢٠٠٠م).
-حفني، زينب، لم أعد أبكي؛ (بيروت/لندن: دار الساقي، ٢٠٠٤م).
-الحكيم، توفيق:
عودة الروح؛ (مصر: دار الشروق، ٢٠٠٤م).
يوميات نائب عام؛ (مصر: دار الشروق، ٢٠٠٤م).
-الحمد، تركي، جروح الذاكرة؛ (لندن: دار الساقي، ٢٠٠١م).
-الحميدان، إبراهيم الناصر:
ثقب في رداء الليل؛ (القاهرة: دار القومية للطباعة والنشر، ١٣٨١هـ).
عذراء المنفى؛ (الطائف: النادي الأدبي، ١٣٩٧هـ).
غيوم الخريف؛ (الرياض: نادي القصة السعودي بالجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون، ١٩٨٨م).
رعشة الظل؛ (الرياض: دار ابن سينا للنشر، ١٩٩٤م).
-حيدر، حيدر، الفهد، ط٣؛ (دمشق: ورد للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م).
-خاشقجي، سميرة، قطرات من دموع، ط٤؛ (بيروت: المكتب التجاري، ١٩٦٣م).
-خال، عبده:
الموت يمر من هنا؛ (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٥م).
فسوق؛ (لندن: دار الساقي، ٢٠٠٥م).
ترمي بشرر؛ (بيروت: منشورات الجمل، ٢٠٠٩م).
-الخراط، إدوارد، الزمن الآخر؛ (مصر: دار شهدي للطبع والنشر والتوزيع، ١٩٨٥م).
-الخضير، إبراهيم، عودة إلى الأيام الأولى؛ (بيروت: مؤسسة الانتشار العربي، ٢٠٠٤م).
-خوقير، عصام، سوف يأتي الحب؛ (جدة: مطابع السحر، ١٩٩٠م).
-خيري، عبد الجواد، كيد النساء؛ (بيروت: دار الآداب، ٢٠٠٦م).

-دفتردار، محمد سعيد، المجيدي الضائع والحجة فلحة؛ (مكة المكرمة: دار قريش، ١٣٨٩هـ).
-دمنهوري، حامد، ثمن التضحية؛ (الرياض: دار الفكر، ١٩٥٩م).
-الدمنهوري، سلوى عبد العزيز، اللعنة؛ (مكة المكرمة: مطابع الصفا، ١٩٩٤م).
-الدوسري، سعد، الرياض نوفمبر ٩٠؛ (بيروت/ الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠١١م).
-راغب، نبيل، بحر الظلمات؛ (مصر: مكتبة مصر، ١٩٩٨م).
-الراهب، هاني، المهزومون؛ (بيروت: دار الآداب، ١٩٨٨م).
-رزق، عبد الفتاح، حديقة زهران؛ (مصر: الهيئة العامة للكتب، ١٩٧٥م).
-الرشيد، هدى عبد المحسن، عبث؛ (القاهرة: مطابع مؤسسة روز اليوسف، ١٩٧٦م).
-الزهراني، عبد الله، ليلة عرس نادية؛ (الطائف: النادي الأدبي، ١٩٩٠م).
-زفزاف، محمد، قبور في الماء؛ (بيروت/الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٧م).
-السباعي، أحمد:
فلسفة الجن؛ (القاهرة: مطبعة دار التأليف، ١٣٦٨هـ).
أبو زامل: قصة الجيل الماضي قصة وسيرة؛ (القاهرة: دار مصر للطباعة، ١٣٧٤هـ).
فكرة، ط٢؛ (الرياض: دار الصافي للثقافة والنشر، ١٩٨٨م).
-سلام، طاهر عوض، فلتشرق من جديد؛ (أبها: النادي الأدبي، ١٩٨٢م).
-الشرقاوي، عبد الرحمن، الأرض؛ (مصر: دار الشروق، ٢٠٠٨م).
-شطا، أمل محمد:
غدا أنسى؛ (جدة: مطابع تهامة، ١٩٨٠م).
آدم يا سيدي؛ (جدة: شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر، ١٩٩٧م).
-الشويخات، أحمد، نبع الرمان؛ (بيروت: دار الكنوز الأدبية، ١٩٩٩م).
-الصقعبي، عبد العزيز، اليوم الأخير لبائع الحمام؛ (الدمام: أثر للنشر والتوزيع، ٢٠١٢م).
-طاهر، بهاء، قالت ضحى؛ (بيروت: دار الآداب، ١٩٨٥م).
-عاشور، رضوى، الرحلة؛ (بيروت: دار الآداب، ١٩٨٣م).
-عالم، رجاء:

خاتم؛ (بيروت/ الدار البيضاء: المركز العربي الثقافي، ٢٠٠١م).
ستر؛ (بيروت/الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٥م).
-عبود، مارون، الأمير الأحمر؛ (مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٣م).
-العتيق، فهد، كائن مؤجل؛ (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٤م).
-العريني، عبد الله، مهما غلا الثمن؛ (الرياض: المؤلف، ٢٠٠١م).
-العش، عبد الجبار، محاكمة كلب؛ (تونس: دار الجنوب للنشر، ٢٠٠٧م).
-عقيل، محمد، ليلة في الظلام؛ (جازان: النادي الأدبي، ١٤٠٠هـ).
-أبو علي، نداء، مزامير من ورق؛ (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٧م).
-عنقاوي، فؤاد عبد الحميد، لا ظل تحت الجبل؛ (مكة المكرمة، ١٩٧٩م).
-غموقات، إسماعيل، الشمس تشرق على الجميع؛ (مصر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ١٩٨٠م).
-غلاب، عبد الكريم:
سبعة أبواب؛ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٥م).
دفنا الماضي؛ (المغرب: منشورات المعارف، ٢٠٠٩م). ونشرت لأول مرة سنة ١٩٦٦م.
-أبو الفرج، غالب حمزة، امرأة لا بقايا؛ (بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٣م).
-القحطاني، أميرة، فتنة؛ (بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٧م).
-بوقري، حمزة، سقيفة الصفا؛ (الرياض: منشورات الرفاعي، ١٩٨٣م).
-القصيبي، غازي، شقة الحرية؛ (لندن: دار رياض الريس للكتب والنشر، ١٩٩٤م).
-القعيد، يوسف:
أخبار عزبة المنيسي؛ (مصر: دار الهلال، ١٩٨٥م).
يحدث في مصر الآن؛ (مصر: دار الشروق، ٢٠٠٨م).
-لاشين، محمود طاهر، حواء بلا آدم؛ (مصر: مطبعة الاعتماد، ١٩٣٤م).
-محفوظ، نجيب:
أفراح القبة؛ (مصر: مكتبة مصر، ١٩٨٧م).
زقاق المدق، ط١١؛ (مصر: مكتبة مصر، ١٩٨٥م).
-المحيميد، يوسف:

فخاخ الرائحة؛ (لندن: رياض الريس للكتب والنشر، ٢٠٠٣م).
القارورة؛ (بيروت/الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٨م).
-آل مرعي، عبد الوهاب، الغيمة والوجه الحنطي رواية فلسفية إسلامية؛ (الرياض: دار العبيكان، ٢٠٠٦م).
-مغربي، محمد علي، البعث؛ (القاهرة: دار الكتاب العربي، ١٩٤٧م).
-مفتي، فؤاد صادق، لا لم يعد حلما، ط٣؛ (المؤلف، ٢٠٠٠م).
-ناجي، جمال، الحياة على ذمة الموت؛ (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٣م).
-النيهوم، الصادق، الحيوانات؛ (سوريا: دار الشرق، ٢٠١٠م).
-الهذلول، آلاء، الانتحار المأجور؛ (لندن: دار الساقي، ٢٠٠٤م).
-هيكل، محمد حسين، زينب؛ (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتب، ٢٠٠٨م).
-وطار، الطاهر:
الزلزال؛ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٤م).
الحوات والقصر؛ (مصر: دار الهلال، ١٩٨٧م).
-يماني، محمد عبده، اليد السفلى؛ (الرياض: المطابع الأهلية للأوفست، ١٩٧٩م).